ارشاد المهتدى الى شرح كفاية المبتدى

تاليف الراجى غفران الذنوب والآثام خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام عبد الحميد بن العلامة المرحوم بكرم المجيب محمد على قدس بن عبد القادر الخطيب على رسالة والده العلامة محمد على المذكور ضاعف الله تعالى للجميع الاجور آمين بجاه الامين

ولتمام النفع وضع بالهامش المتن وهو الرسالة المذكورة مع تقريرات وفوائد وتحقيقات للشارح المذكور أدام الله تعالى سروره وحبوره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شهد على وجوده هذا العالم وأقر بوحدانيته جميع الخلق بلسان حالهم من حارب منهم ومن سالم وتحيرت فى عظمته ألباب العارفين ذوى الهمم وأشرق بنور وحدته الظلم وأجرى بقدرته الشمس والقمر والقلم وجعل علم التوحيد أساسا للدين الاقوم وأصلا له يبنى عليه غيره من فروع الشريعة والحكم اذ به نعرف ما يجب لمولانا جل وعز كالبقاء والقدم وما يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام كالصدق فيما أخبرونا به وفى قولهم لا ونعم نحمده على ما أنعم به علينا من نعمة الايمان والاسلام التى هى أجل النعم ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من نار جهنم ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وأنزل عليه وعلمك مالم تكن تعلم وعمم بعثته وبه نظام الانبياء والرسل تمم وجعل أمته وسطا وخير أمة أخرجت للناس وآخرا فى الخلق واوّلا فى دخول الجنة قبل كل الامم

(قوله الحمد لله الذى شهد) أى أقر بلسانه وأذعن بقلبه بالنسبة لانواع العقلاء الثلاثة الانس والملائكة والجن و بمعنى دل بالنسبة لغير الانواع المذكورة من بقية المحدثات والاول حقيقة والثانى مجازا امامرسل لعلاقة اللزوم او بالاستعارة التبعية بأن شبهت الدلالة بالشهادة بجامع ان كلا يوصل الى المقصود واستعيرت الشهادة للدلالة واشتق منها شهد بمعنى دل ولا يجوز غير ذلك فهو أعنى لفظ شهد من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه عند من يجوزه من الاصوليين كامامنا الشافعى رضى الله عنه واما من منعه كالحنفية فيجعل ذلك (٢) ونحوه من باب عموم المجاز بأن يستعمل اللفظ فى معنى مجازى كلى يعم المعنى الحقيقى والمعنى الآخر المجازى كان يراد بشهد هنا أثبت وجوده تعالى واثبات الوجود أعم من أن يكون بالاقرار أو الدلالة فكل من العقلاء وغيرهم مثبت لوجوده تعالى هذا كله بناء على أن الجمادات تسبح بلسان الحال والراجح خلافه وأنها تسبح بلسان المقال كما قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضى عياض والسهيلى فى الروض الانق وابن المنير والحافظ السيوطى فى حاشية الموطا مستدلين بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده أى حقيقة بلسان المقال وحينئذ فلا حاجة الى التجوز المذكور فيكون شهد بمعنى أقر فى الجميع (قوله هذا العالم) فاعل شهد ولا يرد على ذلك أن من العالم من ينكر وجوده تعالى لانه لا عبرة به ولانه وان أنكره لفظا فاحواله تدل عليه رغما عن أنفه (قوله وأقر بوحدانيته) أى ودل على وحدانيته جميع الخلق بلسان حالهم وتفسيرنا أقر بدل هو ما يستفاد من قوله بلسان حالهم ففيه مجاز من اطلاق الملزوم وارادة اللازم وليس هذا من الجمع بين الحقيقة والمجاز لان المراد خصوص المعنى المجازى (قوله بلسان حالهم الخ) دفع بهذا ما قد يرد كما قدمناه من أن بعض الخلق ينكر وحدانيته تعالى وحاصل الدفع أنه لا عبرة به وانه وان أنكره بلسان مقاله فلسان حاله يدل عليه تعالى رغما عن أنفه فقد أرشد سبحانه وتعالى الى معرفة وجوده تعالى ووحدانيته وقدرته بآيات مشهورة (قوله من حارب منهم) أى حارب الله ورسوله أى كفر وقوله ومن سالم أى صالح من المسالمة وهى المصالحة أى أسلم (قوله وفى قولهم لا ونعم) أى وكالصدق فى قولهم لا ونعم وهذا كناية عن

صلى

صدقهم في جميع مقالاتهم لان ما يجاب به عن سؤال المستخبر لا يخرج عن أحد هذين اللفظين أعني لا ونعم فعطفه على ما قبله من
عطف المفصل على المجمل ويحتمل ان يكون أراد بلا النهي وبنعم الامر كما فسرهما بهما الباجوري عند قول صاحب البردة
نبينا الآمر الناهي فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم* لكن على حذف مضاف قبل قوله قولهم أي وفي متضمن قولهم لا ونعم
أي وفيما تضمنه قولهم لا ونعم من الاخبار يكون ذلك أمر الله ونهيه وانما قدرنا المضاف لان التصديق لا يكون في الامر والنهي
وانما يكون في الاخبار بهما اذ هو لا يعرض للانشاء أصلا فعلى هذا يكون عطفه على ما قبله من عطف الخاص على العام والنكتة
في ذلك الاهتمام ويحتمل أن يكون كنى بلا عن الخبر المنفي وبنعم عن الخبر المثبت اما مطلقا أو عن الثواب والعقاب فعلى الاول
يكون عطفه على ما قبله من عطف المرادف تأمل (قوله واضوعها في عالم الملكوت نشرا) أي وأفوحها في عالم الملكوت رائحة
طيبة زكية فمعنى اضوعها أفوحها ومعنى نشرا رائحة طيبة كما في المصباح والمختار (قوله محمد على) فائدة نحوية هي بالوقوف
عليها حرية وهي اني رأيت بخط سيدي العلامة سيدي زين جمل الليل بالمدينة المنورة في الاعلام المركبة كهذا الاسم أعني محمد
على ومحمد عمرو ونحوهما (ما نصه) الاعلام المركبة من اسمين محمد عمرو ومحمد علي ونحوهما من افراد المركب المزجي فيجري
فيهما ما فيه وهو أربعة أوجه الاول بناء الجزء الاول على الفتح واعراب الجزء الثاني اعراب ما لا ينصرف الثاني أن يضاف صدره الى
عجزه ويعامل العجز بما يقتضيه الحال من صرف وغيره الثالث التزام منع الصرف في العجز ويعامل الصدر بما يقتضيه

صلى الله عليه وعلى آبائه واخوانه من جميع الانبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين وبارك
وسلم ما وحد موحد وكفر من كفر وأسلم من أسلم (أما بعد) فيقول تراب اقدام العلماء الاعلام
وخويدم طلبة العلم بالمسجد الحرام المستمطر من مولاه الاعانة والاخلاص والعفو والفتح
القريب عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب وفقه الله تعالى لما يحبه
ويرضاه وغفر له ما اجترحه وجناه ورضي عنه وعن والديه ونظر بعين عنايته اليه وجعل له
قسما في مغنم السعاده ونظمه في سلك الذين استوجبوا الحسنى وزياده وكذلك جميع المسلمين
بجاه طه المصطفى آمين ان أربح الاعمال أجرا وأبقاها بين الانام ذكرا وأضوعها في عالم
الملكوت نشرا اكتساب العلوم النافعة في الدنيا والاخرى وان من أفضلها واعلاها وأجلها
وأسناها علم العقائد الدينيه الذي تعرف به الصفات الالهيه فهو أجل الفنون وارفعها وأكمل
العلوم وأنفعها وأفضل الصنائع الذهنيه وأجل العبادات الفكريه وان من أبدع ما جمع فيه
فاوعى وأحاط باطراف المعارف فكان أحسن صنعا الرسالة التي بها يتوصل الى ذروة السعادة
المهتدي المسماة بكفاية المبتدي التي الفها شيخي واستاذي وعزيزي وملاذي ووالدي
ومقتدي مربي روحي وجسدي العالم العلامه والحبر الفهامه الشيخ محمد علي القدسي الاصل

الحال من اعراب الا اذا
كان معتلا كمعدي كرب
فلا يفتح حال النصب بل
يبقى على السكون الرابع
ان يبني الصدر مع العجز
بناء خمسة عشر وأفصح
هذه الاوجه أولها قاله
الدماميني في شرح
التسهيل وللدماميني
رسالة سماها (الفتح
الرباني في الرد على
البنياني) حاصله أنه الف
رسالة بصدد شاه الهند
وسماها خزانة السلاح
وذكر في صدرها اسم
الشاه بلفظ أحمد شاه بن محمد بن شاه بن مظفر شاه بفتح الدال من أحمد ومحمد وفتح الراء من مظفر على ما هو مقرر في امثال هذه
الاسماء من المركب المزجي فادعى شخص بحضرة الشاه ان الفتح خطا وان الصواب اسكان ما فتح واستند بنطق خطباء
الهند بذلك كذلك على المنابر قال الدماميني فلم أدر والله مما اذا أتعجب من دعواه أم من دليله ونقل الدماميني كلام
شارحي التسهيل وكلام الرضي في شرح الكافية وشرحها المسمى بالوافي وغيره المصرح ببناء الصدر على الفتح واعراب العجز
اعراب ما لا ينصرف وبين أيضا أنه لو فرض أنه حين وضعه وضعه الواضع ساكن الدال لا ينطق به كذلك لافضائه الى اختلال
ما ذكره أئمة النحو مما ذكروا والى لزوم الفساد في الاعلام التي استعملتها العرب عربية كانت أو عجمية فانها حالة الوضع لم تكن
معربة واعرابها حالة التركيب بما تقتضيه العوامل مقطوع به من لسان العرب فمنعه باطل والاستناد في المنع الى كلام بعض
النحاة في قولهم ان الاعلام تصان غير صحيح لانه في الاعلام التي يجب فيها حكاية أصلها المنقولة هي عنه كالجمل المسمى بها نحو تأبط
شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكمركب من حرفين نحو انما أو حرف وفعل نحو قد قام فهذه وأمثالها لا يتطرق اليها تغيير أصلا عما
ثبت قبل التسمية بها قال وهذا مما لا يرتاب فيه وأطال بما هذا حاصله أقول هذا اذا كان العلم مركبا من اسمين فان ركب
من اسم ولقب كسعيد كرز فذهب جمهور البصريين الى اضافة الاسم الى اللقب وهو كرز في المثال المذكور وذهب الكوفيون
وبعض البصريين الى جواز اتباع الثاني للاول بدلا أو عطف بيان والى القطع الى النصب باضمار فعل والى الرفع باضمار مبتدا

كما في بحث العلم من الاشموني وغيره انتهى هذا ما وجدته بخط السيد زين العابدين بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله جمل الليل المدني ناقلا هذه الفائدة عن أخيه سيدي العلامة السيد أحمد تلميذ العلامة الشيخ محمد بن سليمان الكردي صاحب حاشية شرح بافضل لابن حجر الهيتمي (٤) وغيرها رحمهم الله الجميع ونفعنا بهم آمين (قوله فلما ان غرد بلبل الاذن والاشارة الخ) شبه ما يلقيه الله تعالى في قلب المستخير من المعاني التي ينشرح بها الصدر بالبلبل بجامع حصول الانشراح بكل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو بلبل للمشبه وهو المعاني المذكورة على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية وغرد بمعنى رجع في صوته ترشيح لانه من ملايمات المشبه به واضافة بلبل الى الاذن من اضافة الشيء الى ما يدل هو عليه فان البلبل بمعنى المعاني المذكورة يدل على الاذن وقوله بالحان القبول والبشارة أي بعلامات ما وسماها الحانا ترشيحا ثانيا للاستعارة المذكورة وحاصل المعنى أنه لما استخرت الله تعالى انشرح صدري لذلك فصار ذلك علامة على حصول الاذن من الملك العلام وبشارة بحصول ذلك المرام (قوله فمن طلب عيبا وجد وجد) أي ومن طلب عيبا في الانسان الذي هو محل الخطأ والنسيان

ونزيل مكة المشرفة طيب الله ثراه واتحفه برحماته المتحفه آمين بجاه الامين فانها مع اختصارها حوت من نفائس علم التوحيد ما يخرج به المكلف من ربقة التقليد وجمعت من السير أحسن ما تحلى به المسامع ويطرب له قلب التالي والسامع وأوعت من التصوف ما يتوصل به الى تخلية الفكر عن الاغيار وتحليته بمشاهدة الملك الغفار مع ترتيب فائق وترصيف رائق ولما كانت بهذا الوصف البديع والاسلوب الوسيم الرفيع استخرت الله تعالى مع قلة بضاعتي واقراري بعدم أهليتي ان اشرحها وأوضحها فانشرح صدري لذلك والله أعلم بما هنالك فلما ان غرد بلبل الاذن والاشاره بالحان القبول والبشاره شرعت في شرح يوضح ألفاظها السنيه ويبين مراداتها الخفيه ويحل ما فيها من عقد ويمتزج بها امتزاج الروح بالجسد ويحقق مسائلها ويحرر دلائلها مع فوائد مستجادات وضوابط محررات اترك فيه الاطناب الممل والايجاز المخل للحرص على التقريب لفهم مقاصده والحصول على درر فوائده واجيا من الله تعالى بذلك الاجر والثواب ومستعينا به وملتمسا منه التوفيق للصواب ومؤملا العفو والغفران بدعوة صالح من الاخوان (وسميته ارشاد المهتدي الى شرح كفاية المبتدي) وليعلم أني لست في ذلك الا ناقلا من العبارات التي نطقت بها كتب المتقدمين ومقتطفا من ثمار جنات مؤلفات العلماء الراسخين ومغترفا من بحار علوم أهل السنة أهل الحق والصدق واليقين ومتطفلا بالدخول على فوائد مصنفاتهم من غير سبق دعوة داع من الطالبين ولست أهلا لذلك التأليف لكن رجوت من الله بذلك التصنيف ان ينظمني في سلك المؤلفين المخلصين الراشدين وان يحشرني معهم في الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فان من أحب قوما حشر معهم كما أخبرنا به سيد الاولين والآخرين وأترك العزو غالبا خوفا من التطويل وعلى الله سبحانه وتعالى التعويل ثم ما رأيته من صواب في أي مكان فهو من تحرير الائمة أهل هذا الشان وما رأيته من خطأ فمن تخليط حصل من عقلي القاصر أو وهم صدر من سوء فهمي الفاتر فالمرجو ممن اطلع عليه ومد البصر اليه أن يصلح بعد التأمل خلله ويستر بعد التدبر زلله وان يقيل عثرتي ويتجاوز عن سيئتي فمن طلب عيبا وجد وجد ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا فقد فقد

ولست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

فالمرجو اغماض عين السخط عن كتابي واسبال ذيل الراضي الودود المحابي فالكمال محال لغير ذي الجلال ولم يسلم أحد من الخطا الا رسول الله أفضل من على الارض خطا هذا واني فيما يصدر مني ذو عذر مقبول لان الفكر بغيره مقطوع ومشغول والله أسأل وبنبيه أتوسل أن يعينني على الاكمال وان ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم كما نفع بأصله انه ذو الجود والافضال وان يحله محل القبول ويبلغني بسببه أعظم المأمول * حتى يصير كفاية في المهمات وعدة أتحصن به

واجتهد في تحصيله وجده أي حصله فالاول بتشديد الدال مأخوذ من الاجتهاد في الامر والثاني بتخفيفها من وسكن للسجع مأخوذ من الوجدان (قوله ومن افتقد زلل أخيه) أي ومن عدم خطأ أخيه المؤمن بسبب نظره اليه بعين الرضا فقد فقد أي تحقق فقده لخطيئه فالافتقاد عبارة عن عدم نظره الى خطئه وان وجد فقد الاولى حرف تحقيق دخلت على ماضاه الجزاء والثانية فعل ماض وسكنت للسجع وبينهما الجناس التام المركب كما لا يخفى (قوله ولم يسلم أحد من الخطا) أي الزلل

من جميع المحن والنائبات وقربة اكتسب به مواهبه البهيه وسوابغ نعمه العليه انه خير مأمول وأكرم مسؤل وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز بجنات النعيم وسببا للنظر الى وجهه المصون فى الدار الآخره لاكون ممن قال تعالى فيهم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فهو حسبي ونعم الوكيل وكفيلي فيانعم الكفيل ولاحول ولاقوة الا بالله ملجأ كل منيب وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وها أنا بعون الرب الودود أشرع فى المقصود فاقول وبالله ألوذ واستدفع المكروه وأسأله ان يبيض وجهي يوم تبيض الوجوه وأستعين على سلوك سبيل الرشاد فهو المستعان به لبلوغ المراد راجيا استجابة مادعوت به متاسيا بسيدينا موسى الكليم وابراهيم الخليل مما حكاه الله تعالى عنهما فى محكم التنزيل رب اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين قال شيخى ووالدى المصنف رحمه الله تعالى وادام انسجام مزن الرضوان على ضريحه ووالى (بسم الله الرحمن الرحيم) أى أؤلف مستعينا باسم الله تعالى وابتدأ رحمه الله تعالى بها اقتداء بالقرآن المجيد فى ابتدائه بها كسائر الكتب المنزلة من السماء كما يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى نقلا عن الشيخ ابى بكر التونسى أجمع علماء كل ملة ان الله تعالى افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وأنزلها على آدم عليه السلام ولذلك جرى بعضهم على أنها ليست من خصوصيات هذه الامة ويدل له أيضا مافى سورة النمل من قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام فى كتابه الذى أرسله لبلقيس انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم والمختص بهذه الامة انما هو اللفظ العربى على هذا الترتيب وعلى هذا يحمل قول من قال انها من خصوصيات هذه الامة وعملا بقوله

وقوله الا رسول الله أفضل من على الارض خطا أى مشى فبينه وبين ماقبله الجناس التام اه (قوله اقتداء بالقرآن) أى بمنزل القرآن وذلك لان المقتدى به فاعل المقتدى فيه وهو هنا الله سبحانه وتعالى والقرآن مبتدأ فيه بها وقد ورد مايفيد طلب الاقتداء به سبحانه والتخلق باخلاقه ففى الحديث تخلقوا باخلاق الله أى اتصفوا بصفات تماثل ولله وصفاته المثل الاعلى فى صدق العنوان صفاته الا انه مخصوص بما يمكننا ولم يمنع منه الشارع كالعلم والحلم وابتداء ذوات البال بالبسملة لا كالخلق والكبرياء ثم ان القرآن فى الاصل مصدر قرأ فغلب شرعا على اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المتحدى باقصر سورة منه والمجيد هو العظيم أفاده بعض الافاضل (قوله فى ابتدائه بها) أى بحسب الترتيب لا النزول والا فاوّله نزولا قوله اقرأ الى قوله مالم يعلم كما صرح به فى الكشاف فى أوّل سورة المدثر رواية عن الزهرى ولا ينافى هذا ماورد ان أوّل مانزل به جبريل بسم الله الرحمن الرحيم لاحتمال ان المراد النزول على آدم لا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد ان أوّل ماأنزل من الآيات على الاطلاق هو آية اقرأ فلا ينافى ان أوّل ماأنزل بعد فترة الوحى (٥) أوّل المدثر وان أوّل ماأنزل من السور التامة الفاتحة وبهذا يجمع بين الروايات المتعارضة ظاهرا افاده بعض الافاضل (قوله كسائر الكتب) راجع لقوله ابتدائه أى باقى الكتب كالقرآن فى البدء بالبسملة لا لقوله اقتداء لان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا وان ورد فى شرعنا مايقرره على الراجح

بسم الله الرحمن الرحيم

فى مذهبنا لكن الظاهر ان الكتب غير القرآن مبدوأة بالبسملة نزولا لما اشتهر من كون التوراة نزلت على موسى عليه الصلاة والسلام جملة واحدة مرتبة بخلاف القرآن فانه نزل غير مرتب بحسب الوقائع وانما بدئ بالبسملة بعد ترتيبه فيكون التشبيه فى مطلق البدء بالبسملة بقطع النظر عن كونه بحسب النزول أو بحسب الترتيب (قوله والمختص بهذه الامة الخ) أى واما مافى كتاب سليمان فليس عربيا على هذا الترتيب بل اللفظ العربى بهذا الترتيب حكاية عنه وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب أى ان كل كتاب مبدوء بها أعم من أن تكون باللفظ العربى على هذا الترتيب كما فى بسملة القرآن أو بغيره كما فى بقية الكتب ثم ان كان المراد ان بسملة بقية الكتب نزلت عربية الا أنها على غير هذا الترتيب كان الامر ظاهرا وان كان المراد أنها نزلت غير عربية كان مخالفا لما ورد من ان كل كتاب نزل من السماء فهو عربى الا ان كل نبى عبر عنه بلسان قومه الا ان يجاب بأن قوله والمختص بهذه الامة انما هو اللفظ العربى الخ معناه العربى المستمر عربيته فتدبر أفاده بعض الافاضل (قوله وعملا) انما عبر بالعمل هنا وثم بالاقتداء لتضمن الخبر الامر بخلاف القرآن فانه لم يتضمنه كتضمن الخبر (قوله بقوله) أى بلازم مفهوم قوله لان قوله كل أمر الخ فهو اقطع مفهومه ان كل أمر بدئ فيه بذلك فهو غير اقطع وهذا يلزم منه طلب البداءة بذلك فكأنه قال ابدؤا بالبسملة فى كل أمر ذى بال والضمير راجع الى النبى

صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أي قليل البركة فهو وان تم حسا لا يتم معنى ثم لا يخفى أنه ينبغي لكل شارع في فن أن يتكلم على البسملة بطرف يناسب الفن المشروع فيه وفاء بحق البسملة وبحق الفن المشروع فيه والشروع الآن في فن التوحيد فينبغي أن نتكلم عليها بطرف يناسبه فنقول يتعلق بالبسملة أربعة مباحث (الاول) في الباء اعلم أنه قد اشتهر أن الباء حرف جر أصلي على الراجح ومتعلقها محذوف تقديره أؤلف أو أبتدئ مثلا وهما من أفعال العباد وهي اما اضطرارية أو اختيارية أما الاضطرارية فلا خلاف في أن الخالق لها هو الله سبحانه وتعالى واما الاختيارية فمذهب أهل السنة أن الخالق لها هو الله وليس للعبد الا الكسب ومذهب الجبرية أن العبد مجبور أي لا اختيار له في صدور أفعاله عنه فهو كريشة معلقة تقلبها الرياح يمينا وشمالا وبنوا على ذلك أن التعذيب ظلم وهو ظاهر البطلان وذلك للفرق الظاهر بين حركتي الباطش والمرتعش ومذهب المعتزلة ان العباد موجدون لافعالهم مخترعون لها على سبيل التأثير وذلك بقدرة خلقها الله فيهم واجترأ المتأخرون منهم على ان سموا العبد خالقا على الحقيقة ومذهبهم هذا باطل لامور متعددة منها انه قد قام البرهان على وجوب الوحدانية له تعالى في الذات والصفات والافعال وأقوى دليل من السمع قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وسيأتي الكلام على ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى ومعنى الباء الاستعانة كما قدرنا قال الولي العراقي رحمه الله تعالى في الانتصاف من الكشاف ان معنى باء الاستعانة اعتراف في أول فعله انه جار على يديه تعالى وان وجود فعله بقدرة الله وايجاده لا بفعله تسليما لله من أول الامر والزمخشري لا يستطيع هذا النزغات الشيطان الاعتزالية التي هي ادعاء ان العباد موجدون لافعالهم مخترعون لها على سبيل التأثير فجعل الباء للاستعانة فيه رد على الزمخشري ومن تبعه من المعتزلة القائلين بان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وليت شعري ما يصنع

صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بالجملة بعده فهو معلوم من المقام على حد قوله تعالى حتى توارت بالحجاب أي الشمس (قوله كل) اضافته الى أمر على معنى اللام وان لم يصح التلفظ بها لعدم صحة من أوفى قال في الخلاصة وانو من أوفى اذا * لم يصلح الا ذاك واللام خذا لما سوى ذينك (قوله أمر) اعلم ان للامر خمسة معان الاول الشأن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد والثاني الرأي ومنه قوله تعالى وما أمر فرعون برشيد والثالث الطلب وهو اقتضاء فعل غير كف أو كف مدلول عليه بكف ونحوه كدع وذر واترك وجمع هذا أوامر وجمع ذا أمور والمراد هنا الفعل وهو حركة البدن الشاملة للاقوال دون التروك اذ البسملة لا تطلب في الترك كترك المعاصي والرابع العذاب ومنه قوله تعالى لما جاء أمر ربك والخامس القيامة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله وقد نظمت هذه المعاني على هذا الترتيب فقلت معاني الامر شأن ثم رأي * كذا طلب عذاب والقيامة (قوله ذي بال) أي صاحب حال فهو جامد لفظا مشتق تأويلا ولذلك صح الوصف به وانما عبر بذي دون صاحب لان الوصف بذي أشرف (٦) لاقتضائها تعظيم الموصوف بها او المضاف اليها بخلاف صاحب ومن ثم قال تعالى في معرض مدح يونس صلى الله عليه وسلم حيث وصفه في مقام ذكر الانبياء ومدحهم ذا النون وفي معرض النهي عن التشبه به كصاحب الحوت فاستدعاء ذي لتعظيم الموصوف بها ان الاول في المدح والثاني في النهي واستدعاؤها التعظيم المضاف اليها ان النون لكونه جعل فاتحة سورة أفخم وأشرف من لفظ الحوت والبال يطلق على معان كما في القاموس منها الحال والحوت العظيم والقلب والخاطر ورخاء العيش والجراب ووعاء الطيب والمختار والمراد هنا الاول وهو الحال أي ذي حال يهتم به شرعا وقيل القلب على أن المراد قلب متعاطي ذلك الامر فتكون الاضافة لادنى ملابسة أي كل أمر يهتم قلب متعاطيه ويشغله وقد نظمت المعاني المذكورة مع بيان أن المراد هنا الحال فقلت بقوله

معاني البال في القاموس وافت * بمعنى الحال والحوت العظيم
وقلب خاطر ورخاء عيش * جراب مع وعا الطيب الفخيم
وأول هذه تفسير ما طا * ء عن طه لبسملة الرحيم

واعلم ان تنوين بال للتعظيم على حد قوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى أي سلام عظيم فخرج الحقير كنقل القدم فلا تطلب له البسملة ففيه تخفيف على العباد وصون لاسمه تعالى عن الاقتران بالمحقرات (قوله لا يبدأ) صفة ثانية لامر من باب النعت بالجملة بعد النعت بالمفرد وهو أحسن من عكسه (قوله فيه) أي بسببه وفائدة الاتيان بفي الدالة على السببية مع صحة تركها افادة ان المطلوب كون الامر ذي البال سببا باعثا على التسمية في ابتدائه لا مطلق وقوع التسمية في ابتدائه ولو بسبب آخر بحيث يكون هو غير منظور اليه عند التسمية والجار والمجرور نائب فاعل يبدأ لكن الاحسن انه ضمير مستتر عائد على الامر جريا على الاصل من نيابة المفعول به

بقوله تعالى واياك نستعين اذ المراد ما نطلب المعونة فى جميع الامور الا بالله فتوجيه ترجيح باء
المصاحبة وعدم ترجيح باء الاستعانة غفلة عن هذه الدسيسة الاعتزالية الى آخر ما قال فانظره
ترالعجب ثم ان فى الباء اشارة الى وحدته تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله بل والى جميع العقائد اذ
معناها الاشارى بى كان ما كان وبى يكون ما يكون وبيان ذلك كما سيأتى بسطه عند ذكر
الكتب ان الله سبحانه وتعالى جعل معانى الكتب المنزلة فى القرآن وجعل معانى القرآن فى
الفاتحة يعرف ذلك ذوقا من عرف حقيقة معانيها ومعانى الفاتحة فى البسملة ومعنى البسملة مفهوم
اشارة واجمالا من الباء والمعنى بى كان ما كان وبى يكون ما يكون وحينئذ يكون فى الباء اشارة
الى جميع العقائد لان المراد بى وجد ما وجد وبى يوجد ما يوجد ولا يكون كذلك الا من اتصف
بصفات الكمال وتنزه عن صفات النقصان ومعنى الباء الاشارى فى نقطتها المشيرة الى توحده تعالى
وانفراده بالالوهية والتدبير سبحانه وتعالى فهى تشير الى أن الله تعالى نقطة الوجود المستمد
منه كل موجود واعلم أن المراد بالنقطة كما قاله الباجورى وغيره أول نقطة تنزل من القلم الذى
يستمد منها الخط لا النقطة التى تحت الباء خلافا لمن توهمه *(المبحث الثانى)* فى الاسم وهو
مادل على مسمى وهل هو عين المسمى أو غيره خلاف والتحقيق انه ان أريد من الاسم اللفظ فهو
غير مسماه قطعا وان أريد منه ما يفهم منه فهو عينه قطعا وبذلك يرجع الخلاف لفظيا

الحمد لله

(المبحث الثالث) فى لفظ الجلالة وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد
وهو أعظم أسمائه تعالى لجمعه حقائق الاسماء كلها ولذلك خص الامر بالاستعاذة به دون غيره
من الاسماء فان الطرق التى يأتى منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل
طريق جاء منها يجد اسم الله تعالى مانعا له من الوصول الينا ثم ان أكثر أهل العلم على انه اسم
الله الاعظم لانه الجامع لصفات الكمال ومعنى كونه أعظم اما كثرة الثواب عليه فقد نقل عن
مشايخ الصوفية انه لاذكر فوق الذكر به لقوله تعالى لنبيه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم أو اجابة
الداعى عاجلا لقوله صلى الله عليه وسلم فى شأنه اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وانما تتخلف
الاجابة لعدم استجماع شروط الدعاء التى أولها الاكل من الحلال وآخرها الاخلاص
(المبحث الرابع) فى الرحمن الرحيم ومعنى الاول المنعم بجلائل النعم والثانى المنعم بدقائقها
وحينئذ ففى هاتين الصفتين أدلة سائر العقائد لان من جملة انعامه تعالى انزاله القرآن المجيد
وهو دليل السمع والبصر والكلام ومن جملة انعامه ايجاده الخلائق وتسخير بعض الاشياء لبعض
وهو دليل سائر الصفات ومن جملة انعامه تعالى ارسال الرسل وتأييدهم بالمعجزة وهو يستلزم
صدقهم واذا ثبت صدقهم فمن جملة اخبارهم انهم معصومون مبلغون جائز فى حقهم كل ما لم
ينقص وكلما ثبت شئ استحال ضده والسمعيات ثبتت باخبارهم وبالقرآن المجيد أيضا والكلام
على البسملة قد شاع وذاع وملأ الاسماع وقد جمعنا فى التكلم عليها وعلى المبادى العشرة من
هذا الفن وريقات جعلناها كالمقدمة لهذا الكتاب فهى توضح ما هنا فانظرها تستفد نفائس
مسجادات تطرب الالباب ولما ابتدأ رحمه الله تعالى أولا بالبسملة ابتداء حقيقيا ابتدأ ثانيا
بالحمدلة ابتداء اضافيا اقتداء بالقرآن المجيد وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ
فيه بالحمد لله فهو اقطع وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب أن يحمد وقوله
ان الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا فقال (الحمد لله)
وآثره على الشكر اقتداء بالكتاب العزيز أيضا ولقوله صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لم

بحمده والحمد معناه اللغوى الثناء الجميل لاجل جميل اختيارى سواء كان فى مقابلة نعمة أم لا ومعناه العرفى فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد أو غيره والشكر لغة هو الحمد العرفى وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لاجله فان قلت لم أردف البسملة بالحمدلة ولم يقتصر على البسملة اكتفاء بما تضمنته من الثناء على الله بانه لا يتم الفعل الا بمعونة اسمه فالبسملة حمد اذ هو الثناء وهى تدل عليه قلت انما اتبعها بها لان المقتصر عليها لا يسمى حامدا عرفا اذ لا يحصل العمل بما فى الاحاديث الواردة فى طلب الحمد الا ان أطلق عليه العرف انه حمد وموافقة لفظ الحديث مطلوبة فجمع رحمه الله تعالى بين الابتداءين عملا بالروايتين واشارة الى انه لا تعارض بينهما اذ الابتداء نوعان حقيقى وهو الابتداء بما تقدم أمام المقصود ولم يسبقه شئ واضافى وهو الابتداء بما تقدم امام المقصود وان سبقه شئ فالحقيقى حصل بالبسملة والاضافى حصل بالحمدلة والكلام على الحمد كثير وفى هذا القدر كفاية (المتوحد) صفة للفظ الجلالة أى المتصف بعدم التعدد والتركب (فى ذاته وصفاته وأفعاله) ولا يخفى ما فى تصديره رحمه الله تعالى الرسالة بذكر المتوحد الخ من براعة الاستهلال وهى أن يأتى المتكلم فى أول كلامه بما يشعر بمقصوده ففى ذلك اشعار بان هذه الرسالة فى علم التوحيد الذى يبحث فيه عن وحدانيته تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله ولما حمد الله تعالى أداء لبعض ما يجب له تعالى اجمالا وكان صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة اليهم التى أعظمها الهداية للاسلام انما هى ببركته وعلى يديه أتبع ذلك بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فقال (والصلاة والسلام) اداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم وامتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولما قام على ذلك نقلا وعقلا من البرهان أمانقلا فقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك أى لا أذكر الا وتذكر معى اذ المراد من هذا ان المولى سبحانه وتعالى اذا ذكر بمجرد الاسم كذلك النبى صلى الله عليه وسلم كلا اله الا الله محمد رسول الله واذا ذكر محمد فالمناسب أن يذكر النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام عليه كالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وكما فعل المصنف رحمه الله تعالى وأما عقلا فلان المصطفى هو الذى علمنا شكر المنعم وكان سببا فى كمال هذا النوع الانسانى فاستوجب قرن شكره بشكر المنعم عملا بالحديث القدسى عبدى لم تشكرنى اذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه ولا شك انه صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى لنا فى كل نعمة بل هو أصل الايجاد لكل مخلوق آدم وغيره لان نوره الشريف أول مخلوق على الاطلاق كما فى حديث جابر ثم خلق منه الكائنات كما قال البارى جل شانه لولاك لولاك أى يا محمد لما خلقت الافلاك واغتناما للثواب الوارد فى قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يذكر الله فيه فيبدأ به وبالصلاة على فهو اقطع ممحوق من كل بركة ولا يخفى أن الصلاة معناها كما اختاره ابن هشام رحمه الله تعالى فى مغنيه وهو التحقيق العطف بفتح العين وهو من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم ومن غيره تعالى من ملك وانس وغيرهما ولو حجرا وشجرا ومدرا الدعاء الشامل للاستغفار وغيره والسلام معناه التحية اللائقة به صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بحسب ماعنده بأن يسمعه كلامه القديم الدال على رفعة مقامه العظيم والكلام على الصلاة والسلام وعلى فضلهما كثير شهير فلا يحتاج الى تسطير (على سيدنا) أى معشر المخلوقات من انس وجن وملك وغيرهم والسيد من ساد فى قومه ببعض أسباب السيادة أو كلها وهى عشرة

المتوحد فى ذاته وصفاته وأفعاله والصلاة والسلام على سيدنا

على

على ماقيل وأسباب السيادة قيل عشر * سخاء ثم تأدية الامانه
كذا صبر وعلم ثم حلم * وصدق والتواضع والصيانه
وعقل والعفاف فتلك عشر * ورأس الامر فى الكل الديانه

ولاخفاء ان هذه الاوصاف جمعت فيه صلى الله عليه وسلم وانما أتى المصنف رحمه الله تعالى بقوله سيدنا اشعارا بجواز اطلاق السيد على غيره تعالى فهو وارد فى الكتاب والسنة فمن الاول قوله تعالى وسيدا وحصورا ومن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم وقوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأما حديث السيد الله فمعناه السيد بالسيادة المطلقة الله ومراعاة للادب وعملا بالافضل لان الاولى والاكمل أن يأتى الشخص بلفظ السيادة ولو فى الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم وان لم تذكر فيه كقوله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وهذا هو الراجح ثم أبدل المصنف رحمه الله تعالى من سيدنا فقال (محمد) هو أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم بالنسبة لاهل الارض والسماء على الصحيح لاقترانه مع اسم الله فى كلمة التوحيد ولانه مكتوب على أوراق أشجار الجنة وعلى دائرة العرش ولما ورد أن الله خلق النور المحمدى وسماه محمدا ويسن التسمية بمحمد محبة فيه صلى الله عليه وسلم وينبغى اكرام من اسمه محمد تعظيما له صلى الله عليه وسلم (و) الصلاة والسلام (على) جميع (اخوانه) أى المشاركين له صلى الله عليه وسلم فى النبوة ولذا بينهم رحمه الله تعالى بقوله (من الانبياء) جمع نبى وعرف بانه انسان ذكر حر من بنى آدم سليم عن منفر طبعا أوحى اليه بشرع يعمل به وان لم يؤمر بتبليغه وأما الرسول فيعرف بما ذكر لكن مع التقييد بقولنا وأمر بتبليغه وانما أتى رحمه الله تعالى بالصلاة والسلام على الانبياء امتثالا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم أمر ندب بها عليهم ذكروا أولم يذكروا فى نحو قوله صلى الله عليه وسلم صلوا على النبيين اذا ذكرتموهم فانهم بعثوا كما بعثت رواه ابن عساكر وقوله اذا ذكرتموهم هذا ليس بقيد بدليل الاحاديث بعده فانها لم تقيد وفى ورد الصفا فى الصلاة على المصطفى قال الحافظ أبو موسى المدينى بلغنى باسناد عن بعض السلف انه رأى آدم صلى الله عليه وسلم كأنه يشكو قلة صلاة بنيه عليه وأخرج ابن أبى عاصم باسناد صحيح عن أبى طلحة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فانما أنا أحدهم اهـ وفى روح البيان عند قوله تعالى وسلام على المرسلين وفى الحديث اذا صليتم على فعمموا أى للآل والاصحاب قال فى المقاصد الحسنة لم أقف عليه بهذا اللفظ ويمكن أن يكون بمعنى صلوا على وعلى أنبياء الله فان الله بعثهم كما بعثنى اهـ وفى الجامع الصغير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى قال الحفنى عليه قوله على أنبياء الله الخ أى ولا تقتصروا على الصلاة على لكونى نبيكم وأفضلهم وفى الجامع الصغير أيضا عنه عليه الصلاة والسلام صلوا على النبيين اذا ذكرتمونى فانهم قد بعثوا كما بعثت قال المناوى رحمه الله تعالى فى شرحيه عليه فى هذا الحديث وماقبله مشروعية الصلاة على الانبياء استقلالا وألحق بهم الملائكة لمشاركتهم فى العصمة وحكمة مشروعية الصلاة عليهم انهم لما بذلوا اعراضهم فيه أى بسبب الله تعالى لاعدائه فنالوا منهم وسبوهم أعطاهم الله الصلاة عليهم وجعل لهم أطيب الثناء فى السماء والارض وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار فالصلاة عليهم مندوبة لا واجبة بخلاف الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم اذلم ينقل أن الامم السابقة كان يجب عليهم الصلاة على أنبيائهم كذا بحثه العسقلانى اهـ (و) الصلاة والسلام على (أصحابه) هم جمع صاحب بمعنى الصحابى

محمد وعلى اخوانه من الانبياء وأصحابه

وآله أما بعد فهذه رسالة قليلة المبانى لكنها غزيرة المعانى لانها اشتملت على الخمسين عقيدة وعلى السمعيات المفيدة وعلى فوائد أخر حرية بأن تحفظ وتدخر

وهو من اجتمع بنبينا صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد نبوته فى حال حياة كل اجتماعا متعارفا بأن يكون فى الارض على العادة بخلاف ما يكون فى السماء أو بين السماء والارض وان لم يره أو لم يرو عنه شيأ أو لم يميز على الصحيح وأما قولهم ومات على الاسلام فهو شرط لدوام الصحبة لا لاصلها وان ارتد والعياذ بالله تعالى ومات مرتدا انقطعت صحبته كعبد الله بن خطل وأما من عاد الى الايمان كعبد الله بن أبى سرح فتعود له الصحبة لكن مجردة عن الثواب وفائدة عودها التسمية والكفاءة فيسمى صحابيا ويكون كفؤا لبنت الصحابى (و) الصلاة والسلام على (آله) هم فى مقام الدعاء كما هنا كل مؤمن ولو عاصيا لان العاصى أشد احتياجا للدعاء من غيره وفى مقام المدح كل مؤمن تقى أخذا مما ورد آل محمد كل تقى وان كان ضعيفا وأما أنا جد كل تقى فلم يرد وفى مقام الزكاة بنو هاشم و بنو المطلب عندنا معاشر الشافعية فتحصل أنهم مختلفون باختلاف المقامات وانما قدم رحمه الله لفظ أصحابه على لفظ آله على خلاف المتواتر مراعاة للسجع ولان جملة الصحب أفضل من جملة الآل اذ فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما قال ابن حجر رحمه الله تعالى فى شرح المنهاج وأصحابه صلى الله عليه وسلم أفضل من آل لا صحبة لهم والنظر لما فيهم من البضعة الكريمة انما يقتضى الشرف من حيث الذات وكلامنا فى وصف يقتضى أكثرية العلوم والمعارف اهـ ولما أراد الانتقال من البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على من ذكر الى المقصود من جمع هذا الكتاب أتى بالكلمة المسماة بفصل الخطاب التى يؤتى بها للانتقال من اسلوب الى آخر اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان يأتى بها فى خطبه ومراسلاته لذلك كما ثبت فى الاحاديث الصحيحة ففى الحديث الصحيح فى كتاب هرقل أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم الحديث فقال (أما بعد) أى مهما يكن من شئ بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على من ذكر (فهذه) المؤلفة الحاضرة فى الذهن (رسالة) وهى ما اشتمل على مسائل قليلة من فن واحد فيكون قوله رحمه الله تعالى (قليلة المبانى) أى الحروف صفة كاشفة ولما كان ما ذكر يوهم انها قليلة العلم والمعانى استدرك رحمه الله تعالى عليه برفع هذا الايهام بقوله (لكنها غزيرة) أى كثيرة (المعانى) وذلك (لانها اشتملت على الخمسين عقيدة) أى معتقدة فعيلة بمعنى مفتعلة أى مما يجب على كل مكلف اعتقاده وهى محتوية على بيان ما يجب لذات الله تعالى وما يستحيل عليه تعالى وما يجوز وعلى مثل ذلك فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى البراهين القطعية النقلية والعقلية التى يخرج بها المكلف من ربقة التقليد الى نور التحقيق حتى لا يكون فى ايمانه خلاف (و) لانها اشتملت (على السمعيات) أى التى تتوقف على سمع ونقل مما ليس للعقل فيه مجال (المفيدة) للمكلف باعتقادها فائدة يسلم بها من موارد الجهل ويكرع بها من موارد الفضل (و) لانها اشتملت (على فوائد) جمع فائدة وهى فى الاصل ما استفاده الشخص من خيرات الدنيا والآخرة والمراد بها هنا خصوص المسائل العلمية كذكر الحكم العقلى وأقسامه والرد على أهل الضلال ونبذة من فن التصوف الذى هو حياة النفوس كما سترى ذلك ان شاء الله تعالى وقوله رحمه الله تعالى (أخر) صفة لفوائد (حرية) أى حقيقة (بأن تحفظ) أى بأن يحفظها المكلف (وتدخر) له فى الدنيا والآخرة ليرد بها على أهل الزيغ والضلال ويرتقى بها الى أعلا ذروة الايمان وترتفع رتبته عند الكبير المتعال فينال بذلك منازل أهل السعادة والعرفان فهو أعنى لفظ تدخر بالدال المهملة فيهما على ما قيل والا فالافصح ان ما فى الدنيا بالمهملة ومنه قوله تعالى وما تدخرون فى بيوتكم وما فى الآخرة بالمعجمة ومنه اللهم اجعله فرطا لابويه وسلفا وذخرا

(قوله وهو من اجتمع بنبينا صلى الله عليه وسلم الخ) فيدخل فى الصحابى على هذا التعريف ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وكنيت أمه به لكتم بصره واسمه عبد الله أحد المؤذنين له صلى الله عليه وسلم ويدخل الصبيان كعبد الله بن الحرث الذى حنكه صلى الله عليه وسلم وكذا من مسح وجهه كعبد الله بن ثعلبة أو تال فى حجره كابن أم قيس أو رآه فى مهده كمحمد بن أبى بكر الصديق ويدخل عيسى والخضر والياس عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام وتدخل الملائكة الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم فى الارض فعيسى عليه الصلاة والسلام آخر الصحابة من البشر الظاهرين وفيه بلغز فيقال لنا صحابى أفضل من أبى بكر الصديق وذلك لانضمام النبوة الى الصحبة وان

وقول الشاعر   واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

ثم وصف رحمه الله تعالى الرسالة ثانيا مستأنفا فى جواب سؤال مقدر نشأ مما قبله تقديره هل تكفى هذه الرسالة المكلف فى دينه كما يدل عليه الوصف الذى قدمه وهو كونها غزيرة المعانى بقوله (تكفى) ان شاء الله تعالى (ان أراد الاكتفاء بها) أى عن غيرها من المطولات (من هذا الفن) المؤلفة هى فيه وهو فن عقائد الايمان ويسمى علم التوحيد وعلم أصول الدين وعلم العقائد وعلم الكلام (يبتدى ولهذا) أى ولاجل كون هذه الرسالة تكفى المبتدى بهذا الفن ان أراد الاكتفاء بها (سميتها بكفاية المبتدى) ولا تستغنى عنها ان شاء الله تعالى المنتهى والمبتدى هو الآخذ فى صغار العلم والمتوسط هو الآخذ فى أواسطه والمنتهى هو الآخذ فى كباره وان شئت قلت المبتدى هو من لم يقدر على تصوير المسئلة والمتوسط هو من قدر على تصوير المسئلة ولم يقدر على اقامة الدليل عليها والمنتهى هو من قدر على تصوير المسئلة وعلى اقامة الدليل عليها ثم وصف رحمه الله تعالى الرسالة ثالثا بقوله (الفها) أى الرسالة المذكورة والتأليف ضم شئ الى شئ آخر على وجه الالفة وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ونكتته التوطئة الى الوصف بالعبودية والفقر فان قلت كان يمكنه ان يقول الفتها بعون ربى القدير العلى وأنا العبد الفقير محمد على قلت نعم لكن فيه طول لا يخفى وأيضا يقع العبد الفقير فضلة لان الحال فضلة مع ان المقصود وقوعه عمدة (بعون ربه) أى خالقه ومالكه وجابر كسره لا بعون غيره تعالى والرب جاء لمعان نظمتها فى قولى

* معان الرب خمس ثم عشر * هى المعبود والمولى المربى
وخالقنا وما لكنا وربيب * كثير الخير مصلح كل قلب
مدبرنا وسيدنا محيط * وجامعنا وجابر كل عطب
وصاحب ثابت فاحفظه تسمو * كذا اطلب لى القبول وغفر ذنبى

قال بعضهم وفى لفظ الرب خصوصية لا توجد فى غيره من أسمائه تعالى وهو أنك اذا قرأته طردا كان من أسمائه تعالى واذا قلبته كان من أسمائه تعالى وهو بر بفتح الباء بمعنى محسن ثم وصفه رحمه الله تعالى بقوله (القدير) أى ذى القدرة التامة المتعلقة بكل ممكن اشارة الى أنه تعالى هو الذى تتم باعانته الامور لا بما عداه لانه القادر على كل شئ وغيره عاجز عن كل شئ والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة فهى لا تكون حقيقة الا منه ولا تسند حقيقة الا اليه يقال اعاننى الله والله خير معين (العلى) أى المرتفع المتنزه عن كل ما لا يجوز عليه تعالى وارتكب المصنف رحمه الله تعالى الالتفات كما نبهنا عليه توطئة لقوله (العبد) أى المملوك لمولاه بسبب الايجاد فهو اعتراف بعدم استقلاله بامره وللعبد ستة معان عبد الايجاد وهو كل مخلوق لله تعالى قال تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وعبد الدينار والدرهم وهو المنهمك فى تحصيلهما وخدمتهما دائما وعبد العبودية وهو المنهمك فى طاعة مولاه وهذا مأخوذ من التعبد وهو التذلل والخضوع وعبد البيع والشراء وهو الذى يجوز بيعه وشراؤه وسواء كان أبيض أو اسود والانسان مطلقا ذكرا كان أو أنثى حرا أو رقيقا والمكلف ولو ملكا أو جنيا والمراد بالعبد هنا عبد الايجاد كما فسرنا ويصح ان يراد به عبد العبودية تحدثا بنعمة مولاه تعالى ولا يصح ان يراد به هنا عبد الدينار والدرهم فان قلت ارادته صحيحة نظرا للتواضع وكثيرا ما يقول الصلحاء أنا عبد بطنى وأنا عبد الدنيا قلت ارادته فيها تعرض لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعس عبد الدينار والدرهم ولا ينبغى للشخص أن يتعرض لدعاء الشارع عليه ثم وصف رحمه الله تعالى العبد

تكفى انه أراد الاكتفاء بها من هذا الفن يبتدى ولهذا سميتها بكفاية المبتدى ألفها بعون ربه القدير العلى العبد

كانت صحبة الصديق أفضل من حيث الاتفاق عليها وقد نظم هذا اللغز التاج السبكى رحمه الله فقال

من باتفاق جميع الخلق أفضل من
خير الصحاب أبى بكر ومن عمر
ومن على ومن عثمان وهو فتى
من أمة المصطفى المختار من مضر

وقد أجبت عن هذا اللغز بقولى متبرئا من قوتى وحولى

ذاك الرسول الذى فوق السماء علا
حيا فصاحبه أفضل البشر
عيسى بن مريم من قرب القيامة يأ
تينا فيقضى بشرع المصطفى النضر

وأما الملائكة فباقون الى النفخة وآخرهم موتا عزرائيل والخضر يموت عند رفع القرآن وقيل بل مات والحاصل ان الخضر والياس حيان على المعتمد ولكن الياس رسول بنص القرآن قال

 ﷺ تعالى وان الياس لمن المرسلين وأما الخضر فقيل ولى وقيل نبى

بالوصف الذاتى له وان بلغ النهاية فى القرب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى حكاية
عن موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم رب انى لما انزلت الى من خير فقير فقال (الفقير)
الى الله تعالى أى كثير الاحتياج اليه تعالى ان جعل صيغة مبالغة أو دائمه ان جعل صفة مشبهة
وهذا أحسن وأما الاول ففيه شئ لان المصنف رحمه الله تعالى وغيره دائم الاحتياج لانعام ربه
لا كثيره المفيد انه قد لا يحتاج اليه فان قلت لم عبر بالفقير دون المفتقر مع انه أبلغ قلت تأسيا بقوله
تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقوله والله الغنى وأنتم الفقراء واعلم أن الفقر كما فى حدائق
الحقائق ثلاثة أقسام أولها فقر الخلق الى الحق وهو فقر عام بالحقيقة شامل لكل مخلوق والثانى
فقر العوام وهو عدم المال وهذا الفقير يستغنى بالمال والثالث فقر النفس وهذا الفقير
لا يغنيه شئ وهو الفقر الذى تعوذ منه صلى الله عليه وسلم واشار اليه بقوله لوان لابن آدم واديين
من ذهب لابتغى ثالثهما اه والفقير الصابر هو الشاكر له على اختيار الفقر له الكاتم لفقره
الذى يخاف على زوال نعمة الفقر كما يخاف الغنى على زوال نعمة الغنى وصح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال الفقر فخرى (محمد على) ابن عبد القادر زاهد الخطيب ابن عبد الله الخطيب ولا يخفى ان
ما بين العلى وعلى من المحسنات البديعية الجناس التام (الاشعرى) أى اعتقادا (الشافعى) أى
مذهبا (القدسى) أى بلدا ومولدا واعلم أن القدسى نسبة الى قدس بضمتين بلدة مشهورة بارض
الجاوا قيل انما سميت بذلك لانه نزل بها ولى من أولياء الله تعالى شريف من اشراف القدس أعنى
بيت المقدس فكان يرشد الناس فيها فسميت باسم بلدته وتصرفوا فى الاسم وكان سيدى
العارف بالله والدال على مولاه ذو الكرمات الباهرة والفيوضات الظاهرة العلامة السيد شيخ
ابن أحمد بافقيه باعلوى المدفون بسربايا رحمه الله تعالى ونفعنا به وباسراره آمين يحب هذه البلدة
كثيرا وقد انشد فى مدحها اشعارا ليس هذا محل بسطها (المكى) أى منزلا واقامة ومجاورة ووفاة
فانه رحمه الله تعالى نزل بها وأقام وجاور بها للعبادة الحى القيوم واستفادة وافادة العلوم قريبا من
ثلاثين سنة حتى توفاه الله تعالى فيها وحاصل ما يتعلق بترجمته أنه رحمه الله تعالى ولد ببلده قدس
ونشأ فيها فى حجر والده وقرأ القرآن الذى نزل به روح القدس فلما ترعرع ونما وحفظ جملة من
المتون ونال شيأ من العلوم ارتحل الى مكة وعمره اذ ذاك قريب من عشرين سنة لاداء المناسك
وزيارة المصطفى صاحب السر المكتوم وأصحابه الكرام ومآثره الفخام فلما أدى جميع ما ذكر
على الوجه الاتم قصد المجاورة والاقامة بمكة حرم الله المعظم فيسر الله تعالى له أسبابها فاقام قريبا
من ثلاثين سنة الى ان توفاه الله بها وجل قصده بل كله بالاقامة فى هذا الحرم المنيف الاجتهاد
فى تحصيل العلم الشريف فبذل جهده فيه واجتهد غاية الاجتهاد حتى استفاد العلوم النافعة وأفاد
وكان قد أدرك الافاضل الاعلام المعروفين بجلالة القدر بين الانام من لسان الدهر لانواع
فضائلهم على مدى الازمان راوى منهم العلامة الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى والعلامة الشيخ
يوسف السنبلاوينى والعلامة الشيخ أحمد النحراوى رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم آمين بجاه الامين
وغيرهم من الاماثل الاعيان من ذوى الكمالات والعرفان وتلقى عنهم ما تيسر من العلوم
وصار يأخذ منها بالمنطوق والمفهوم الا ان أكثر تحصيله كان مع الملازمة الى وفاته على استاذنا
استاذ الاساتذة محط رحال الجهابذة شيخ الاسلام والسند الامام العلى الهمة العظيم الشان

وقيل رسول وخير الامور أوساطها أى انه نبى وهذا هو الاصح كما حققه العلماء الاعلام ومنهم ابن حجر الهيتمى فى فتاويه الحديثية رحمه العلام ويخرج بقولنا فى حال حياة كل من اجتمع به بعد موته ولو قبل دفنه ولو شاهده فلا يسمى صحابيا نحو بلد بن خالد الهذلى فانه حضر الصلاة عليه ورآه مسجى وشهد دفنه ويخرج به أيضا الاولياء الذين اجتمعوا به بعد موته فليسوا بصحابة واعلم ان عدد الصحابة الذين توفى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحياء مائة الف صحابى وأربعة وعشرون الفا رضى الله عنهم أجمعين كعدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان عدد الاولياء فى كل عصر كذلك أفاده فى الدر المنثور وغيره ثم اعلم انه يعرف كون الشخص صحابيا بالتواتر كالعشرة المبشرة بالجنة والاستفاضة والشهرة كعكاشة بن محصن رضى الله عنه أو باخبار بعض الصحابة المعروفين كحممة ابن حممة الدوسى الذى مات باصبهان مبطونا فشهد له أبو موسى الاشعرى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم أو بعد ثقات التابعين له فى الصحابة أو باخباره الحبر عن نفسه انه صحابى اذا كانت دعواه تدخل تحت الامكان وكان ثقة أمينا مقبول القول اه

الحبر الذي لم يسمح بمثله الزمان سيدنا ومولانا وبركتنا الاستاذ السيد أحمد بن زيني دحلان رحمه الله تعالى ونفعنا به بجاه جده سيد ولد عدنان ثم في مدة قريبة ظهرت عليه آية النجابه فلأ الله تعالى من نفائس العلوم وطابه فدرس وقصدته الطلبة من البلاد القريبة والبعيدة والف التآليف الجامعة المفيدة منها هذه الرسالة التي تلوح عليها انوار الجلاله ومن تمام اخلاصه لله في هذه الرسالة البديعة النظام انه بعد وفاته بتسع سنين في سنة اثنين بعد الثلثمائة والالف من هجرته عليه الصلاة والسلام حصل حريق في الدار التي كنت بها الكائنة بباب السلام الصغير فحرق جميع ما في الدار من الامتعة والكتب وغيرهما فما خرج من الكتب الا هذه الرسالة مع جملة أوراق وما ذاك الا باخلاصه لله فيها وكرامة المصطفى المختار فالذين أخذوا عنه العلوم عدد كثير ومن جملتهم العبد الحقير فاني قرأت عليه قبل وفاته بنحو سنة شرح الغاية المعروف بفتح القريب وشرح الآجرومية وغيرهما من الكتب المستحسنة مع أخي وشقيقي المرحوم بكرم الغفور محمد نور رحمه الله بالرحمة والرضوان وأدخله اعلى فراديس الجنان ولم يزل الوالد المترجم له رحمه الله تعالى ملازما للتعلم والتعليم الى ان انتقل الى رحمة الرحمن الرحيم وذلك ليلة الجمعة ليلة الثالث والعشرين من ذي القعدة الذي هو أول الثلاثة الاشهر الحرم المتوالية سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف من هجرة طه ذوي المناقب العالية ودفن ضحوتها بعد ان صلى عليه بالمسجد الحرام بمحفل عظيم من الانام تلقاء قبة سيدتنا خديجة الكبرى زوجة نبينا بدر التمام عليه وعلى سائر الانبياء والآل والصحب الصلاة والسلام فهو في حماها وجوارها آنسه الله تعالى وسقاه والمسلمين وابل رحمته وأسكنه من فضله فراديس جنته آمين بجاه الامين

(فيقول) أي العبد المذكور مشتق من القول وهو كما قال النحاة اللفظ الموضوع لمعنى وانما عبر رحمه الله تعالى بالمضارع دون الماضي لان القول هنا لم يقع في الماضي بل في المستقبل والمراد بالقول هنا الكتابة لان القلم أحد اللسانين أو المراد به الكلام النفسي لان اثبات الشئ في التأليف يكون بعد استحضاره واجرائه على قلبه بالفاظ مخيلة

مقدمة

هي بكسر الدال بمعنى متقدمة من قدم بتشديد الدال اللازم بمعنى تقدم ومنه قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه أما بتخفيفها فهي بمعنى أقبل كما في قولك قدم زيد أي أقبل وبفتح الدال على قلة كمقدمة الرحل من قدم المتعدي ومنه قدم زيد عمرا والمقدمة من حيث هي أي سواء كانت بالكسر أو بالفتح اما ان تكون مقدمة علم أو مقدمة كتاب فمقدمة العلم هي الالفاظ الدالة على المعاني التي يتوقف عليها الشروع في ذلك العلم كتعريفه وبيان موضوعه وغايته الى آخر المبادي العشرة المشهورة ومقدمة الكتاب اسم لطائفة من الالفاظ قدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه وهذه هي المرادة هنا (اعلم) أي يا من يتأتى منك العلم فهذا خطاب لكل مكلف يتأتى منه العلم وفيه تنزيل المترقب حصوله منزلة الحاصل لانه حين التأليف لم يكن عنده أحد وسبب هذا التنزيل قوة رجائه تعاطي الناس لرسالته وهي كلمة يؤتى بها لشدة الاعتناء والاهتمام بما بعدها وتنبيها للسامع على أن ما يلقى اليه من القول يلزم حفظه فيصغي اليه ويقبل بكليته عليه أي تنبه ايها الطالب وتيقظ فانه لا عذر لك بالجهل مع وجود العلماء واشارة الى ان كسب العلم أفضل الاكتساب وهو النعمة التامة وغيره ليس بنعمة تامة ولذا كان الطعام اذا أكله الانسان يطلب الفرج منه بخروجه

فيقول *(مقدمة)* اعلم

(قوله الاستاذ السيد أحمد بن زيني دحلان) هذا هو المراد عند الاطلاق بقولي شيخنا وشيخ مشايخنا أو شيوخنا في هذا الكتاب وغيره رضي الله عنه ونفعنا به وامدنا بمدده آمين وأما اذا أطلقت وقلت شيخنا فالمراد به من اشتهرت بنسبتي اليه ومن جعل الله تعالى الفتوح على يديه سيد أهل المكارم والعطا استاذنا العلامة السيد أبو بكر بن السيد محمد شطا أطال الله بقاءه ونفعنا به بجاه جده حبيب الله ومصطفاه آمين اه مؤلف

(قوله فالذين أخذوا العلوم عنه الخ) مفرع على قوله فدرس وقصدته الطلبة الخ

والثياب الحسنة مما يمل منها والعلم لا يمل منه صاحبه بل يطلب زيادته من الله تعالى ولذا أمر الله المصطفى صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه فقال وقل رب زدني علما وانما قال اعلم ولم يقل اعرف اقتداء بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ولفظ اعلم من اخوات ظن يطلب مفعولين فسد مسد مفعوليه المصدر المنسبك في قوله (ان الحكم العقلي منحصر في ثلاثة أقسام) سيأتي وجه الحصر والحكم هو اثبات أمر لامر أو نفيه عنه والحاكم بالاثبات أو النفي اما الشرع واما العقل واما العادة فلهذا انقسم الى ثلاثة اقسام شرعي وعادي وعقلي فالشرعي هو كلام الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اما بالطلب أو الوضع له فدخل في قولنا اما بالطلب خمسة الايجاب وهو طلب الفعل طلبا جازما كالايمان بالله تعالى ورسله وكقواعد الاسلام الخمس التي هي شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا والندب وهو طلب الفعل طلبا غير جازم كصلاة سنة الوتر ونحوها والتحريم وهو طلب الترك عن فعل شئ طلبا جازما كالشرك والزنا ونحوهما والكراهة وهي طلب الكف عن فعل شئ طلبا غير جازم كاكل البصل والثوم نيا والاباحة وهي طلب التخيير بين الفعل والترك كالاكل والشرب والبيع والشراء والنكاح بشروطها ودخل في قولنا أو الوضع له أي للطلب خمسة اقسام وهي كلام الله المتعلق بكون الشئ سببا أو شرطا أو مانعا أو صحيحا أو فاسدا واذا نظرت الى كون هذه الخمسة تجري مع كل واحد من الخمسة السابقة كانت الجملة خمسة وعشرين حاصلة من ضرب خمسة في مثلها وتوضيح ذلك معروف في الكتب المطولات والحكم العادي هو اثبات امر لامر أو نفيه عنه بواسطة التكرار مع صحة التخلف وعدم تاثير أحدهما في الآخر ألبتة وينحصر في اربعة اقسام ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الاكل وربط وجود بعدم كربط وجود البرد بعدم الستر وربط عدم بوجود كربط عدم الاحراق بوجود الماء والحكم العقلي هو اثبات أمر لامر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع وينحصر في ثلاثة أقسام كما علمت (وهي) أي الثلاثة الاقسام (الوجوب والاستحالة والجواز) لان كل ما حكم به العقل من اثبات أو نفي يرجع اليها وذلك لان ما حكم به ان كان لا يقبل الا الثبوت فهو الواجب وان كان لا يقبل الا النفي فهو المستحيل وان كان يقبل الثبوت والنفي فهو الجائز ثم عرف رحمه الله تعالى كل واحد من الاقسام الثلاثة بما اشتق منها اذ معرفة المشتق تستلزم معرفة المشتق منه لانه جزؤه اذ الواجب أمر موصوف بالوجوب وهكذا فقال (فالواجب هو ما لا يقبل العقل) أي الكامل وهو نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية (انتفاءه) وهو اما ضروري وهو ما لا يحتاج العقل في ادراكه الى تأمل ولا نظر (كالتحيز للجرم أي أخذه قدرا من الفراغ) الموهوم والجرم كل ما ملأ فراغا كالحجر والشجر واجساد الحيوانات فاذا قال لك شخص ان الحجر مثلا لم يأخذ محلا من الارض مثلا لا يقبل عقلك ذلك فاخذه محلا واجب عقلي واما نظري وهو ما يحتاج في ادراكه الى تأمل ونظر كالقدم مثلا لمولانا جل وعز فان وجوب القدم له تعالى لا يدرك الا بعد التأمل والنظر (والمستحيل هو ما لا يقبل العقل ثبوته) وهو اما ضروري بمعنى ما تقدم (كخلو الجرم عن الحركة والسكون معا) لانه اذا قال لك شخص ان الحجر مثلا خال عن الحركة والسكون معا لا يقبل عقلك ذلك فخلو الجرم عن الحركة والسكون معا مستحيل أي لم يقبل عقلك وقوعه واما نظري كالشريك لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان استحالة الشريك لله تعالى لا تدرك الا بعد النظر والتأمل (والجائز هو ما يقبل العقل ثبوته تارة وانتفاءه) تارة (أخرى) وهو

أن الحكم العقلي منحصر في ثلاثة أقسام وهي الوجوب والاستحالة والجواز فالواجب هو ما لا يقبل العقل انتفاءه كالتحيز للجرم أي أخذه قدرا من الفراغ والمستحيل هو ما لا يقبل العقل ثبوته كخلو الجرم عن الحركة والسكون معا والجائز هو ما يقبل العقل ثبوته تارة وانتفاءه أخرى

اماضرورى بمعنى ماتقدم (كوجود ولد لزيد مثلا) لانه اذا قال قائل ان زيدا له ولد جوزعقلا ثم صدق ذلك أوقال ان زيدا لا ولد له جوزعقلا صدق ذلك أيضا فوجود ولد لزيد وعدمه جائز أى يقبل العقل وجوده تارة وعدمه أخرى وامانظرى كتعذيب الله المطيع واثابته العاصى واعلم ان معرفة هذه الاقسام الثلاثة وتكريرها تأنيسا للقلب بأمثلتها حتى لا يحتاج الفكر فى استحضار معانيها الى كلفة أصلا مما هو ضرورى على كل عاقل يريد ان يفوز بمعرفة الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام بل قال امام الحرمين وجماعة من العلماء ان معرفة هذه الاقسام الثلاثة هى نفس العقل فمن لم يعرف معانيها فليس بعاقل والله تعالى الموفق (ويجب على كل مكلف) أى كل فرد من افراد المكلفين من الانس والجن فانهم مكلفون كالانس لكن تكليفهم من حين الخلقة ذكرا كان أو أنثى ولو من العوام والعبيد والنساء والخدم حتى يأجوج ومأجوج دون الملائكة ولو قلنا بأنهم مكلفون لان الخلاف فى تكليفهم انما هو بالنسبة لغير معرفة الله تعالى أما هى فانها جبلية لهم فليس فيهم من يجهل صفاته تعالى كما فى الانس والجن ولذا قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة ثم قال وأولوا العلم فلم يطلق الامر كما أطلقه فى الملائكة وشروط التكليف البلوغ والعقل وسلامة الحواس وبلوغ الدعوة فالمكلف هو البالغ العاقل سليم الحواس ولو السمع أو البصر فقط الذى بلغته الدعوة فخرج الصبى ولو مميزا والمجنون وفاقد الحواس ومن لم تبلغه الدعوة فليس كل منهم مكلفا وطلب العبادة من الصبى المميز كالصلاة والصوم ليس لتكليفه بها بل لترغيبه فيها ليعتادها فلا يتركها ان شاء الله تعالى واختلف هل يكتفى بدعوة أى رسول كان ولو آدم أولا بد من دعوة الرسول الذى أرسل الى هذا الشخص والصحيح الثانى وعليه فاهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاوثان واذا علمت ان أهل الفترة ناجون علمت ان أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان لكونهما من أهل الفترة بل هما من أهل الاسلام لما روى ان الله تعالى أحياهما بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فآمنا به ولذلك قال بعضهم

حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا

فاحيا أمه وكذا اباه * لايمان به فضلا منيفا

فسلم فالقديربذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وهذا الحديث هو ماروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيى له أبويه فاحياهما فآمنا به ثم أماتهما قال السهيلى والله قادر على كل شئ له ان يخص نبيه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته اه ولعل هذا الحديث صح عند بعض أهل الحقيقة كما أشار اليه بعضهم بقوله

ايقنت ان أبا النبى وأمه * أحياهما الرب الكريم البارى

حتى له شهدا بصدق رسالة * صدق فتلك كرامة المختار

هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عارى

وقد الف الجلال السيوطى مؤلفات فيما يتعلق بنجاتهما فجزاه الله خيرا ويجب على من ذكر (شرعا) أى وجوبا شرعيا ويفسر هذا الوجوب (بمعنى مايثاب على فعله ويعاقب على تركه) بخلاف الوجوب العقلى فانه بمعنى مالا يقبل العقل انتفاءه كما تقدم (ان يعرف مايجب لذات مولانا) أى متولى أمورنا (جل) أى تنزه عما لا يليق به (وعز) أى اتصف بما يليق به وأتى المصنف رحمه الله تعالى بذلك لان الاولى للعبد ذكر مايدل على تنزيه مولاه متى ذكره عز وجل بل نص

كوجود ولد لزيد مثلا
ويجب على كل مكلف
شرعا بمعنى مايثاب على
فعله ويعاقب على تركه
ان يعرف ما يجب
لذات مولانا جل وعز

بعض العلماء على وجوب ذلك فقال يجب على كل من سمع لفظ الله ان يذكر بعده ما يفيد التعظيم بان يقول الله سبحانه وتعالى أو الله تعالى أو الله سبحانه أو الله تبارك وتعالى أو الله تبارك أو الله عز وجل أو عز اسمه أو جل شأنه أو غير ذلك مما يدل على عظمته تعالى لان رعاية الادب مع أهله واجبة والله أحق ان يتأدب له قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في مقدمته على صحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيرى رضي الله عنه ويستحب لكاتب الحديث وغيره اذا مر بذكر الله عز وجل ان يكتب عز وجل أو تعالى أو سبحانه وتعالى أو تبارك وتعالى أو جل ذكره أو تبارك اسمه أو جلت عظمته أو ما أشبه ذلك وكذلك يكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام بتمامهما لا رامزا اليهما ولا مقتصرا على أحدهما وكذلك يقول في الصحابي رضي الله عنه فان كان صحابيا ابن صحابي قال رضي الله عنهما وكذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء والاخيار ويكتب كل هذا وان لم يكن مكتوبا في الاصل الذي ينقل منه فان هذا ليس رواية وانما هو دعاء وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وان لم يكن مذكورا في الاصل الذي يقرأ منه ولا يسأم من تكرر ذلك ومن أغفل هذا حرم خيرا عظيما وفوت فضلا جسيما انتهى (وما يستحيل) عليه تعالى (وما يجوز) يعني أنه يجب على كل مكلف شرعا بمعنى ما ذكر معرفة الثلاثة التي ذكرتها آنفا من الواجب والمستحيل والجائز عليه تعالى لان بمعرفة ذلك يكون مؤمنا محققا لايمانه على بصيرة في دينه وانما قلنا ان يعرف ولم نقل ان يجزم اشارة الى ان المطلوب في عقائد الايمان المعرفة وحقيقتها الجزم المطابق للواقع عن دليل واحترزنا بقولنا الجزم عن الظن والشك والوهم فلا يكفي ذلك في العقائد بالاجماع واحترزنا بقولنا المطابق للواقع أي لما في نفس الامر وهو ما في علم الله تعالى أو ما في اللوح المحفوظ عن الجزم غير المطابق للحق كجزم النصارى بالتثليث فانه لا يسمى معرفة بل يسمى جهلا مركبا واحترزنا بقولنا عن دليل عن الجزم المطابق للواقع النقلي عن غير دليل فانه لا يسمى معرفة بل يسمى تقليدا فلا يكفي فيها التقليد وهو الجزم المطابق في عقائد الايمان من غير دليل والى وجوب المعرفة وعدم الاكتفاء بالتقليد ذهب جمهور المتكلمين كالشيخ الاشعري والقاضي أبي بكر الباقلاني وامام الحرمين وحكاه ابن القصار عن مالك أيضا ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة فقال بعضهم المقلد مؤمن الا انه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح وقال بعضهم انه مؤمن ولا يعصى الا اذا كان فيه أهلية للنظر وقال بعضهم المقلد ليس بمؤمن اصلا وقد أنكره بعضهم والراجح في هذه الاقوال الثلاثة ان المقلد مؤمن عاص ان كان قادرا على الدليل ومؤمن غير عاص ان لم يكن قادرا عليه واعلم ان الخلاف في ايمان المقلد انما هو بالنسبة الى أحكام الآخرة أما بالنظر الى أحكام الدنيا فيكفيه الاقرار فقط فمن أقر جرت عليه الاحكام الاسلامية اتفاقا ولا يحكم عليه بالكفر الا ان صدر منه ما يقتضيه (و) يجب على كل مكلف أيضا (ان يعرف لها) أي الثلاثة التي هي الواجب والمستحيل والجائز (دليلا اجماليا أو تفصيليا) والدليل الاجمالي هو المعجوز عن بيان وجه دلالته على الوجه المطلوب والدليل التفصيلي هو المقدور على بيان وجه دلالته على الوجه المطلوب (و) كذا يجب عليه أيضا (ان يعرف) أي معرفته (مثل ذلك المذكور) مما يجب وما يستحيل وما يجوز (لذات الرسل عليهم الصلاة والسلام) والرسل بضم الراء والسين جمع رسول وقد تقدم تعريفه وانما سكت رحمه الله تعالى عن الانبياء غير الرسل نظرا الى ان مجموع الاحكام الآتية التي من جملتها وجوب التبليغ واستحالة ضده انما يأتي في الرسل دون الانبياء غير الرسل وما قيل من أنه يجب

وما يستحيل وما يجوز وان يعرف لها دليلا اجماليا أو تفصيليا وان يعرف مثل ذلك المذكور لذات الرسل عليهم الصلاة والسلام

(قوله وان يعرف لها دليلا اجماليا أو تفصيليا) حاصل ما يقال في هذا المقام مع التوضيح أنه يجب على كل مكلف من ذكر وأنثى وجوبا عينيا معرفة كل عقيدة بدليل ولو اجماليا وأما معرفتها بالدليل التفصيلي ففرض كفاية فيجب على أهل كل قطر أي ناحية يشق الوصول منها الى غيرها أن يكون فيهم من يعرفها بالدليل التفصيلي لانه ربما طرأت شبهة فيدفعها وبعضهم أوجب الدليل التفصيلي وجوبا عينيا وردوه بأنهم ضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بطائفة يسيرة فالحق ان الواجب وجوبا عينيا انما هو الدليل الاجمالي وهو المعجوز عن تقريره وحل شبهه وأما الدليل التفصيلي فهو المقدور على تقريره وحل شبهه فاذا قيل لك ما الدليل على وجود الله تعالى فقلت العالم ولم تعرف

على النبي أن يبلغ الناس أنه نبي ليحترم لايخفى أنه تبعد ارادته هنا (قال العلماء رحمهم الله تعالى) أي اللهم ارحمهم وعبر رحمه الله تعالى بالجملة الماضوية اشارة الى ان الرحمة ووقوعها محقق تفاؤلا على حد قوله تعالى أتى أمر الله أي يأتي فشبه رحمه الله تعالى الرحمة المستقبلة بالرحمة الماضية بجامع تحقق الوقوع في كل ثم اشتق من الرحمة الماضية رحم بمعنى يرحم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية اي أسألك يا الله ان ترحمهم فهي جملة خبرية لفظا ومعناها الطلب لكن لا يحتاج الى استحضارية الطلب لكثرة استعمال اللفظ فيه في العرف كثرة تامة حتى صار كالمنقول من الخبر للطلب وانما دعا المصنف رحمه الله تعالى للعلماء السابقين اقتداء بمن أثنى الله تعالى عليهم بقوله عز قائلا والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فان قيل لم يعبر بما في الآية وهو الدعاء بالمغفرة بأن قال غفر الله لهم فالجواب انما لم يعبر بما ذكر اشارة الى حصول المقصود بكل دعاء أخروي ولان الرحمة أعم من المغفرة على ان في ايثار لفظ الرحمة تأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى ولما تقدم من أنه من الآداب المستحبة ان يترضى و يترحم الشخص على سائر العلماء والاخيار و يكتب هذا وان لم يكن مكتوبا في الاصل الذي ينقل منه فان هذا ليس رواية وانما هو دعاء و ينبغي للقارئ ان يقرأه وان لم يكن مذكورا في الاصل الذي يقرأ منه ولا يسأم من تكرر ذلك ومن أغفل هذا حرم خيرا عظيما وفوت فضلا جسيما (وتقديم هذا العلم) أي علم التوحيد (فرض كما يؤخذ من شرح العقائد لانه جعل أساسا يبنى عليه غيره فلا يحكم بصحة وضوء شخص أو صلاته الا اذا كان عالما بالعقائد الخمسين بدلائلها التي سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى) يعني ان من لم يعرف العقائد الخمسين بدلائلها على القول بعدم كفاية التقليد لا يحكم بصحة وضوئه ولا صلاته بل و جميع أعماله لانه غير مؤمن على هذا القول ولهذا أنشد بعض العلماء توبيخا لمن اشتغل بعلم الفقه قبل الاشتغال بعلم التوحيد بقوله

أيها المبتدي لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكما * ثم أغفلت منزل الاحكام

وأتى رحمه الله تعالى بالمشيئة وهي لفظ ان شاء الله امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والسبب في ذلك ان الانسان اذا قال سأفعل كذا لم يبعد ان يموت قبل فعله ولم يبعد أيضا ان يعوقه عنه لو بقي حيا عائق وحينئذ يصير كاذبا فيما وعد به فطلب ان يقول ان شاء الله حتى اذا تعذر الوفاء بذلك الوعد لم يصر كاذبا (فما يجب لذات الله العلية عقلا) أي وجوبا عقليا (بمعنى عدم قبول الانتفاء عشرون صفة و يستحيل عليه تعالى بمعنى عدم قبول الثبوت عشرون أيضا أضدادا للعشرين الواجبة) يعني ان بعض ما يجب له تعالى بمعنى ما تقدم عشرون صفة فمن تبعيضية وانما قلنا ان هذه العشرين بعض ما يجب له تعالى لان صفات مولانا جل وعز الواجبة له لا تنحصر في هذه العشرين اذ كمالاته لا نهاية لها ولم يكلفنا الله تفصيلا الا بمعرفة ما نصب لنا عليه دليلا تفصيليا عقليا كان أو نقليا وهي هذه العشرون وتفضل علينا باسقاط التكليف تفصيلا بما لم ينصب لنا عليه دليلا وان بعض ما يستحيل عليه تعالى كذلك أي عشرون صفة وانما قلنا ان ما ذكر بعض ما يستحيل لان كل ما لا يليق به تعالى مستحيل عليه ولا ينحصر في هذه العشرين اذ النقائص التي لا تليق به المستحيلة عليه تعالى لا نهاية لها كما ان الكمالات كذلك كما علمت الا أنها لما كانت اضداد ما قام الدليل عليه من الواجبات لله تعالى اقتصر عليها والحاصل ان ما قامت الادلة العقلية عليه أو النقلية تفصيلا وهو العشرون الآتية يجب على المكلف ان يعرفه

قال العلماء رحمهم الله تعالى وتقديم هذا العلم فرض كما يؤخذ من شرح العقائد لانه جعل أساسا يبنى عليه غيره فلا يحكم بصحة وضوء شخص أو صلاته الا اذا كان عالما بالعقائد الخمسين بدلائلها التي سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى فما يجب لذات الله العلية عقلا بمعنى عدم قبول الانتفاء عشرون صفة و يستحيل عليه تعالى بمعنى عدم قبول الثبوت عشرون أيضا أضداد العشرين الواجبة

جهة الدلالة فهو دليل جملي و يقال له دليل اجمالي وكذلك اذا عرفت جهة الدلالة ولم تقدر على حل الشبه الواردة عليه وأما اذا عرفت جهة الدلالة وقدرت على حل الشبه فهو دليل تفصيلي فاذا قيل لك ما الدليل على وجوده تعالى فقلت هذا العالم وعرفت جهة الدلالة وهي الحدوث أو الامكان أو هما والثاني شرط أو شطر وقدرت على حل الشبه فهو دليل تفصيلي فتقول في تقريره على الاول العالم حادث وكل حادث لابد له

كذلك أعني تفصيلا وما قامت الادلة العقلية أو النقلية عليه اجمالا وهو سائر الكمالات يجب على المكلف ان يعرفه كذلك أعني اجمالا وكذا يقال في المستحيل فتحصل من هذا أنه يجب على المكلف مع اعتقاده ماذكر من العشرين الواجبة والعشرين المستحيلة ان يعتقد ان كل كمال واجب لله وكل نقص مستحيل لله تعالى وان كمالات الله الواجبة له لا نهاية لها كما أن المستحيلة عليه كذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى والاضداد جمع ضد والمراد به هنا المعنى اللغوي وهو مطلق المنافي لا المعنى الاصطلاحي لان الضدين في الاصطلاح هما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الاختلاف لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض وليست هذه العشرون كلها كذلك بل بعضها ضد وبعضها نقيض وبعضها مساو للنقيض وبعضها أخص من النقيض كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى واذا كان المراد بالاضداد هنا مطلق المنافي كان المعنى ويستحيل عليه تعالى بمعنى ما تقدم عشرون أيضا منافيات للعشرين الواجبة واعلم انه قد انقسمت مباحث هذا الفن الى ثلاثة أقسام الهيات وهي المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالاله ونبويات وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالانبياء وسمعيات وهي المسائل التي لا تتلقى أحكامها الا من السمع وقد شرع رحمه الله تعالى في تفصيل ذلك مقدما الالهيات على غيرها لتعلقها بالحق تعالى وما يتعلق به مقدم على غيره مبتدئا بالواجب لشرفه ومعقبا الكل عقيدة واجبة بضدها تسهيلا للمبتدي ومقدما من الواجب الوجود لانه كالاصل وما عداه كالفرع لان الحكم بوجوب الواجبات له تعالى واستحالة المستحيلات عليه تعالى وجواز ما يجوز في حقه تعالى لا يتعقل الا بعد الحكم بوجوب الوجود له تعالى فقال (وهي) أي العشرون الواجبة له تعالى واضدادها المستحيلة عليه تعالى (الوجود) وهي صفة ثبوتية لا توصف بالوجود ولا بالعدم لانها من جملة الاحوال عند القائلين بها والتعريف المشهور للوجود هي الحال الواجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة ومعنى كونها حالا انها لم ترتق الى درجة الموجود حتى تشاهد ولم تنحط الى درجة المعدوم حتى تكون عدما محضا بل هي واسطة بين الموجود والمعدوم ومعنى قولهم غير معللة بعلة انها لم تلازم شيأ آخر بخلاف الاحوال المعنوية فانها تعلل بالمعاني أي تلزمها كالكون قادرا فانه معلل بقيام القدرة بالذات وكذا الكون مريدا فانه معلل بقيام الارادة بها وهكذا واختلف في الوجود فقيل هو عين الموجود وهذا القول لابي الحسن الاشعري ومن تبعه وقيل هو غير الموجود وهذا القول للامام الرازي (ويسمى هذا) أي الوجود (صفة نفسية) وهي التي لا تتعقل الذات بدونها وليس له تعالى صفة نفسية سوى الوجود كذا قال بعضهم (ودليل وجوب الوجود له تعالى) وجود (هذه المكونات) أي الموجودات من المخلوقات كالسموات والارضين وما فيهما وما بينهما والدلالة (من جهة حدوثها) أي وجودها بعد العدم والدليل على حدوثها انه قام بها التغير من عدم الى وجود ومن وجود الى عدم وذلك اما بالمشاهدة كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة والسواد بعد البياض والحرارة بعد البرودة الى غير ذلك والعكس واما بالدليل وذلك لان ما شوهد سكونه مثلا على الدوام كالجبال أو حركته على الدوام كالكوكب جاز ان يثبت له العكس اذ لا فرق بين جرم وجرم في قبول الحركة والسكون لان ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر فتجوز الحركة على الجبال كما يجوز السكون على الكواكب واذا جاز عدمها استحال قدمها لان ما ثبت عدمه استحال قدمه فتكون حادثة فحينئذ جميع الاعراض حادثة ويلزم من حدوثها حدوث جميع الاجرام لعدم انفكاكها عن الاعراض الحادثة وكل ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث فظهر ان

وهي الوجود ويسمى هذا صفة نفسية ودليل وجوب الوجود له تعالى هذه المكونات من جهة حدوثها

من محدث وعلى الثاني العالم ممكن وكل ممكن لابد له من صانع وعلى الثالث والرابع العالم حادث ممكن وكل حادث ممكن لابد له من محدث ويقوم مقام ذلك ما لو عرف العقائد بالكشف وأما من حفظ العقائد بالتقليد فقد اختلف فيه والاصح أنه مؤمن عاص ان قدر على النظر وغير عاص ان لم يقدر على النظر وقيل مؤمن غير عاص مطلقا وقيل انه عاص مطلقا وقيل انه كافر وجرى على القول الاخير السنوسي في شرح الكبرى وشنع على القول بكفاية التقليد لكن حكي عنه انه رجع عنه الى القول بكفاية التقليد اهـ مؤلف

جميع

وتقرير الدليل أن تقول الموجودات حادثة وكل ما كان حادثا فهو مفتقر الى محدث ينتج الموجودات مفتقرة الى محدث ودليل افتقارها الى ماذكر أنها قبل ايجاد الله تعالى لها كان وجودها مساويا لعدمها فلما وجدت علمنا ان ذلك بموجد لامتناع ترجح أحد الامرين المتساويين على الآخر بغير مرجح فتعين ان له مرجحا غيره وهو الموجد والموجد هو الله سبحانه وتعالى

جميع الموجودات من اعراضها واجرامها حادث اى موجود بعد عدم (وتقرير الدليل) أى على دلالة الموجودات على وجود الله سبحانه وتعالى (ان تقول الموجودات حادثة وكل ما كان حادثا فهو مفتقر الى محدث ينتج الموجودات مفتقرة الى محدث) يحدثها (ودليل افتقارها) أى الموجودات (الى ماذكر) أى الى محدث انها صنعة بديعة محكمة الاتقان وكل ما كان كذلك فله صانع اذ لو لم يكن له صانع للزم ان يكون حدث بنفسه فيلزم ترجح أحد الامرين المتساويين وهو محال وبيان ذلك (انها) اى الموجودات (قبل ايجاد الله تعالى لها كان وجودها مساويا لعدمها فلما وجدت علمنا ان ذلك) أى وجودها (بموجد) أوجدها لا بنفسها وذلك (لامتناع ترجح أحد الامرين المتساويين) أعنى الوجود والعدم (على) مساويه (الآخر بغير) سبب (مرجح) وانما كان ترجح أحد الامرين المتساويين ممتنعا لانه يلزم عليه اجتماع الضدين أعنى المساواة والترجيح بلا مرجح ونظير ذلك ميزان اعتدلت كفتاه ورجحت احداهما بلا سبب وذلك محال فلابد له من مرجح خارج من ذاته واذا كان كذلك (فتعين ان له) أى وجود الموجودات (مرجحا غيره وهو) أى المرجح (الموجد والموجد هو الله سبحانه وتعالى) مثلا زيد قبل وجوده يجوز ان يوجد فى سنة كذا ويجوز ان يبقى على عدمه فوجوده مساو لعدمه فلما وجد وزال عدمه علمنا ان وجوده بموجد أوجده لا بنفسه لانه لو كان وجوده بنفسه لزم ان يكون ترجح على العدم بنفسه وقد كان هذا الوجود مساويا لعدمه وترجح أحد الامرين المتساويين من غير مرجح محال كما علمت فتعين ان له مرجحا غيره وهو الموجد وهو الله سبحانه وتعالى وحاصل جميع ماذكر مع زيادة توضيح انك اذا نظرت الى أقرب الاشياء اليك وهى نفسك التى بين جنبيك تجد ذاتك مشتملة على سمع وبصر وكلام وطول وعرض وعمق ورضى وغضب وحمرة وسواد وعلم وجهل وكفر وايمان ولذة والم وغير ذلك مما لا يحصى وكلها متغيرة وخارجة من العدم الى الوجود ومن الوجود الى العدم وذلك دليل الحدوث والافتقار الى صانع حكيم واجب الوجود فتكون حادثة وهى ملازمة للذات الحادثة قائمة بها وملازم الحادث حادث وكذا اذا نظرت الى العالم العلوى وهو ما ارتفع من الفلكيات من سموات وكواكب وغيرها كالعرش والكرسى فانك تجده حاويا لجهات مخصوصة وأمكنة معينة وبعضه متحركا وبعضه ساكنا وبعضه نورانيا وبعضه ظلمانيا وبعضه صغيرا وبعضه كبيرا وبعضه طالعا وبعضه غاربا وذلك دليل الحدوث والافتقار الى صانع حكيم واجب الوجود وكذلك اذا نظرت الى العالم السفلى وهو كل ما نزل عن الفلكيات الى آخر العالم كالهواء أى الريح والسحاب والارض وما فيها من الاشجار والنباتات والجبال فانك تجدها متنوعة مختلفة باختلافات شتى متغيرة تغيرا كثيرا وذلك دليل الحدوث والافتقار الى صانع حكيم واجب الوجود ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون واعلم ان الادلة العقلية انما تثبت وجود صانع منزه عن النقائص موصوف بالصفات المصححة للايجاد وانه واحد لا شريك له وأما كون هذا الصانع الموصوف بما ذكر يسمى الله فانما استفيد من الرسل اذ لا مدخل للعقل فى التسمية كما فى الحديث الذى رواه الطبرانى والحاكم اتقوا الله فان الله فاتح لكم وصانع فهو أمر سمعى لكن لما ثبت للرسل وجوب الصدق عقلا بالتأييد بالمعجزات صارت التسمية بذلك فى مقام الثابت عقلا فهذا ملحظ المتكلمين فى قولهم والموجود هو الله سبحانه وتعالى

فتأمل ذلك واستفده والله ولى التوفيق (و) يستحيل عليه تعالى (ضد الوجود) وهو (العدم) والمراد بالضد هنا النقيض والتقابل بين الوجود والعدم من التقابل بين الشئ والاخص من نقيضه اذ نقيض الوجود لا وجود وهو اعم من العدم لشموله الثبوت المجرد عن الوجود ولما قدم رحمه الله تعالى الكلام على الصفة النفسية شرع يتكلم على الصفات السلبية فقال (والقدم ومعناه) أى القدم فى حقه تعالى عبارة عن نفى العدم السابق للوجود وان شئت قلت (عدم الاولية للوجود) أو عدم افتتاح الوجود والعبارات كلها بمعنى واحد فان قلت ان وجوب الوجود يستلزم القدم بل والبقاء فذكرهما بعده محض تكرار قلت علماء هذا الفن لا يكتفون بدلالة الالتزام بل يصرحون بالعقائد لشدة خطر الجهل فى هذا الفن فلا يستغنون بملزوم عن لازم ولا بعام عن خاص واعلم ان لهم فى القديم والازلى ثلاثة أقوال الاول ان القديم هو الموجود الذى لا ابتداء لوجوده والازلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا فكل قديم ازلى ولا عكس الثانى ان القديم هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده والازلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا قائما بنفسه أو بغيره الثالث ان كلا منهما ما لا أول له عدميا أو وجوديا قائما بنفسه أو لا وعلى هذا فهما مترادفان فعلى الاول الصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالازلية بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فانها توصف بالقدم والازلية وعلى الثانى الصفات مطلقا لا توصف بالقدم وتوصف بالازلية بخلاف الذات العلية فانها توصف بكل منهما وعلى الثالث كل من الذات والصفات مطلقا يوصف بالقدم والازلية (ودليل وجوب القدم له تعالى أنه لو لم يكن قديما لكان حادثا) ولو كان حادثا لافتقر الى محدث لان كل حادث لابد له من محدث (فيفتقر الى محدث يحدثه ومحدثه يفتقر الى محدث أيضا) فان انتهت المحدثون بأن قيل ان المحدث الذى أحدث الله أحدثه الله تعالى (فيلزم الدور أو) لم تنته المحدثون بأن لم تقف لزم (التسلسل والدور وهو توقف شئ على شئ آخر توقف عليه كما لو فرض ان زيدا هو الذى أوجد عمرا وان عمرا هو الذى أوجد زيدا) فقد توقف وجود عمرو على زيد وتوقف وجود زيد على عمرو فبالنظر الى كون زيدا أوجد عمرا متقدم على عمرو وبالنظر الى كون عمرو أوجد زيدا متقدم على زيد فيصير الشئ الواحد متقدما على نفسه ومتأخرا عنها وهو محال (والتسلسل هو تتابع الاشياء واحدا بعد واحد الى ما لا نهاية له كما لو فرض ان زيدا) هو الذى (أوجد عمرا وان عمرا) هو الذى (أوجد خالدا وهكذا وهما) أى الدور والتسلسل (محالان أى لا يصدق العقل وجودهما) فما أدى اليهما وهو افتقاره الى محدث محال فما أدى اليه وهو كونه حادثا محال فما أدى اليه وهو عدم كونه قديما محال فثبت نقيضه وهو المطلوب (و) يستحيل عليه تعالى (ضد القدم) وهو (الحدوث) والتقابل بينه وبين القدم من التقابل بين الشئ والمساوى لنقيضه اذ نقيض القدم لا قدم وهو عين الحدوث لانه لا واسطة بينهما فكل شئ انتفى عنه القدم ثبت له الحدوث (والبقاء ومعناه) أى البقاء فى حقه تعالى عبارة عن نفى اللاحق للوجود وان شئت قلت عدم اختتام الوجود أو (عدم الآخرية للوجود ودليل وجوب البقاء له تعالى انه لو أمكن ان يلحقه العدم لزم ان يكون من جملة الممكنات التى يجوز عليها الوجود والعدم وهو محال فى حقه تعالى) لان كل ممكن لا يكون وجوده الا حادثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و (لما) قد (عرفت قبل من وجوب قدمه تعالى) فوجوب القدم له تعالى يستلزم وجوب البقاء له تعالى لان من وجب له القدم وجب له البقاء فدليله هو دليل القدم لكن هذا الدليل لا يتم الا بقياسين نظمهما هكذا

وضد الوجود العدم * والقدم ومعناه عدم الاولية للوجود ودليل وجوب القدم له تعالى أنه لو لم يكن قديما لكان حادثا فيفتقر الى محدث يحدثه ومحدثه يفتقر الى محدث أيضا فيلزم الدور أو التسلسل والدور هو توقف شئ على شئ آخر توقف عليه كما لو فرض أن زيدا هو الذى أوجد عمرا وان عمرا هو الذى أوجد زيدا والتسلسل هو تتابع الاشياء واحدا بعد واحد الى ما لا نهاية له كما لو فرض ان زيدا أوجد عمرا وان عمرا أوجد خالدا وهكذا وهما محالان أى لا يصدق العقل وجودهما وضد القدم الحدوث * والبقاء ومعناه عدم الآخرية للوجود ودليل وجوب البقاء له تعالى أنه لو أمكن أن يلحقه العدم لزم أن يكون من جملة الممكنات التى يجوز عليها الوجود والعدم وهو محال فى حقه تعالى لما عرفت قبل من وجوب قدمه تعالى

لولم يجب له البقاء لامكن ان يلحقه العدم لكن امكان لحوق العدم له محال لانه لوأمكن ان يلحقه العدم لانتفى عنه القدم لكن انتفاء القدم له محال بالدليل السابق (و) يستحيل عليه تعالى (ضد البقاء) وهو (الفناء) وهو العدم بعد الوجود والتقابل بينه و بين البقاء من التقابل بين الشئ والمساوى لنقيضه اذ نقيض البقاء لا بقاء وهو عين الفناء (والمخالفة للحوادث أى المخلوقات) ومعنى المخالفة للحوادث فى حقه تعالى عدم مماثلة ذاته وصفاته وافعاله للمخلوقات من انس وجن وملك وغيرها فذات الله تعالى ليست كذات الحوادث وصفاته ليست كصفاتها فلا يصح ان يتصف باوصاف الحوادث كمشى وقعود وقيام وجوارح فالله تعالى منزه عن الجوارح من يد ورجل وأذن وفم وغيرها فكل ما خطر ببالك كطول وسمن فالله تعالى بخلاف ذلك تنزه الله تعالى عن جميع أوصاف الخلق واعلم أنه اذا ورد فى كتاب أو سنة ما يوهم أنه تعالى له وجه أو يد أو نحو ذلك فلابد من تأويله بمعنى صرفه عن ظاهره وهذا محل وفاق من السلف والخلف غاية الامر أنهم اختلفوا فى تعيين المعنى المراد فالسلف يؤولون تأويلا اجماليا فلا يعينون المعنى المراد بل يفوضونه اليه تعالى فيقولون فى نحو قوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى يد الله فوق أيديهم ليس وجه كوجهنا ولا يد كيدنا ولا يعلم المراد من ذلك الا الله تعالى والخلف يؤولون تأويلا تفصيليا فيعينون المعنى المراد فيقولون فيما ذكر ليس له وجه كوجهنا ولا يد كيدنا والمراد من الوجه الذات ومن اليد القدرة وهذا هو المراد من قول صاحب الجوهرة

وكل نص أوهم التشبيها * أوله أو فوض ورم تنزيها

(ودليل وجوب مخالفته تعالى للحوادث أنه لو ماثل) أى شابه (شيأ منها) بأن اتصف بجرمية اوعرضية كالسواد والبياض ونحوهما من صفات الحوادث (لكان حادثا مثلها) أى الحوادث (لان ماجاز على أحد المثلين جاز على الآخر وحدوثه تعالى محال لانه تعالى يجب له القدم) فدليل القدم دليل على المخالفة للحوادث وتقريره ان تقول هكذا ولو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ولو كان مماثلا لها لكان حادثا كيف وقد ثبت وجوب قدمه تعالى بالدليل السابق واذا انتفى الحدوث عنه تعالى ثبتت مخالفته تعالى للحوادث فليس بينه تعالى وبين الحوادث مشابهة فى شئ قطعا (و) يستحيل عليه تعالى (ضد المخالفة للحوادث) وهو (المماثلة لها) المراد بالمماثلة هنا المشابهة ولو من وجه والتقابل بينها و بين المخالفة من التقابل بين الشئ والمساوى لنقيضه اذ نقيض المخالفة لا مخالفة وهو مساو للمماثلة (فيستحيل عليه تعالى ان يماثل الحوادث فى شئ مما اتصفوا به فلا يمر عليه تعالى زمان وليس له مكان) يحل فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ولا حركة ولا سكون) أى فليس تعالى متحركا ولا ساكنا (ولا لون) فليس تعالى أبيض ولا أخضر ولا أسود ولا نحوها (ولا جهة) ويتفرع على ما ذكر قوله رحمه الله تعالى (فلا يقال الله فوق الجرم أو تحته ولا عن يمين الجرم أو شماله) ويتفرع على هذا قوله رحمه الله تعالى (فلا يقال انى تحت الله وان ربى فوقى) فقول العامة انا تحت ربنا وان ربنا فوقنا كلام منكر أى انكره الشارع يخاف على من يعتقده الكفر لكن الصحيح ان معتقد الجهة لا يكفر كما قاله العلامة ابن عبد السلام وقيده النووى ان كان من العامة كما هو فرض الكلام وانما خيف عليه ما ذكر لانه ربما جره ذلك الى اعتقاد أن المولى كالحوادث وهو كفر والعياذ بالله تعالى (ولا تتصف ذاته تعالى بالحوادث) كالقدرة الحادثة والعلم الحادث (ولا) تتصف ذاته تعالى (بالصغر أو الكبر) والصغر ماقلت أجزاؤه والكبر ما كثرت أجزاؤه ولهذا امتنع ان يقال له تعالى كبيرا اذا أريد به كثرة

وضد البقاء الفناء * والمخالفة للحوادث أى المخلوقات ودليل وجوب مخالفته تعالى للحوادث أنه لو ماثل شيأ منها لكان حادثا مثلها لان ماجاز على أحد المثلين جاز على الآخر وحدوثه تعالى محال لانه تعالى يجب له القدم وضد المخالفة للحوادث المماثلة لها فيستحيل عليه تعالى ان يماثل الحوادث فى شئ مما اتصفوا به فلا يمر عليه تعالى زمان وليس له مكان ولا حركة ولا سكون ولا لون ولا جهة فلا يقال الله فوق الجرم أو تحته ولا عن يمين الجرم أو شماله فلا يقال انى تحت الله وان ربى فوقى ولا تتصف ذاته تعالى بالحوادث ولا بالصغر أو الكبر

الاجزاء وأما اذا أريد به العظيم فلا يمتنع اطلاقه عليه تعالى لوروده فى قوله تعالى الكبير المتعال (ولا يتصف) سبحانه وتعالى (بالاغراض فى الافعال) كايجاد زيد وعمرو ومثال الغرض (والاحكام) كايجاب الصلاة والزكاة مثلا لغرض فافعاله تعالى واحكامه منزهة عن الغرض ولا يرد على ذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان اللام فيه للعاقبة والصيرورة وقد تكلم شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى على هذه الآية فى كتابه تقريب الاصول لتسهيل الوصول بما ينعش الفؤاد فانظره كى من العلم تزداد واعلم أن افعاله تعالى وأحكامه وان كانت منزهة عن الغرض لكن لا تخلو عن حكمة وان لم تصل الينا عقولنا الانه لو لم تكن لحكمة لكانت عبثا وهو محال عليه تعالى والفرق بين الغرض والحكمة ان الغرض يكون مقصودا من الفعل أو الحكم بحيث يكون باعثا وحاملا عليه والحكمة لا تكون كذلك (والقيام بالنفس) أى بالذات ومعنى قيامه تعالى بنفسه استغناؤه عن المحل والمخصص ولذلك فسره رحمه الله تعالى بقوله (أى لا يفتقر سبحانه وتعالى الى ذات يقوم بها) أى ذات سوى ذاته العلية يوجد فيها كما توجد الصفة فى الموصوف وانما لم يفتقر الى الذات التى يقوم بها لانه تعالى هو الذات والذات لا تقوم بالذات (و) كذلك (لا) يفتقر ايضا (الى موجد يوجده) لا فى ذاته ولا فى صفة من صفاته لوجوب القدم له تعالى لانه اذا وجب له القدم لزم ان لا يفتقر الى موجد يوجده (ولان الله تعالى هو الموجد للاشياء كلها) انسها وجنها وخيرها وشرها وشريفها وحقيرها (ودليل وجوب القيام بالنفس له تعالى أنه لو كان محتاجا الى ذات يقوم بها) كما احتاج السواد الى الذات التى يقوم بها (لكان صفة) لتلك الذات لانه لا يحتاج الى الذات الا الصفات (والصفة لا تتصف بصفات المعانى) وهى الصفات الوجودية كالقدرة والارادة والعلم وهكذا (ولا) تتصف ايضا بالصفات (المعنوية) وهى الاحوال الثابتة اللازمة للمعانى ككونه تعالى قادرا وكونه تعالى مريدا وهكذا (ومولانا جل وعز يجب اتصافه بهما) أى بصفات المعانى والمعنوية بالبراهين القطعية (فليس بصفة ولو احتاج الى موجد يوجده لكان حادثا فيفتقر الى محدث) يحدثه (فيلزم الدور أو التسلسل وهو محال) كما تقدم (فثبت انه تعالى هو الغنى الغنى المطلق) أى غنى عن الذات والموجد وعن كل شئ بخلاف غنى الخلق فانه غنى مقيد أى غنى عن شئ دون شئ والغنى المطلق لا يمكن ان يكون الا لله تعالى كما قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد وقال سيدى مصطفى البكرى رحمه الله فى ورد السحر الهى غناك مطلق وغنانا مقيد (وهو المطلوب) من المكلف (وضد القيام بالنفس الاحتياج الى ذات يقوم بها والى موجد يوجده تعالى) الله عن ذلك علوا كبيرا والتقابل بين عدم كونه قائما بنفسه وبين القيام بالنفس من التقابل بين الشئ ونقيضه كما هو ظاهر (والوحدانية) وهى عبارة عن نفى الكثرة فى الذات والصفات والافعال ولهذا فسرها رحمه الله تعالى بقوله (بمعنى عدم التعدد فى الذات والصفات والافعال) اعلم ان الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الافعال تنفى كموما خمسة الكم المتصل فى الذات وهو تركبها من أجزاء والكم المنفصل فيها وهو تعددها بحيث يكون هناك اله ثان فاكثر وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات والكم المتصل فى الصفات وهو التعدد فى صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فاكثر والكم المنفصل فى الصفات وهو ان يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى كان يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم بها كقدرته تعالى وارادة تخصص الشئ ببعض الممكنات أو علم محيط بجميع الاشياء وهذان

ولا يتصف بالاغراض فى الافعال والاحكام والقيام بالنفس أى لا يفتقر سبحانه وتعالى الى ذات يقوم بها لانه تعالى هو الذات والذات لا تقوم بالذات ولا الى موجد يوجده ولان الله تعالى هو الموجد للاشياء كلها * ودليل وجوب القيام بالنفس له تعالى أنه لو كان محتاجا الى ذات يقوم بها لكان صفة والصفة لا تتصف بصفات المعانى ولا المعنوية ومولانا جل وعز يجب اتصافه بهما فليس بصفة ولو احتاج الى موجد يوجده لكان حادثا فيفتقر الى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وهو محال فثبت أنه تعالى هو الغنى الغنى المطلق وهو المطلوب * وضد القيام بالنفس الاحتياج الى ذات يقوم بها والى موجد يوجده تعالى * والوحدانية بمعنى عدم التعدد فى الذات والصفات والافعال

الحكمان منفيان بوحدانية الصفات والكم المنفصل فى الافعال وهو ان يكون لغير الله فعل من الافعال على وجه الايجاد وانما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار وهذا الكم منفى بوحدانية الافعال وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى الى هذه الكموم على هذا الترتيب فقال (فمعنى وحدانيته تعالى فى الذات ان ذاته ليست مركبة) من أجزاء فهذا اشارة الى نفى الكم المتصل فى الذات وقوله رحمه الله تعالى (ولا لغيره تعالى ذات تشبه ذاته تعالى) اشارة الى نفى الكم المنفصل فيها وقوله رحمه الله تعالى (ومعنى وحدانيته تعالى فى الصفات أنه تعالى ليست له قدرتان مثلا) أى او ارادتان أو علمان فليس له تعالى الا قدرة واحدة وارادة واحدة وعلم واحد خلافا للامام أبى سهل القائل بأن له تعالى علوما بعدد المعلومات اشارة الى نفى الكم المتصل فى الصفات وقوله رحمه الله تعالى (ولا لغيره تعالى صفة تشبه صفة من صفاته تعالى) كان يكون لزيد قدرة يوجد بها و يعدم بها كقدرته تعالى أو ارادة تخصص الشئ ببعض الممكنات أو علم محيط بجميع الاشياء اشارة الى نفى الكم المنفصل فيها وقوله رحمه الله تعالى (ومعنى وحدانيته تعالى فى الافعال أنه ليس لغيره تعالى فعل أصلا) اشارة الى نفى الكم المنفصل فى الافعال فحاصل ما أشار رحمه الله تعالى اليه من الكموم المستحيلة عليه تعالى خمسة كما علمت كم متصل فى الذات ومنفصل فيها وكم متصل فى الصفات ومنفصل فيها وكم منفصل فى الافعال وهذه الكموم الخمسة منفيات بوحدانيته تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله فلا يكون لغيره تعالى فعل مطلقا (سواء كان الفعل اختياريا أو اضطراريا) وسواء كان ماذكر خيرا أو شرا (خلافا للمعتزلة قبحهم الله تعالى فانهم يقولون ان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله تعالى فيه) ولاجل قولهم هذا أعنى بقدرة خلقها الله تعالى فيه يسمون بالقدرية ولقولهم بقدرة خلقها الله فيه لم يكفروا على الاصح و بعضهم كفرهم وجعل المجوس أسعد حالا منهم اذ المجوس قالوا بمؤثرين وهؤلاء أثبتوا مالا حصر له لكن الاصح كما علمت عدم كفرهم لانهم لم يجعلوا خالقية العبد كخالقية الله تعالى حيث جعلوا العبد مفتقرا الى الاسباب والوسائط بخلاف الله تعالى ولاعترافهم بان اقدار العبد على خلق أفعاله من الله تعالى وخلافا للطائفة القائلة بان العبد مجبور على الافعال التى يفعلها ولاجل قولهم هذا يسمون بالجبرية نسبة الى قولهم بجبر العبد وقهره وانه كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الرياح كيف شاءت وهى عقيدة زائغة والحق ان العبد لا يخلق افعال نفسه مطلقا سواء كانت اختيارية أو اضطرارية ولم يكن مجبورا عليها بل الله تعالى يخلق الافعال الصادرة من العبد مع كون العبد له اختيار فيها وهذا الاختيار لا يمكن ان يعبر عنه بعبارة مخصوصة بل الشخص يجد فرقا بين حركة يده اذا حركها هو و بين حركتها اذا حركها الهواء قهرا عنه كما قاله السعد فى شرح العقائد وهذا مذهب أهل السنة واليه اشار صاحب الجوهرة بقوله

وعندنا للعبد كسب كلفا * به ولكن لا يؤثر فاعرفا
فليس مجبورا ولا اختيارا * وليس كلا يفعل اختيارا

فتحقق ان مذهب أهل السنة بين مذهب القدرية والجبرية الفاسقين قد خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فأهل السنة توسطوا وخير الامور أوساطها والقدرية فرطوا والجبرية افرطوا (وهو) أى قول المعتزلة ان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية (باطل لان الله تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات) من الانبياء والملائكة وغيرهما (وأفعالها كما قال تعالى فى تنزيله) أى القرآن (والله خلقكم وما تعملون و بهذا) أى بهذا التعليل وهو قوله رحمه الله تعالى

فمعنى وحدانيته تعالى فى الذات ان ذاته ليست مركبة ولا لغيره تعالى ذات تشبه ذاته تعالى ومعنى وحدانيته تعالى فى الصفات أنه تعالى ليست له قدرتان مثلا ولا لغيره تعالى صفة تشبه صفة من صفاته تعالى ومعنى وحدانيته تعالى فى الافعال أنه ليس لغيره تعالى فعل أصلا سواء كان الفعل اختياريا أو اضطراريا خلافا للمعتزلة قبحهم الله تعالى فانهم يقولون ان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله تعالى فيه وهو باطل لان الله تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات وأفعالها كما قال تعالى فى تنزيله والله خلقكم وما تعملون و بهذا

لان الله تعالى الخ (تعلم أن مايقع من موت شخص أو تأذيه بجنونه مثلا عند اعتراضه على ولى) سيأتى تعريفه فى السمعيات (من الاولياء حاصل بخلقه تعالى عند غضب الولى على المعترض لا بخلق الولى) نفسه ومع كون افعال العباد خيرها وشرها مخلوقة لله تعالى فالادب نسبة الخير لله والشر للعبد قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى كسبا كما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وأما قوله تعالى قل كل من عند الله فرجوع للحقيقة وانظر الى أدب الخضر عليه السلام حيث قال فاراد ربك ان يبلغا أشدهما فنسب الخير لله وقال فاردت ان أعيبها فنسب الشر لنفسه وتأمل قول الخليل عليه الصلاة والسلام الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين فنسب الخير لله واذا مرضت فهو يشفين فنسب الشر لنفسه تادبا والا فالكل من الله وربما هجس لبعض القاصرين ان من حجة العبد ان يقول لله لم تعذبنى والكل فعلك وهذه شبهة مردودة بانه لا يتوجه عليه تعالى من غيره سؤال قال تعالى لا يسئل عما يفعل وكيف يكون للعبد حجة ولله الحجة البالغة فلا يسعنا الا التسليم المحض واعلم أن كل مافى الوجود مما سوى الله تعالى وصفاته فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشره وان أردت بسط الكلام على ذلك فانظر رسالة شيخنا وشيخ مشايخنا التى تتعلق بخلق الافعال رحمه الله تعالى (ودليل وجوب الوحدانية له تعالى انه) أى الحال والشان (لو لم يكن) الله (واحدا) فى ذاته وصفاته وافعاله (لزم ان لا يوجد شئ من الحوادث) أى المخلوقات (للزوم عجزه حينئذ) لانه لو كان له تعالى شريك فى الالوهية لا يخلو الامر فاما ان يتفقا على وجود العالم واما أن يختلفا وعلى كل يلزم الفساد لقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فالمراد بالفساد فى الآية الكريمة عدم الوجود (وضد الوحدانية التعدد فى الذات والصفات وكون غيره تعالى مؤثرا فى فعل من الافعال) والتقابل بين ذلك وبين الوحدانية من التقابل بين الشئ ونقيضه كما لا يخفى (فيستحيل عليه تعالى ان يكون معه فى الوجود مؤثر فى فعل من الافعال فلا تكون النار مؤثرة فى الاحراق) أى الاحتراق أو الطبخ أو التسخين أو غير ذلك (ولا السكين مؤثرا فى القطع ولا الاكل مؤثرا فى الشبع ولا الماء مؤثرا فى الرى) ولا الجرح مؤثرا فى الالم ولا الشمس والسراج مؤثرين فى الضوء ولا الجدار والستر مؤثرين فى الظل وهكذا لا بطبعها ولا بقوة وضعها الله فيها (بل الله تعالى يخلق الحرق فى الشئ الذى مسته النار عند مسها له) لكن بشرط انتفاء المانع كالبلولة ونحوها (ويخلق القطع فى الشئ الذى باشرته السكين عند مباشرته له ويخلق الشبع والرى عند الاكل والشرب) ويخلق الالم عند وجود الجرح ويخلق الضوء عند وجود الشمس أو السراج وهكذا (فمن اعتقد ان النار محرقة بطبعها والسكين قاطعة بطبعها وهكذا) أى والاكل مؤثر فى الشبع بطبعه والماء مؤثر فى الرى بطبعه (فهو كافر بالاجماع ومن اعتقد أنها) أى المذكورات من النار وما بعدها (مؤثرة بقوة أودعها) أى خلقها (الله فيها فهو جاهل فاسق لعدم علمه بحقيقة الوحدانية) فحاصل ما ذكره رحمه الله تعالى ان الفرق فى هذا المقام أربع الاولى تعتقد أنه لا تأثير لهذه الاشياء وانما التأثير له تعالى مع امكان التخلف بينها وبين أثرها وهذه فرقة ناجية الثانية تعتقد أنه لا تأثير لذلك أيضا لكن مع التلازم بحيث لا يمكن التخلف وهذه فرقة جاهلة بحقيقة الحكم العادى وربما جرها ذلك الى الكفر بأن تنكر ما خالف العادة كالبعث ومعجزة الانبياء الثالثة

تعلم ان ما يقع من موت شخص أو تأذيه بجنونه مثلا عند اعتراضه على ولى من الاولياء حاصل بخلقه تعالى عند غضب الولى على المعترض لا بخلق الولى * ودليل وجوب الوحدانية له تعالى أنه لو لم يكن واحدا لزم ان لا يوجد شئ من الحوادث للزوم عجزه حينئذ وضد الوحدانية التعدد فى الذات والصفات وكون غيره تعالى مؤثرا فى فعل من الافعال فيستحيل عليه تعالى ان يكون معه فى الوجود مؤثر فى فعل من الافعال فلا تكون النار مؤثرة فى الاحراق ولا السكين مؤثرا فى القطع ولا الاكل مؤثرا فى الشبع ولا الماء مؤثرا فى الرى بل الله تعالى يخلق الحرق فى الشئ الذى مسته النار عند مسها له ويخلق القطع فى الشئ الذى باشرته السكين عند مباشرته له ويخلق الشبع والرى عند الاكل والشرب فمن اعتقد ان النار محرقة بطبعها والسكين قاطعة بطبعها وهكذا فهو كافر بالاجماع ومن اعتقد أنها مؤثرة بقوة أودعها الله فيها فهو جاهل فاسق لعدم علمه بحقيقة الوحدانية

تعتقد ان هذه الاشياء مؤثرة بطبعها وهذه فرقة مجمع على كفرها الرابعة تعتقد أنها مؤثرة بقوة أودعها الله فيها وهذه الفرقة في كفرها قولان والاصح أنها ليست بكافرة (والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية تسمى) هذه المذكورات (صفات سلبية لسلبها ونفيها مالا يليق بربوبيته تعالى) وذلك لان القدم معناه سلبي وهو نفي سبق العدم على الوجود وان شئت قلت هو نفي الاولية للوجود والمعنى واحد والبقاء هو نفي لحوق العدم للوجود وان شئت قلت هو نفي الآخرية للوجود والمخالفة للحوادث نفي المماثلة لها في الذات والصفات والافعال وهكذا ولما انهى رحمه الله تعالى الكلام على الصفات السلبية شرع يتكلم على صفات المعاني فقال (والقدرة) وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة وان شئت قلت هي صفة تؤثر في الممكن الوجود أو العدم فتتعلق بالمعدوم فتوجده وبالموجود فتعدمه والى هذا المعنى اشار رحمه الله تعالى بقوله (المتعلقة تعلق تأثير بجميع الممكنات) أي الامور التي يجوز وجودها وعدمها بحيث يستوي اليها نسبة الوجود والعدم بان تكون غير واجب وغير ممتنع وخرج بذلك الواجب والمستحيل فلا تتعلق بهما فان قيل كيف تقولون بعدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل مع انه يلزم عليه العجز قلنا انما يلزم العجز لو كان الواجب والمستحيل من وظيفة القدرة ولم تتعلق بهما مع انهما ليسا من وظيفتها فليس بعجز ولانها لو تعلقت بهما لزم الفساد اذ يلزم عليه تعلقها باعدام الذات العلية وسلب الالوهية عنها ونحو ذلك في الاول وبايجاد الشريك في الوهيته تعالى في الثاني وبهذا يعلم سقوط قول من قال ان الله قادر ان يتخذ ولدا لان اتخاذ الولد من جملة ما يستحيل عليه تعالى (وللقدرة تعلقان تعلق صلوحي قديم وتنجيزي حادث فالاول) أعني التعلق الصلوحي القديم (هو صلاحية القدرة في الازل) وهو عبارة عن أزمنة متوهمة غير متناهية في جانب الماضي (للايجاد) وللاعدام فيما لا يزال (فهي صالحة في الازل لان توجد زيدا طويلا أو قصيرا أو عريضا أو غير عريض وصالحة لاعطائه العلم أو الجهل والثاني) أعني التعلق التنجيزي الحادث (هو تعلقها بالمعدوم فتوجده وبالموجود فتعدمه بالفعل وهذا) أعني تعلقها التنجيزي الذي هو الايجاد والاعدام (تعلق حقيقي ولها تعلق مجازي) بمعنى أنه ليس على وجه التأثير (وهو تعلقها بالموجود بعد وجوده وقبل عدمه كتعلقها بزيد بعد وجوده وقبل عدمه ويسمى تعلق قبضة بمعنى ان زيدا في قبضة القدرة ان شاء الله الابقاء) على وجوده (ابقاه على وجوده) بقدرته (وان شاء الاعدام اعدمه) من الوجود الى العدم (بقدرته وتعلقها بالمعدوم قبل أن يريد الله وجوده) أي قبل ان تتعلق به ارادته تعالى تعلقا تنجيزيا حادثا على ما قاله بعضهم (كتعلقها بزيد في زمن الطوفان فهو تعلق قبضة أيضا بمعنى ان المعدوم في قبضة القدرة ان شاء الله) الابقاء على عدمه (ابقاه على عدمه وان شاء) الاخراج من العدم الى الوجود (أخرجه من العدم الى الوجود وكتعلقها بنا بعد موتنا) أي فنائنا (وقبل البعث) أي في يوم القيامة (فيسمى تعلق قبضة أيضا بمعنى ما تقدم) أي بمعنى اننا في قبضة القدرة ان شاء الله ابقانا على عدمنا وان شاء أخرجنا من العدم الى الوجود فحاصل ما ذكره رحمه الله تعالى ان للقدرة سبع تعلقات تعلق صلوحي قديم بمعنى ما تقدم وتعلق قبضة وهو تعلقها بنا قبل ان يريد الله وجودنا وتعلق تنجيزي حادث وهو ايجاد الله لنا بالفعل بقدرته وتعلق قبضة وهو تعلقها بنا بعد وجودنا وقبل عدمنا وتعلق تنجيزي حادث وهو اعدام الله لنا بالفعل بقدرته وتعلق قبضة وهو تعلقها بنا بعد عدمنا وقبل بعثنا وتعلق تنجيزي حادث وهو ايجاد الله لنا يوم

والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية تسمى صفات سلبية لسلبها ونفيها مالا يليق بربوبيته تعالى * والقدرة المتعلقة تعلق تأثير بجميع الممكنات وللقدرة تعلقان تعلق صلوحي قديم وتنجيزي حادث فالاول هو صلاحية القدرة في الازل للايجاد فهي صالحة في الازل لان توجد زيدا طويلا أو قصيرا أو عريضا أو غير عريض وصالحة لاعطائه العلم أو الجهل والثاني هو تعلقها بالمعدوم فتوجده وبالموجود فتعدمه بالفعل وهذا تعلق حقيقي ولها تعلق مجازي وهو تعلقها بالموجود بعد وجوده وقبل عدمه كتعلقها بزيد بعد وجوده وقبل عدمه ويسمى تعلق قبضة بمعنى ان زيدا في قبضة القدرة ان شاء الله الابقاء ابقاه على وجوده وان شاء الاعدام اعدمه بقدرته وتعلقها بالمعدوم قبل ان يريد الله وجوده كتعلقها بزيد في زمن الطوفان فهو تعلق قبضة أيضا بمعنى ان المعدوم في قبضة القدرة ان شاء الله أبقاه على عدمه وان شاء أخرجه من العدم الى الوجود وكتعلقها بنا بعد موتنا وقبل البعث فيسمى تعلق قبضة أيضا بمعنى ما تقدم

البعث لكن التعلق الحقيقي من ذلك تعلقان وهو ايجاد الله الشخص بقدرته واعدام الله الشخص بقدرته وما ذكره رحمه الله تعالى من عده سبعة على التفصيل وأما الاجمال فلها تعلقان كما هو شائع تعلق صلوحي قديم وتعلق تنجيزي حادث وهو خاص بالايجاد والاعدام (وأما تعلق القبضة فلا يوصف بالتنجيزي الحادث ولا بالصلوحي القديم) بل يوصف بالصلوحي الحادث وما تقدم من انها تتعلق بالايجاد والاعدام هو مذهب الجمهور وقال بعضهم انها لا تتعلق بالاعدام فاذا أراد الله اعدام الشخص منع عنه الامدادات التي هي سبب في بقائه ونظير ذلك الفتيلة فانها تستمر منورة مادام فيها الزيت فاذا فرغ انطفأت بنفسها ولا تحتاج الى ان يطفئها أحد وهذا القول مرجوح (و) يستحيل عليه تعالى (ضد القدرة) وهو (العجز عن ممكن ما من الممكنات) والتقابل بين العجز وبين القدرة من التقابل بين الضدين لان العجز هو صفة وجودية لا تتأتى معها ايجاد ولا اعدام (والارادة) وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه والى هذا المعنى أشار رحمه الله تعالى بقوله (المتعلقة تعلق تخصيص بجميع الممكنات ببعض ما يجوز عليها) والممكنات هي الامور التي يجوز وجودها وعدمها فخرج بها غيرها من الواجب والمستحيل فلا تتعلق الارادة بهما كما تقدم في مبحث القدرة فكل شئ تعلقت به القدرة لابد ان تتعلق به الارادة لان تأثير القدرة فرع تأثير الارادة لان مولانا جل وعز لا يوجد ولا يعدم شيأ من الممكنات بقدرته الا ما أراد ايجاده أو اعدامه وذلك (كالعلم والجهل والطول والقصر ونحوها) فزيد مثلا يجوز عليه الطول أو القصر فالارادة خصصته بالطول مثلا وأما القدرة فهي تبرز الطول من العدم الى الوجود والممكنات التي تتعلق بها القدرة والارادة ستة الوجود والعدم والصفات كالبياض والسواد مثلا والازمنة كزمن الطوفان وزمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والامكنة كمكة والمدينة والجهات كفوق وتحت والمقادير كالطول والقصر وتسمى الممكنات المتقابلات فالوجود يقابل العدم وبالعكس فهما قسم أول وبعض الصفات يقابل بعضا فكونه ابيض مثلا يقابل كونه اسود وهذا قسم ثان وبعض الازمنة يقابل بعضا فكونه في زمن الطوفان مثلا يقابل كونه في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا قسم ثالث وبعض الامكنة يقابل بعضا فكونه في مكان كذا كمكة يقابل كونه في مكان غيره كالمدينة وهذا قسم رابع وبعض الجهات يقابل بعضا فكونه في جهة فوق كالسماء يقابل جهة تحت كالارض وهذا قسم خامس وبعض المقادير يقابل بعضا فكونه طويلا مثلا يقابل كونه قصيرا وهذا قسم سادس وقد اشار لذلك بعضهم بقوله

المكنات المتقابلات * وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات * كذا المقادير روى الثقات

وبيان ذلك على الترتيب ان زيدا قبل وجوده يجوز عليه ان يبقى على عدمه ويجوز ان يوجد فاذا وجد فقد خصصت الارادة وجوده بدلا عن عدمه والقدرة أبرزت الوجود ويجوز ان يكون أبيض أو أسود فالذي خصص بياضه بدلا عن السواد الارادة ويجوز ان يوجد في زمن الطوفان وفي غيره فالذي خصص وجوده في هذا الزمان دون غيره الارادة ويجوز ان يوجد في مكة أو المدينة فالذي خصص وجوده في مكة دون المدينة الارادة ويجوز ان يكون في جهة فوق فالذي خصصه في جهة تحت كالارض الارادة ويجوز ان يكون طويلا أو قصيرا فالذي خصص طوله بدلا عن القصر الارادة (وللارادة تعلقان تعلق صلوحي قديم وتنجيزي قديم فالاول) أعني التعلق الصلوحي القديم (هو صلاحيتها لتخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها ازلا فهي صالحة لان

وأما تعلق القبضة فلا يوصف بالتنجيز الحادث ولا بالصلوحي القديم وضد القدرة العجز عن ممكن ما من الممكنات والارادة المتعلقة تعلق تخصيص بجميع الممكنات ببعض ما يجوز عليها كالعلم والجهل والطول والقصر ونحوها وللارادة تعلقان تعلق صلوحي قديم وتنجيزي قديم فالاول هو صلاحيتها لتخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها أزلا فهي صالحة لان

يكون

يكون زيد طويلا أو قصيرا وان يكون سلطانا أو زبالا باعتبار التعلق الصلوحي القديم (والثاني) أعني التعلق التنجيزي القديم (هو تخصيص الله الشئ بالصفة التي هو عليها فالعلم مثلا الذي اتصف به زيد خصصه الله تعالى به أزلا بارادته فتخصيصه بالعلم مثلا قديم) ويسمى تعلقا تنجيزيا قديما وأما صلاحيتها لتخصيصه بالعلم وغيره باعتبار ذاتها بقطع النظر عن التخصيص بالفعل يسمى تعلقا صلوحيا قديما واعلم ان الارادة والامر متغايران ومنفكان عند أهل السنة خلافا للمعتزلة حيث قال بعضهم بانهما متحدان وقال بعضهم بأن الارادة لازمة للامر وبنوا على ذلك انه تعالى لا يريد الشرور والقبائح وينبني على مذهب أهل السنة انه تعالى قد يريد الشئ ولا يأمر به كما في كفر من تعلق علم الله بكفره كأبي جهل وقد يأمر به ولا يريده كايمان أبي جهل وقد يريده ويأمر به كما في ايمان من تعلق علم الله بايمانه كسيدنا أبي بكر وقد لا يريده ولا يأمر به ككفر أبي بكر وان نسبة التخصيص للارادة والابراز والايجاد للقدرة مجاز عقلي من باب اسناد الشئ لسببه لان المخصص حقيقة هو الله تعالى بارادته والمبرز والموجد حقيقة هو الله تعالى بقدرته فمن اعتقد ان المؤثر والمبرز حقيقة القدرة أوهي والذات كفر والعياذ بالله تعالى أو اعتقد ان المبرز حقيقة الذات فقط والقدرة سبب فيه أو أطلق حرم ذلك لما فيه من الايهام وقيل يكره فقط والحق أن الفعل ليس للقدرة لا على سبيل الاستقلال ولا على سبيل الشركة بل الفعل لذاته العلية بقدرته الازلية (وضد الارادة الكراهة) والتقابل بين الكراهة وبين الارادة من تقابل العدم والملكة لان الكراهة عدم الارادة (فيستحيل عليه تعالى ان يوجد شيأ من العالم مع كراهته له أي عدم ارادته لوجوده) وانما فسر رحمه الله تعالى الكراهة بعدم الارادة لئلا يتوهم ان المراد الكراهة الشرعية التي هي النهي عن الشئ نهيا غير جازم وليس مرادا هنا (أو مع الذهول أو الغفلة) فالذهول هو عدم العلم بالشئ مع تقدم العلم به والغفلة هو عدم العلم بالشئ مطلقا وفيهما أقوال ذكرها أهل اللغة في محلهما (أو مع طريق التعليل أو الطبع) والفرق بينهما ان الموجود بطريق التعليل كلما وجدت علته وجد من غير توقف على شئ آخر ومثال ذلك عند القائلين به قبحهم الله تعالى حركة الاصبع فانها علة لحركة الخاتم بمعنى أنه متى وجدت حركة الاصبع وجدت حركة الخاتم من غير توقف على شئ آخر فيقولون الله أوجد حركة الاصبع وهي أوجدت حركة الخاتم ويسمون ذات الله تعالى علة العلل وان الموجود بطريق الطبع يتوقف على وجود شرط وانتفاء مانع ومثال ذلك عند القائلين به قبحهم الله تعالى النار فانها تؤثر عندهم في الحرق بطبعها وحقيقتها بمعنى انها توجده بنفسها لكن عند وجود الشرط وانتفاء المانع وهذان القولان باطلان والحق ان الله تعالى يخلق حركة الخاتم عند وجود حركة الاصبع كما يخلق الاحتراق في الحطب عند مماسة النار وعند انتفاء المانع كالبلولة فلا وجود لشئ بالتعليل كما لا وجود لشئ بالطبع خلافا للقائلين بذلك قبحهم الله تعالى ويستحيل عليه تعالى ان يكون علة في العالم نشأ عنه بغير اختياره أو يكون طبيعة أوجد العالم بطبعه تنزه الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا (والعلم) وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها المعلوم على ما هو به من غير سبق خفاء والى هذا المعنى أشار رحمه الله تعالى بقوله (المتعلق تعلق انكشاف بجميع الواجبات) كذاته تعالى وصفاته القديمة (والجائزات) كذات الحوادث (والمستحيلات) كالشريك لله تعالى واذا أردت أن تعرف معنى تعلق العلم بالواجبات والجائزات والمستحيلات فأقول لك (فمعنى تعلق العلم بالواجبات ان الله تعالى يعلم بعلمه) أزلا وأبدا بلا تأمل ولا استدلال (ان ذاته موجودة) أي متصفة بالوجود

يكون زيد طويلا أو قصيرا وان يكون سلطانا أو زبالا باعتبار التعلق الصلوحي القديم والثاني هو تخصيص الله الشئ بالصفة التي هو عليها فالعلم مثلا الذي اتصف به زيد خصصه الله تعالى به أزلا بارادته فتخصيصه بالعلم مثلا قديم وضد الارادة الكراهة فيستحيل عليه تعالى ان يوجد شيأ من العالم مع كراهته له أي عدم ارادته لوجوده أو مع الذهول أو الغفلة أو مع طريق التعليل أو الطبع * والعلم المتعلق تعلق انكشاف بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات فمعنى تعلق العلم بالواجبات ان الله تعالى يعلم بعلمه ان ذاته موجودة

(قوله قد يريد الشئ ولا يأمر به الخ) قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى في الاحياء يدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل ان

(قديمة) أي متصفة بالقدم (وهكذا) أي باقية مخالفة للخلق وهكذا او يعلم أيضا بعلمه أن ذاته العلية متصفة بصفات الكمالات (حتى أنه تعالى يعلم علمه بعلمه) أي يتعلق به تعلقا تنجيزيا قديما (ومعنى تعلق العلم بالجائزات ان الله تعالى يعلم الموجودات) من الممكنات (كلها والمعدومات) منها (كلها) والكليات والجزئيات فيعلم سبحانه وتعالى الاشياء كلها أزلا تفصيلا ما كان منها وما يكون ومالم يكن (بعلمه تعالى) علما تاما الاعلى سبيل الشك ولاعلى سبيل الظن كما سيأتى (ومعنى تعلق العلم بالمستحيلات أنه تعالى يعلم بعلمه ان الشريك مستحيل عليه و) يعلم (أنه لو وجد لزم الفساد) لما تقدم من أنه لو كان لله شريك فى الالوهية لايخلو الامر اما أن يتفقوا واما ان يختلفوا وعلى كل يلزم الفساد (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما تعلق العلم بالواجبات والجائزات والمستحيلات لانه ليس من صفات التأثير) بخلاف القدرة والارادة فانهما لم يتعلقا الا بالممكن اذلو تعلقتا بالواجبات لاثرتا فيها الوجود فيلزم تحصيل الحاصل أو العدم فيلزم قلب الحقائق لان حقيقة الواجب مالايقبل العدم ولو تعلقتا بالمستحيلات لاثرتا فيها الوجود فيلزم قلب الحقائق لان حقيقة المستحيل مالايقبل الوجود أو العدم فيلزم تحصيل الحاصل (وللعلم تعلق تنجيزى قديم فقط بمعنى ان الله تعالى يعلم هذه المذكورات) من الواجبات والجائزات والمستحيلات (بعلمه علما تاما الاعلى سبيل الظن) وهو ادراك أحد المتقابلين براجحية (ولاعلى سبيل الشك) وهو ادراك كل من المتقابلين على السواء (ولاعلى سبيل الوهم) وهو ادراك الطرف المرجوح (لانها مستحيلات عليه تعالى) وليس للعلم تعلق صلوحى بمعنى أنه صالح لان ينكشف به كذا لانه يقتضى ان كذا لم ينكشف بالفعل وعدم انكشافه بالفعل جهل تنزه الله عن ذلك (وضد العلم الجهل) فيستحيل عليه تعالى الجهل سواء كان بسيطا وهو عدم العلم بالشئ أو مركبا وهو اعتقاد الشئ على خلاف ماهو عليه (ومافى معناه من الشك والظن والوهم) والتقابل بين الجهل و بين العلم من تقابل العدم والملكة بالنسبة للاول ومن تقابل الضدين بالنسبة للثانى (والحياة) وهى صفة وجودية تصحح لمن قامت به الادراك كالعلم والسمع والبصر كما سيأتى (وهى لاتتعلق بشئ موجود أو معدوم لانها صفة لاتطلب أمرا زائدا على قيامها بمحلها) بخلاف القدرة والارادة بل و جميع صفات المعانى غير الحياة فانها طالبة لامر زائد على قيامها بمحلها الاترى ان العلم بعد قيامه بمحله يطلب أمرا يتعلق به وكذا القدرة والارادة ونحوهما والحياة ليست كذلك (بل هى صفة تصحح لمن قامت به الادراك) أى تصحح ان يتصف بصفات الادراك (كالعلم والسمع والبصر) لانه يلزم من وجود الحياة ان يتصف بالادراك بالفعل ومثل صفات الادراك غيرها من سائر الصفات كالقدرة والارادة (و) يستحيل عليه تعالى (ضد الحياة) وهو (الموت) والتقابل بينه و بين الحياة من تقابل الضدين لان الموت أمر وجودى يضاد الحياة عند أهل السنة لقوله تعالى خلق الموت والحياة لان الخلق انما يتعلق بالامر الوجودى (ودليل وجوب القدرة والارادة والعلم والحياة أمر واحد وهو وجود هذه المخلوقات لانه لو انتفى واحد من هذه الاربعة لما وجد شئ من المخلوقات) فلما وجدت هذه المخلوقات عرفنا أنه تعالى متصف بهذه الصفات ووجه توقف وجود هذه المخلوقات على هذه الاربعة ان تأثير القدرة الازلية موقوف على ارادته تعالى لذلك الاثر لان تأثيرها فرع تأثير الارادة وارادته تعالى لذلك الاثر موقوفة على العلم به والاتصاف بالقدرة والارادة والعلم موقوف على الاتصاف بالحياة اذهى شرط فيها ووجود المشروط بدون شرطه مستحيل فاذا ثبت وجود حادث أى حادث كان كان متوقفا على اتصاف محدثه بهذه الصفات فثبت أنه تعالى متصف بهذه

تعالى يعلم علمه بعلمه ومعنى تعلق العلم بالجائزات ان الله تعالى يعلم الموجودات كلها و المعدومات كلها بعلمه تعالى ومعنى تعلق العلم بالمستحيلات انه تعالى يعلم بعلمه ان الشريك مستحيل عليه وانه لو وجد لزم الفساد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما تعلق العلم بالواجبات والجائزات والمستحيلات لانه ليس من صفات التأثير وللعلم تعلق تنجيزى قديم فقط بمعنى ان الله تعالى يعلم هذه المذكورات بعلمه علما تاما لاعلى سبيل الظن ولاعلى سبيل الشك ولاعلى سبيل الوهم لانها مستحيلات عليه تعالى وضد العلم الجهل ومافى معناه من الشك والظن والوهم * والحياة وهى لاتتعلق بشئ موجود او معدوم لانها صفة لاتطلب أمرا زائدا على قيامها بمحلها بل هى صفة تصحح لمن قامت به الادراك كالعلم والسمع والبصر وضد الحياة الموت ودليل وجوب القدرة والارادة والعلم والحياة أمر واحد وهو وجود هذه المخلوقات لانه لوانتفى واحد من هذه الاربعة لما وجد شئ من المخلوقات

المعاصى والجرائم ان كان

الصفات اذ لو انتفى شئ منها لما وجد شئ من الحوادث وهو خلاف الحس والعيان لانه لو انتفت القدرة لزم العجز فلا يتأتى معه تأثير ولو انتفت الارادة لانتفت القدرة ولو انتفى العلم لانتفتا ولو انتفت الحياة لانتفى الجميع لما تقدم (والسمع والبصر) وهما في حقه تعالى صفتان وجوديتان قديمتان قائمتان بذاته تعالى يتعلقان بكل موجود على وجه الاحاطة تعلقا زائدا على تعلق العلم بمعنى انهما ليسا عينه وقد اشار رحمه الله تعالى الى ذلك بقوله (المتعلقان تعلق انكشاف بجميع الموجودات) ونبه رحمه الله تعالى بقوله بجميع الموجودات على ان سمعه تعالى وبصره مخالفان لسمعنا وبصرنا في التعلق لان سمعنا انما يتعلق عادة بالاصوات وبصرنا انما يتعلق عادة بالاجسام والالوان أما سمع مولانا جل وعز وبصره فيتعلقان بكل الموجودات (سواء كانت واجبة أو جائزة أو عينا أو صوتا) فيسمع مولانا جل وعز ويبصر في الازل ذاته العلية وجميع صفاته الوجودية ويسمع ويبصر تبارك وتعالى مع ذلك فيما لا يزال ذوات الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية سواء كانت من قبيل الاصوات أو من غيرها (وتعلقهما بالواجب تعلق تنجيزي قديم بمعنى ان ذاته تعالى وصفاته الوجودية منكشفة له تعالى ازلا بسمعه وبصره) زيادة على الانكشاف بعلمه (وتعلقهما) أي السمع والبصر (بالجائزات تعلق صلوحي قديم قبل وجودها) بمعنى ان الجائزات قبل وجودها صالحة لان تسمع وتبصر بسمعه وبصره فان قلت يلزم على هذا ثبوت النقص له تعالى لان الصالح لان يسمع ويبصر غير سامع وغير مبصر بالفعل قلنا يلزم ذلك ان كان المعدوم من وظيفتهما ولم يتعلقا به مع انه ليس وظيفتهما الا الموجود فليس بنقص (وتعلق تنجيزي) حادث (بعد وجودها بمعنى ان الجائزات بعد وجودها منكشفة له تعالى بالفعل بسمعه وبصره زيادة على الانكشاف) الحاصل (بالعلم) فسمع الله وبصره يتعلقان بذات زيد وعمرو والحائط والحجر وهكذا الى ما لا ينحصر أي فيسمع الله تعالى ويبصر ذواتها ويسمع ويبصر أصواتها فان قلت سمع الاصوات ظاهر وكذا تعلق البصر بالذوات وأما اسماع الذوات وابصار الاصوات فغير ظاهر لان الذوات تبصر ولا تسمع والاصوات تسمع ولا تبصر قلنا يجب علينا الايمان بانهما متعلقتان بكل موجود جرمه وعرضه وصوته ولا نعرف كيفية التعلق فهي مجهولة لنا وما تقدم من ان السمع والبصر يتعلقان بكل موجود هو رأي السنوسي ومن تبعه وهو الراجح وقيل ان السمع لا يتعلق الا بالاصوات والبصر لا يتعلق الا بالمبصرات وسمع الله تعالى ليس باذن ولا صماخ وبصره ليس بحدقة ولا اجفان ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (ودليلهما) أي السمع والبصر (قوله تعالى ان الله سميع بصير و) يستحيل عليه تعالى (ضد السمع) وهو (الصمم) والمراد بالضد هنا معناه الاصطلاحي لان الصمم أمر وجودي يضاد السمع عند اهل السنة فالتقابل بينه وبين السمع من تقابل الضدين (و) يستحيل عليه تعالى (ضد البصر) وهو (العمى) والتقابل بينه وبين البصر من تقابل الضدين لان العمى عند أهل السنة أمر وجودي يضاد البصر (والكلام) وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى (الذي ليس بحرف ولا صوت) ولا يقبل العدم ولا ما في معناه من السكوت النفسي (المنزه عن التقدم والتأخر والاعراب والبناء) بخلاف كلام الحوادث فانه شامل لجميع ذلك واستشكل المعتزلة وجود كلام من غير حرف ولا صوت وأجاب أهل السنة بان حديث النفس أطلقت العرب عليه كلاما يتكلم به الشخص في نفسه من غير حرف ولا صوت كما في قول الاخطل

ان الكلام لفي الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فقد وجد كلام من غير حرف ولا صوت وليس مراد أهل السنة تشبيه كلامه تعالى بحديث

والسمع والبصر المتعلقان تعلق انكشاف بجميع الموجودات سواء كانت واجبة أو جائزة أو عينا أو صوتا وتعلقهما بالواجب تعلق تنجيزي قديم بمعنى ان ذاته تعالى وصفاته الوجودية منكشفة له تعالى ازلا بسمعه وبصره وتعلقهما بالجائزات تعلق صلوحي قديم قبل وجودها وتعلق تنجيزي بعد وجودها بمعنى ان الجائزات بعد وجودها منكشفة له تعالى بالفعل بسمعه وبصره زيادة على الانكشاف بالعلم ودليلهما قوله تعالى ان الله سميع بصير وضد السمع الصمم وضد البصر العمى * والكلام الذي ليس بحرف ولا صوت المنزه عن التقدم والتأخر والاعراب والبناء

الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة العدو ابليس لعنه الله مع أنه عدو الله سبحانه والجاري على وفق ارادة العدو أكثر من الجاري على وفق ارادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت الى رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها

النفس لان كلامه تعالى قديم وحديث النفس حادث بل مرادهم الرد على المعتزلة فى قولهم لا يوجد الكلام من غير حرف ولا صوت (ويتعلق) الكلام (تعلق دلالة بما يتعلق به العلم من المتعلقات) وتلك المتعلقات هى الواجبات والجائزات والمستحيلات لكن تعلق العلم بها تعلق انكشاف بمعنى أنها منكشفة له تعالى بعلمه وتعلق الكلام بها تعلق دلالة بمعنى أنه لو كشف عنا الحجاب وسمعنا الكلام القديم لفهمناها منه (ودليل وجوب الكلام) له تعالى الكتاب وهو (قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما) فقد أثبت الله تعالى لنفسه كلاما خلافا للمعتزلة القائلين بأنه ليس لذاته كلام كبقية صفات المعانى ويفسرون الآية بمعنى أنه تعالى خالق الكلام فى جرم من الاجرام واسمعه سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (وضد الكلام البكم) فيستحيل عليه تعالى البكم (ومافى معناه من الخرس) وهو أمر وجودى يضاد الكلام عند أهل السنة والتقابل بينه وبين الكلام من تقابل الضدين (والقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام تسمى صفات المعانى) ومرادهم بصفات المعانى الصفات التى هى موجودة فى نفسها سواء كانت حادثة كبياض الجرم أوسواده أو قديمة كعلمه تعالى وقدرته فكل صفة موجودة فى نفسها تسمى فى اصطلاحهم صفة المعانى وان كانت الصفة غير موجودة فى نفسها فان كانت واجبة للذات مادامت الذات غير معللة بعلة سميت صفة نفسية أوحالا نفسية ومثالها التحيز للجرم وكونه قابلا للاعراض مثلا وان كانت الصفة غير موجودة فى نفسها الا انها معللة بانها تجب للذات مادامت علتها قائمة بالذات سميت معنوية ومثالها كون الذات عالمة أو قادرة مثلا ولما تمم رحمه الله تعالى الكلام على صفات المعانى شرع يتكلم على الصفات المعنوية فقال (وكونه تعالى قادرا) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى ليست بموجودة ولا معدومة وهى غير القدرة وبينها وبين القدرة تلازم بمعنى انه متى وجدت القدرة للذات ثبت فيها الصفة المسماة بالكون قادرا سواء كانت الذات قديمة أو حادثة فذات زيد خلق الله فيها القدرة على الفعل وخلق فيها صفة تسمى كون زيد قادرا وهذه الصفة تسمى حالا والقدرة علة فيها فى حق الحوادث وأما فى حقه تعالى فلا يقال القدرة علة فى كون الله تعالى قادرا بل يقال بين القدرة وكونه تعالى قادرا تلازم وقالت المعتزلة بالتلازم بين قدرة الحادث وكون الحادث قادرا الا انهم لا يقولون بخلق الله الصفة الثانية بل متى خلق الله القدرة فى الحادث نشأ عنها صفة تسمى كونه قادرا من غير خلق (ودليله) أى دليل كونه قادرا (هو دليل القدرة وضده) أى ضد كونه قادرا (كونه تعالى عاجزا وكونه تعالى مريدا) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى ليست بموجودة ولا معدومة وتسمى حالا وهى غير الارادة سواء كانت الذات حادثة أو قديمة فذات زيد خلق الله فيها الارادة للفعل وخلق فيها صفة تسمى كون زيد مريدا وما تقدم من الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة فى الكون قادرا يجرى مثله فى الكون مريدا (ودليله) أى دليل كونه مريدا (هو دليل الارادة وضده كونه تعالى مكرها وكونه تعالى عالما) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى ليست بموجودة ولا معدومة وهى غير العلم سواء كانت الذات قديمة أو حادثة وما تقدم من الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يجرى مثله هنا (ودليله) أى دليل كونه تعالى عالما (هو دليل العلم وضده كونه تعالى جاهلا وما فى معناه) من كونه تعالى ظانا أو شاكا (وكونه تعالى حيا) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى ليست بموجودة ولا معدومة وهى غير الحياة وفيه جميع ما تقدم (ودليله) أى دليل كونه تعالى حيا (هو دليل الحياة وضده كونه تعالى ميتا وكونه تعالى سميعا) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى ليست بموجودة ولا معدومة وهى غير

السمع

ويتعلق تعلق دلالة بما يتعلق به العلم من المتعلقات * ودليل وجوب الكلام قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وضد الكلام البكم ومافى معناه من الخرس والقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام تسمى صفات المعانى * وكونه تعالى قادرا ودليله هو دليل القدرة وضده كونه تعالى عاجزا * وكونه تعالى مريدا ودليله هو دليل الارادة وضده كونه تعالى مكرها * وكونه تعالى عالما ودليله هو دليل العلم وضده كونه تعالى جاهلا ومافى معناه وكونه تعالى حيا ودليله هو دليل الحياة وضده كونه تعالى ميتا * وكونه تعالى سميعا

اذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله صح

السمع وفيه جميع ماتقدم (ودليله) أى دليل كونه تعالى سميعا (هو دليل السمع وضده كونه تعالى أصم وكونه تعالى بصيرا) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى غير موجودة ولا معدومة وهى غير البصر وماتقدم من الخلاف يجرى هنا (ودليله) أى دليل كون الله تعالى بصيرا (هو دليل البصر وضده كونه تعالى أعمى وكونه تعالى متكلما) وهى صفة قديمة ثابتة لذاته تعالى ليست موجودة ولا معدومة وهى غير الكلام وفيه جميع ماتقدم (ودليله) أى دليل كونه تعالى متكلما (هو دليل الكلام وضده كونه تعالى أبكم ومافى معناه) من كونه تعالى اخرس (فهذه) أى المذكورات من قوله رحمه الله تعالى وكونه تعالى قادرا الى آخرها (تسمى صفات معنوية) وانما سميت هذه الصفات معنوية لان الاتصاف بها فرع الاتصاف بالسبع الاول التى هى صفات المعانى فان اتصاف محل من المحال بكونه قادرا أو كونه مريدا مثلا لا يصح الا اذا قام به القدرة أو الارادة وقس على هذا فصارت السبع الاول وهى صفات المعانى عللا لهذه اى بالنسبة فى حق الحوادث وملزومة فى حقه تعالى كما تقدم فلذلك نسبت هذه لتلك فقيل فيها صفات معنوية ولهذا كانت هذه سبعا مثل الاول فالياء فى لفظ المعنوية ياء النسبة الى المعانى والواو فيها منقلبة عن الالف فى المعنى مفرد المعانى لان القاعدة أنه اذا أريد النسبة الى الجمع نسب الى مفرده الا اذا أشبه لفظه لفظ المفرد وبالله التوفيق ولما فرغ رحمه الله تعالى من ذكر الواجبات له تعالى واضدادها أخذ يتكلم على مايجوز عليه تعالى فقال (ويجوز فى حقه تعالى) أى لذاته تعالى (بمعنى قبول الثبوت تارة والانتفاء أخرى فعل كل ممكن أو تركه) ويدخل فيه ما يأتى من الثواب للمطيع والعقاب للعاصى وبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالله تعالى لم يجب عليه فعل شئ (سواء كان خيرا أوشرا ك) خلق (الايمان فى زيد) والايمان هو التصديق بجميع ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة كما سيأتى (و) خلق (الكفر فى عمرو) والكفر هو ضد التصديق فهو انكار ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة أو مايستلزمه كالقاء المصحف فى القاذورات (فلا يجب عليه تعالى شئ) عند أهل السنة (خلافا للمعتزلة فى قولهم ان الله تعالى يجب عليه ان يفعل الصلاح والاصلح بالعبد) وغيره كالدواب وهذه المسئلة كانت سببا لافتراق الشيخ أبى الحسن الاشعرى من شيخه أبى هاشم الجبائى فان أبا الحسن سأل الجبائى فى درسه وقال ماتقول فى ثلاثة اخوة مات أحدهم كبيرا مطيعا وثانيهم كبيرا عاصيا وثالثهم صغيرا فقال الجبائى الاوّل يثاب بالجنة والثانى يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب فقال له الاشعرى فان قال الثالث يارب لم أمتنى صغيرا وما ابقيتنى فاطيعك فادخل الجنة ماذا يقول الرب فقال الجبائى يقول الرب انى أعلم انك لو كبرت عصيت فتدخل النار فكان الاصلح لك أن تموت صغيرا فقال الاشعرى فان قال الثانى يارب لم تمتنى صغيرا فلا أدخل النار ماذا يقول الرب فبهت الجبائى فترك الاشعرى مذهبه واشتغل هو واتباعه بابطال ماذهبت اليه المعتزلة واثبات ماوردت به السنة ومضى عليه الجماعة فلذلك سموا أهل السنة والجماعة (وهذا) أى قول المعتزلة ماذكر من وجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى (كذب وزور) أى مزين الظاهر فاسد الباطن فهو باطل ويصح تفسيره من أول الامر بالباطل وانما كان مزين الظاهر للتعبير عنه بالصلاح والاصلح والا فهو من أسمج المذاهب وانما كان فاسد الباطن لانه لو وجب عليه تعالى الصلاح والاصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب فى الدنيا بالفقر وفى الآخرة بالعذاب الاليم المخلد سيما المبتلى فى الدنيا بالاسقام والمحن والآلام والآفات لان الاصلح له عدم خلقه وان

ودليله هو دليل السمع وضده كونه تعالى أصم وكونه تعالى بصيرا ودليله هو دليل البصر وضده كونه تعالى أعمى وكونه تعالى متكلما ودليله هو دليل الكلام وضده كونه تعالى أبكم ومافى معناه فهذه تسمى صفات معنوية ويجوز فى حقه تعالى بمعنى قبول الثبوت تارة والانتفاء أخرى فعل كل ممكن أوتركه سواء كان خيرا أوشرا كالايمان فى زيد والكفر فى عمرو فلا يجب عليه تعالى شئ خلافا للمعتزلة فى قولهم ان الله تعالى يجب عليه ان يفعل الصلاح والاصلح بالعبد وهذا كذب وزور

انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن أمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا الهلاك نفسه وهو محال اهـ

خلق فالاصلح له اماتته صغيرا أوسلب عقله قبل التكليف وحكى ان الحافظ ابن حجر مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار واثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والبشاعة فقبض على لجام بغلته وقال له ياشيخ الاسلام تزعم ان نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فاي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها فقال أنا بالنسبة لما أعده الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في سجن وأنت بالنسبة لما أعده الله لك في الآخرة من العذاب الاليم كأنك في جنة فاسلم اليهودي نسأل الله السعادة وانما كان قول المعتزلة بان الله تعالى يجب عليه فعل الصلاح والاصلح كذب وزور (لان الله تعالى أنزل الضرر من الاسقام والامراض على الاطفال) جمع طفل وهو من لم يبلغ الحلم (وهذا) أي انزال الضرر عليهم (لاصلاح فيه للاطفال ولو كان الصلاح والاصلح واجبين عليه تعالى لما انزل الضرر على الاطفال) قال صاحب الجوهرة

وقولهم ان الصلاح واجب * عليه زور ماعليه واجب
ألم يروا ايلامه الاطفالا * وشبهها فحاذر المحالا

وحكمة انزال الضرر على الاطفال حصول الثواب عليه لابويهم لان ذلك من المصائب التي يثاب الشخص عليها ولهذا قال امام الحرمين شدائد الدنيا مما يلزم الشكر عليها لانها نعم حقيقة فقد علمت ان أفعاله تعالى كلها جائزة بالنظر الى ذاتها واقعة على وجه الاحسان والفضل والعدل ولذلك قال رحمه الله تعالى (لخلقه تعالى الايمان في زيد واعطاؤه الرزق والعلم) مثلا (فضل منه) تعالى (واثابته تعالى للطيع كذلك) أي كخلقه الايمان ومابعده في أنه فضل من الله تعالى (وعقابه تعالى للعاصي عدل منه) تعالى قال اللقاني رحمه الله تعالى

فان يثبنا فبمحض الفضل * وان يعذب فبمحض العدل

(اذ لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية لانه تعالى هو النافع الضار بل الطاعة علامة للاثابة) أي ان الطاعات علامة على ان الله تعالى يثيب من اتصف بها بفضله (والمعاصي علامة للعقاب) أي ان المعاصي علامة على ان الله تعالى يعاقب من اتصف بها بعدله فمن أراد قربه وفقه لطاعته ومن أراد خذلانه وبعده خلق فيه المعصية فجميع الامور من أفعال الخير والشر بخلق الله تعالى لان الله تعالى خالق العبد وعمله قال تعالى والله خلقكم وماتعملون (ودليل كون فعل الممكنات أو تركها جائزا في حقه تعالى) أي لذاته تعالى (انه لو وجب عليه فعل شئ منها) أي الممكنات (عقلا) كما قالت المعتزلة بوجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى كما تقدم (لانقلاب الممكن) بمعنى الجائز (واجبا ولو امتنع عليه) تعالى (فعل شئ منها عقلا) كما قالت المعتزلة أيضا باستحالة بعض مايجوز عليه تعالى كالرؤية عليه تعالى (لانقلاب الممكن) بمعنى الجائز (مستحيلا وانقلاب الممكن واجبا أو مستحيلا باطل للزومه قلب الحقائق) لان حقيقة الجائز مايقبل العقل ثبوته تارة وعدمه أخرى ولو فرض ان فعل شئ من الممكنات واجب على مولانا جل وعلا لزم ان يكون تعالى مقهورا على ايجاد الممكن دائما وأبدا لان حقيقة الواجب مالا يقبل العقل ثبوته ولو فرض ان فعل شئ من الممكنات مستحيل عليه تعالى للزم ان يكون تعالى ممتنعا عن ايجاد الممكن دائما أبدا لان حقيقة المستحيل مالا يقبل العقل انتفاءه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فالله تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (وهو) أي قلب الحقائق (مستحيل) لا يقبل العقل ثبوته (فهذه المذكورات) من قوله رحمه الله تعالى الوجود الى قوله ويجوز في حقه تعالى الخ (واحدة وأربعون عقيدة) أي معتقدة (يجب لله تعالى منها عشرون صفة) وهي من الوجود

لان الله تعالى أنزل الضرر من الاسقام والامراض على الاطفال وهذا لاصلاح فيه للاطفال ولو كان الصلاح والاصلح واجبين عليه تعالى لما انزل الضرر على الاطفال لخلقه تعالى الايمان في زيد واعطاؤه الرزق والعلم فضل منه واثابته تعالى للطيع كذلك وعقابه تعالى للعاصي عدل منه اذ لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية لانه تعالى هو النافع الضار بل الطاعة علامة للاثابة والمعاصي علامة للعقاب ودليل كون فعل الممكنات أو تركها جائزا في حقه تعالى انه لو وجب عليه فعل شئ منها عقلا لانقلاب الممكن واجبا ولو امتنع عليه فعل شئ منها عقلا لانقلاب الممكن مستحيلا وانقلاب الممكن واجبا أو مستحيلا باطل للزومه قلب الحقائق وهو مستحيل فهذه المذكورات واحدة وأربعون عقيدة يجب لله تعالى منها عشرون صفة

(قوله اذ لا تنفعه طاعة الخ) أي فيستحيل على الله تعالى ان يصل له من عباده نفع أو ضر وحينئذ فلا ينبغي للانسان ان

الى كونه تعالى متكلما (ويستحيل عليه تعالى منها) أى من الواحدة والاربعين (عشرون صفة) أيضا وهى اضداد العشرين الواجبة له تعالى كما علمت (ويجوز فى حقه تعالى منها) أى من الواحدة والاربعين (صفة واحدة) وهى فعل كل ممكن أو تركه وبالله التوفيق (ومن الجائز) فى حقه تعالى (رؤيته تعالى فى الدار الآخرة فالله تعالى يجوز ان يرى فيها للمؤمنين والمؤمنات على الصحيح) أى عند أهل السنة خلافا للمعتزلة قبحهم الله تعالى فانهم نفوا الرؤية وهو من عقائدهم الزائغة الباطلة واستدلوا بقوله تعالى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار واستدل أهل السنة على جواز الرؤية لله تعالى بالدليل العقلى والنقلى أما الدليل العقلى فهو ان المولى سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح ان يرى فينتج ان المولى يصح ان يرى وأجابوا عن المعتزلة فى استدلالهم بالآية السابقة بوجوه منها ان الادراك رؤية على وجه خاص بان يكون على وجه الاحاطة بالمرئى لامطلق الرؤية حتى يستدل بنفيه على نفيها ومنها انه محمول على الدنيا كما قاله الباجورى رحمه الله تعالى وغيره وأما الدليل النقلى فسيذكره رحمه الله تعالى بآيات وحديث وتقييده رحمه الله تعالى فى المتن جواز الرؤية بكونها فى الآخرة مشعر بانها لاتكون فى الدنيا وهل هى فيها جائزة أو مستحيلة خلاف والتحقيق انها جائزة لكنها لم تقع فيها الا لنبينا صلى الله عليه وسلم أما لغيره فلم تقع له فيها أصلا ولا لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فمن ادعاها من الناس يقظة غيره صلى الله عليه وسلم فهو ضال مضل باطباق المشايخ وفى كفره قولان والصحيح عدم كفره وقد قال صلى الله عليه وسلم واعلموا ان أحدكم لن يرى ربه حتى يموت وهو قاطع للنزاع ولا يدخل النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله هذا لانه خاطب به الصحابة والمتكلم لا يدخل فى عموم كلامه ولذا قال العلماء لوقال نساء المسلمين طوالق لاتطلق زوجته ان لم ينو طلاقها وقال الامام مالك رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لربه خصوصية له جعل الله فيه قوة للرؤية كما يجعلها للمؤمنين يوم القيامة فلما خلق فيه تلك القوة مكنه من الرؤية منه وانما لم ير الله تعالى فى الدنيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم لان الله باق والباقى لا يرى بالفانى واذا كانوا فى الآخرة رزقوا أبصارا باقية فيرى الباقى بالباقى والحاصل ان امتناع الرؤية فى الدنيا بالعين لا لاستحالتها وانما هو من جهة ضعف القوة البصرية فاذا قوى الله بصر من شاء من عباده اقتدر على حمل ثقل الرؤية فى أى وقت ولا مانع من ذلك وهو الحق كما انه عليه الصلاة والسلام كان يرى جبريل والصحابة لا يرونه للقوة التى أمده الله تعالى بها دونهم قال بعض العارفين ان الرؤية هى اللذة الكبرى فى الجنة فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغى للمؤمن ان تكون همته من نعمة الجنة اللقاء فان غيرها من الاكل والشرب والجماع نعم بهيمية يشاركه فيها البهائم كما هو مشاهد فى الدنيا وأما رؤيته تعالى مناما فهى جائزة لان الشيطان لا يتمثل به ولا بالانبياء والملائكة ولا بالشمس ولا بالقمر ولا بالنجوم المضيئة قاله شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى فى رسالته المتعلقة برؤية المولى فانظرها ان شئت ترفيها العجب العجاب والراجح عند أكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم رأى جمال ربه سبحانه وتعالى بعينى رأسه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهذا لا يؤخذ الا بالسماع منه صلى الله عليه وسلم فلا ينبغى ان يتشكك فيه وقوله رحمه الله تعالى للمؤمنين أراد بهم من اتصف بالايمان عند الموت ولو من الامم السابقة سواء كلف به بالفعل بان كان بالغا عاقلا أو كان صالحا للتكليف به كالصبيان والبله والمجانين الذين أدركهم البلوغ على الجنون وماتوا عليه ومن اتصف بالتوحيد من أهل الفترة

ويستحيل عليه تعالى منها عشرون صفة ويجوز فى حقه تعالى منها صفة واحدة ومن الجائز رؤيته تعالى فى الدار الآخرة فالله تعالى يجوز ان يرى فيها للمؤمنين والمؤمنات على الصحيح

يفتخر بطاعته بل بعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه لانها علامة على دوام السعادة لصاحبها وأنه من أهل النعيم ففى الحديث ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى وانما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقال بعض العارفين

ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع

فمن ظن ان الله ينتفع بالطاعة فقد كفر لنسبته الافتقار له تعالى الله عنه اهـ مؤلف

لانه ايمان صحيح وعموم كلامه رحمه الله تعالى يشمل الملائكة ومؤمنى الجن وهو كذلك على المختار وقوله على الصحيح راجع لقوله والمؤمنات لانهن المختلف فى رؤيتهن المولى جل وعلا فاشار رحمه الله تعالى به الى الخلاف وحاصله انه قد اختلف فى رؤيتهن للمولى جل وعلا على ثلاثة مذاهب الاول انهن لا يرينه لعدم النص الصريح فهن مقصورات فى الخيام والثانى انهن يرينه أخذا من عمومات الاحاديث الواردة فى الرؤية والثالث انهن يرينه فى مثل الاعياد فانه تعالى يتجلى فى مثل أيام الاعياد كيوم الجمعة وهو يدعى فى الجنة بيوم المزيد تجليا عاما لعوام أهل الجنة وهى محل الرؤية ويتجلى تجليا خاصا الخواصهم كل يوم بكرة وعشيا وبعضهم لا يزال مستمرا فى الشهود حتى قال أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى ان لله خواص من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها وأما فى عرصات القيامة كالموقف فالصحيح وقوعها أيضا لانه ورد فى السنة ما يقتضى وقوعها لهم فيها وخرج بالمؤمنين الكفار والمنافقون فلا يرونه تعالى لقوله سبحانه وتعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولانهم ليسوا من أهل الاكرام والتشريف وقيل انهم يرونه سبحانه وتعالى ثم يحجبون عنه ولذا قال رحمه الله تعالى (وللكافرين على قول) وجعل النووى محل الخلاف فى المنافقين وأما الكافرون فلا يرونه تعالى اتفاقا كما لا يراه سائر الحيوانات غير العقلاء حتى الحيوانات التى تدخل الجنة مثل ناقة صالح وكبش اسمعيل كما هو ظاهر كلامهم (ثم) ان الكافرين بعد ما يرونه سبحانه وتعالى (يحجبون) عنه تعالى (فتكون) الحجبة (حسرة وعذابا) أى أشد من العذاب بالسلاسل والاغلال وعطف عذابا على حسرة من عطف العام على الخاص (لهم) أى عليهم فتحصل من هذا كله ان الله تعالى يرى فى الدار الآخرة (لكن رؤيتناله تعالى بلا كيف من كيفيات الحوادث فلا يرى تعالى فى جهة) من قدام وورا وشمال ويمين وفوق ونحوها من سائر الجهات (ولا) يرى تعالى فى (لون) ككونه أبيض أو أحمر مثلا (ولا يرى) تعالى (جسما تنزه الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا) فعلم مما تقرر ان الرؤية لا يشترط فيها ان المرئى فى جهة مخصوصة ولا فى مكان مخصوص ولا فى مسافة مخصوصة لان الرؤية على مذهب أهل الحق قوة خلقها الله تعالى فى خلقه لا يشترط فيها اتصال الاشعة ومقابلة المرئى ولا غير ذلك ولكن جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على جهة الاشتراط والحاصل كما قال الشنوانى على أبى اجرة أن المؤمنين ينظرون ربهم فى دار السلام يخرجون اليها من قصورهم فى كل جمعة كما يخرج الناس الى مصلاهم يوم الفطر ويوم الاضحى فبينما هم فيها فاذا بالحجب قد انكشفت عن الخلائق لان الحجب عليهم لا على الخالق ومن اعتقد ان الحجب تجوز على الحق تعالى فقد جهل صفات الربوبية فاذا انكشفت الحجب بدا لهم الجبار جل جلاله فينظرون الى شئ ليس كمثله شئ فينظره المؤمن فلا يرى له فوقا ولا تحتا ولا يمينا ولا شمالا ولا اماما ولا خلفا ولا يخطر ببال المؤمن شئ الا الله سبحانه وتعالى ولا يجد لشئ لذة الا النظر الى وجهه سبحانه وتعالى فيحتار العبد فى عظمته تعالى وجلاله حتى لا يشعر بمن حوله من الخلائق وينسى كل شئ الا الله سبحانه وتعالى فينظر العبد ببصره وبصيرته الرب من غير ان يدرك بهما نهاية له سبحانه وتعالى ومن غير احاطة ويراه بلا حركة ولا سكون ولا مجئ ولا ذهاب رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه (والدليل على جواز الرؤية له تعالى) عند أهل السنة (الكتاب) اى القرآن (و) الاحاديث التى هى (السنة) أى والاجماع (فمن الكتاب) آيات منها (قوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى) علق سبحانه وتعالى الرؤية

وللكافرين على قول ثم يحجبون فتكون حسرة وعذابا لهم لكن رؤيتناله تعالى بلا كيف من كيفيات الحوادث فلا يرى تعالى فى جهة ولا لون ولا يرى جسما تنزه الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا والدليل على جواز الرؤية له تعالى الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى

وقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة هو النظر الى وجه الله العظيم كما فسره جمهور المفسرين ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ومنه ارسال جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ومما يجب لذات الرسل عليهم الصلاة والسلام عقلا بمعنى عدم قبول الانتفاء أربع صفات ويستحيل عليهم عليهم الصلاة والسلام اضدادها

بوجود أمر جائز عقلا هو استقرار الجبل حين سأله سيدنا موسى عليه السلام فقال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني الآية وتقرير الدليل من هذه الآية أن تقول ان الله تعالى علق رؤية ذاته المقدسة على استقرار الجبل وهو أمر ممكن في نفس الامر ضرورة وكل ما علق على الممكن لا يكون الا ممكنا لان معنى التعليق الاخبار بان المعلق يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على شئ من التقادير فلو لم تكن الرؤية ممكنة لزم الخلف في خبره تعالى وهو محال ولو كانت منفية في الدنيا لما سألها سيدنا موسى عليه السلام لانه لا يجوز على أحد من الانبياء الجهل بشئ من أحكام الالوهية خصوصا بما يجب له تعالى وما يستحيل (و) منها (قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة و) منها (قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة هو النظر الى وجه الله العظيم كما فسره جمهور المفسرين ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم انكم) أيها المؤمنون (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء لا للمرئي كما قد يتوهم والتعبير بالسين في الحديث لان القيامة قد قربت وأول المعتزلة الحديث بان المعنى سترون رحمة ربكم وأما الاجماع فهو ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة وان الآيات والاحاديث الواردة فيها محمولة على ظواهرها من غير تأويل أصلا وبهذه الادلة السمعية أطبق أهل السنة على ان رؤية المولى سبحانه وتعالى جائزة عقلا واجبة سمعا فلا ينبغي ان يتشكك فيها والله تعالى الموفق (ومنه) أي ومن الجائز في حقه تعالى أيضا (ارسال جميع الرسل) من آدم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدخول المبدأ والغاية (عليهم الصلاة والسلام) خلافا لمن أوجبه ولمن أحاله فالاول أعني من أوجبه المعتزلة والفلاسفة فقد اتفقت الطائفتان على الوجوب وزادت الفلاسفة الايجاب ومبنى كلام المعتزلة على قاعدة وجوب الصلاح والاصلح فيقولون النظام المؤدي الى صلاح حال النوع الانساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم الا ببعثة الرسل وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى وقد مر هدم تلك القاعدة ومبنى كلام الفلاسفة على قاعدة التعليل أو الطبيعة فيقولون يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل أو بالطبع ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه وقد تقدم انه تعالى فاعل بالاختيار لا بطريق الاجبار والثاني أعني من أحاله كالسمنية والبراهمة زعموا ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لان العقل يغني عن الرسل فان الشئ ان كان حسنا عند العقل فعله وان لم تأت به الرسل وان كان قبيحا عنده تركه وان لم تأت به الرسل وان لم يكن عنده حسنا ولا قبيحا فان احتاج اليه فعله والا تركه ونعوذ بالله من هذه العقائد ولما فرغ رحمه الله تعالى من بيان بعض ما يجب له وبعض ما يستحيل وما يجوز عليه تعالى وهو القسم الاول من مباحث هذا الفن الذي هو الالهيات كما تقدم أخذ يبين ما يجب لرسله عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز عليهم وهو القسم الثاني منها الذي هو النبويات كما تقدم أيضا فقال (ومما يجب لذات الرسل عليهم الصلاة والسلام عقلا) أي وجوبا عقليا (بمعنى عدم قبول الانتفاء أربع صفات ويستحيل عليهم عليهم الصلاة والسلام) أربع صفات أيضا (اضدادها) أي اضداد للاربعة الواجبة ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام وقوع الاعراض البشرية كما سيأتي وانما كان ماذكر بعض ما يجب لهم عليهم الصلاة والسلام مع انهم عليهم الصلاة والسلام ثابتة لهم جميع الكمالات البشرية وهي لا تنحصر في الاربعة المذكورة لانه لم يكلفنا الشارع تفصيلا الا بمعرفة ما نصب لنا عليه دليلا وهي هذه الاربعة وانما

كان ماذكر بعض ما يستحيل عليهم مع انهم عليهم الصلاة والسلام مستحيلة عليهم النقائص المخلة بمراتبهم العلية وهى لا تنحصر فى الاربعة المذكورة أيضا الا انه لما كانت اضدادا لما قام الدليل عليه من الواجبات لهم عليهم الصلاة والسلام اقتصر رحمه الله تعالى عليها وبالجملة فيجب على المكلف مع اعتقاد ماذكر من الاربعة الواجبة والاربعة المستحيلة أن يعتقد ان كل كمال بشرى واجب لهم عليهم الصلاة والسلام وكل نقص مخل بمراتبهم العلية مستحيل عليهم عليهم الصلاة والسلام وان كمالاتهم البشرية الواجبة لا نهاية لها كما أن المستحيلة كذلك كما سيأتى (وهى) أى الاربعة الواجبة للرسل عليهم الصلاة والسلام واضدادها المستحيلة عليهم (الصدق) أى مطابقة الخبر للواقع واعلم أن الصدق ثلاثة أقسام الصدق فى دعوى الرسالة والصدق فى الاحكام التى يبلغونها عن الله تعالى والصدق فى الكلام المتعلق بأمور الدنيا كقام زيد وقعد عمرو أكلت كذا او شربت كذا ونحو ذلك والمراد هنا القسمان الاولان وأما القسم الثالث فهو داخل فى الامانة فان قيل كل من القسمين الاولين داخل أيضا فى الامانة بل التبليغ أيضا داخل فيها فلا وجه لافراد ذلك عنها أجيب بأنه قد تقدم أن خطر الجهل فى هذا الفن عظيم فلا يكتفى فيه بالاجمال ووجوب اعتقاد صدقهم عليهم الصلاة والسلام ثابت (فى جميع أقوالهم) أى فى دعوى الرسالة وفيما بلغوه عن الله تعالى (ودليل وجوب الصدق) أى فى دعوى الرسالة وفيما بلغوه عن الله تعالى (للرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم لو كذبوا فى خبرهم لكان خبر الله كاذبا) لانه لو جاز الكذب على الرسل لجاز الكذب عليه تعالى اذ تصديق الكاذب كذب والكذب عليه تعالى محال لان خبره تعالى وفق علمه والخبر على وفق العلم لا يكون الا صدقا فيكون الكذب على الرسل محالا (لانه تعالى صدق دعواهم الرسالة باظهار المعجزة على أيديهم) أى الرسل عليهم الصلاة والسلام (والمعجزة نازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى) وانما كانت المعجزة نازلة منزلة قوله تعالى المذكور لانها دلت على صدق من ظهرت على يده فكان الله تعالى قال صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى لا ان الله تعالى قال ذلك صريحا بل تنزيلا كما علمت وسيأتى ان شاء الله تعالى تعريف المعجزة (وضد الصدق الكذب) فيستحيل عليهم الكذب أى عدم مطابقة الخبر للواقع (والامانة أى عصمتهم) ظاهرا وباطنا (من الوقوع فى محرم أو مكروه أو مباح على وجه كونه مباحا) فتكون أفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب فقط ولا يرد على ذلك انه صلى الله عليه وسلم بال قائما وشرب قائما وتوضأ مرة مرة ومرتين مرتين مع انها مكروهة لانه اما للتشريع أو لبيان الجواز وذلك واجب فى حقه صلى الله عليه وسلم فعلم مما تقرر انه لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام محرم ولا مكروه على وجه كونه مكروها وكذا لا يقع منهم مباح على وجه كونه مباحا لان المباح لا يقع منهم بمقتضى الشهوة ونحوها كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم الا مصاحبا لنية يصير بها قربة اما للتشريع أو لبيان الجواز كما علمت (ودليل وجوب الامانة) أى عدم خيانتهم ظاهرا وباطنا بفعل محرم أو مكروه (للرسل عليهم الصلاة والسلام انهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لكنا مأمورين بمثل ما يفعلونه لان الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم) أى وتقريراتهم وسكوتهم عن الفعل اذ لا يقرون على خطأ ويستثنى من ذلك ما ثبتت خصوصيته بهم كنكاح ما زاد على الاربع ويعلم من ذلك انه ليس للمكلف منا ان يتوقف فى فعل شئ مما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم لاحتمال الخصوصية بل يتبعه فى جميع أقواله وأفعاله الا ما ثبت انه من خصوصياته لاطلاق قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وقوله

تعالى

وهى الصدق فى جميع أقوالهم ودليل وجوب الصدق للرسل عليهم الصلاة والسلام انهم لو كذبوا فى خبرهم لكان خبر الله كاذبا لانه تعالى صدق دعواهم الرسالة باظهار المعجزة على أيديهم والمعجزة نازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى وضد الصدق الكذب والامانة أى عصمتهم من الوقوع فى محرم أو مكروه أو مباح على وجه كونه مباحا ودليل وجوب الامانة للرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لكنا مأمورين بمثل ما يفعلونه لان الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم

تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وقوله ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الى غير ذلك من الآيات وقد
أجمعت الصحابة على اتباعه عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله من غير توقف فقد خلعوا
أنعالهم لما خلع عليه الصلاة والسلام نعله ونزعوا خواتمهم لما نزع عليه الصلاة والسلام خاتمه الى
غير ذلك لكن هذا بالنظر للغالب والا فقد وقع منهم التوقف في غزوة الفتح حيث أمرهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالفطر في رمضان فاستمروا على الامتناع فتناول القدح وشرب فشربوا وفي
غير ذلك فان قلت أمر الله لنا بالاقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم ظاهر وأما بالاقتداء بغيره صلى الله
عليه وسلم كموسى وعيسى عليهما السلام فمشكل اذ لا يلزمنا الاقتداء بغيره أجيب بانه مبني على
ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما لم يرد عن نبينا فيه شئ كما هو مذهب السادة المالكية وهو قول
ضعيف عند الشافعية وأقرب منه الجواب بان ضمير أمرنا للمكلفين لا بخصوص هذه الامة فكل
أمة مأمورة بالاقتداء برسولها فهو على سبيل التوزيع (ولا يأمر الله تعالى بالفحشاء) لقوله تعالى
قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية (فيتعين انهم لم يفعلوا شيأ الا الطاعة) والطاعة (اما واجبة أو
مندوبة) فلا يدخل في أفعالهم محرم أصلا ولا مكروه ولا مباح على وجه كونهما مكروها ومباحا
بل على وجه كونهما قربة كما تقدم (وضد الامانة الخيانة) فيستحيل عليهم الخيانة (بفعل محرم أو
مكروه) فليس في أفعالهم وأقوالهم محرم ولا مكروه وسواء كان المحرم صغيرة أو كبيرة فلا تقع منهم
صغيرة ولا كبيرة أصلا وسواء كان عمدا أو سهوا وقبل البعثة أو بعدها وما ورد مما يوهم وقوع
ذلك منهم عليهم الصلاة والسلام يجب علينا تأويله قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في شرح
الاربعين النووية وما وقع في قصص يذكرها المفسرون وفي كتب قصص الانبياء مما يخالف
تنزيههم عن كل وصمة ونقص وعصمتهم من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها لا يعتمد عليه
ولا يلتفت اليه وان جل ناقلوه كالبغوي والواحدي وما جاء في القرآن من اثبات العصيان لآدم
ومن معاتبة جماعة منهم على أمور فعلوها انما هي من باب ان للسيد ان يخاطب عبده بما شاء
وان يعاتبه على خلاف الاولى معاتبة غيره على المعصية وقد ثبت انهم أفضل من سائر الملائكة
فاذا فضلوا المعصومين لزم كونهم معصومين بالاولى انتهى ملخصا (وتبليغ) بمعنى انهم أوصلوا
جميع (ما أمروا بتبليغه للخلق) انما قيد رحمه الله تعالى بقوله ما أمروا بتبليغه احترازا عما ليس
كذلك بان أمروا بكتمانه أو خيروا في تبليغه وكتمانه فان تبليغه ليس بواجب بل هو ممتنع في
الاول جائز في الثاني وانما لم يذكر رحمه الله تعالى وجوب كتمان ما أمروا بكتمانه لانه داخل في
الامانة (ودليل وجوب التبليغ للرسل أنهم عليهم الصلاة والسلام لو كتموا لكنا مأمورين
بكتمان العلم) لانا مأمورون بالاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم كما تقدم (ولا يصح ان نؤمر بكتم
العلم لان كاتمه ملعون) كما في الخبر كاتم العلم ملعون لكنه محمول على من كتمه عن مستحقه وقد
تعين عليه تعليمه وقد نصوا على انه لا يجب على العالم ان يعلم الناس من غير طلب منهم ما لم يكن
الواقع أمرا منكرا أو الازمه ذلك ازالة للمنكر فيجب على من رأى شخصا يخل بهيئة الصلاة مثلا ان
يعلمه وان لم يسئل عن ذلك (وضد التبليغ الكتمان) فيستحيل عليهم الكتمان (لشئ مما أمروا
بتبليغه) أي ولو سهوا الا ان السهو لا يجوز عليهم في الاحكام التي يبلغونها عن الله تعالى وان جاز
عليهم في غيرها فقد سها صلى الله عليه وسلم في الصلاة لكن باشتغال قلبه بتعظيم الله تعالى والى
هذا المعنى أشار بعضهم بقوله

ولا يأمر الله تعالى بالفحشاء فتعين أنهم لم يفعلوا شيأ الا الطاعة اما واجبة أو مندوبة وضد الامانة الخيانة بفعل محرم أو مكروه وتبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق ودليل وجوب التبليغ للرسل أنهم عليهم الصلاة والسلام لو كتموا لكنا مأمورين بكتمان العلم ولا يصح ان نؤمر بكتم العلم لان كاتمه ملعون وضد التبليغ الكتمان لشئ مما أمروا بتبليغه

يا سائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

(والفطانة) أي التفطن والحذق لهم عليهم الصلاة والسلام بمعنى الذكاء بحيث يكون فيهم قدرة على الزام الخصوم ومحاجتهم وطرق ابطال دعواتهم الباطلة (ودليل وجوب الفطانة للرسل عليهم الصلاة والسلام أنه لو انتفت عنهم الفطانة لما قدروا ان يقيموا حجة على الخصم لكن اقامة الحجج منهم دل عليها الكتاب) كما في قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم والاشارة عائدة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله تعالى وهم مهتدون وكقوله تعالى حكاية عن قوم نوح يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا أي خاصمتنا فأطلت جدالنا وأتيت بأنواعه وكقوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن أي بالطريق التي هي أحسن بحيث تشتمل على نوع ارفاق بهم ومن لم يكن فطنا بان كان مغفلا لاتمكنه اقامة الحجة ولا المجادلة لا يقال هذه الآيات ليست واردة الا في بعضهم فلا تدل على ثبوت الفطانة لجميعهم لانا نقول ما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لغيره فثبتت الفطانة لجميعهم وان لم يكونوا رسلا بل أنبياء فقط فاللائق بمنصب النبوة ان يكون عندهم من الفطانة ما يردون به الخصم على تقدير وقوع جدال منهم (واقامة الحجج لاتكون الا من الفطن وضد الفطانة البلادة) فيستحيل عليهم البلادة وهي عدم الذكاء ولما أنهى رحمه الله تعالى الكلام على ما يجب للرسل وما يستحيل أخذ يتكلم على ما يجوز في حقهم فقال (ويجوز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام) عقلا (بمعنى قبول الثبوت تارة والانتفاء أخرى وقوع الاعراض البشرية) التي لا حرمة فيها ولا كراهة (بهم) عليهم الصلاة والسلام لخرج بالاعراض الصفات الالهية فلا تجوز عليهم لان الحادث لا يتصف بالقديم ونحوه خلافا للنصارى قبحهم الله حيث وصفوا سيدنا عيسى بها و بالبشرية صفات الملائكة كعدم الذكورة والانوثة وعدم الاكل والشرب فلا تجوز عليهم خلافا لجهلة العرب في زعمهم ان الرسول يكون متصفا بصفات الملائكة فلا يأكل ولا يشرب وتوصلوا بذلك الى نفي رسالته صلى الله عليه وسلم كما حكاه الله تعالى عنهم في قوله وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الآية و بقولنا لا حرمة فيها ولا كراهة الاعراض البشرية التي فيها الحرمة كالوطء المحرم والاكل المحرم وغيرهما والتي فيها الكراهة الخالصة أي التي لا تصحبها نية تصير بها قربة فلا تجوز عليهم كما تقدم ثم مثل رحمه الله تعالى وقوع الاعراض البشرية بهم عليهم الصلاة والسلام بقوله (كالمرض) أي الخفيف الذي لا يؤدي الى نقص (والاكل والشرب والنكاح والنوم باعينهم) اي لا بقلوبهم لما ورد نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكخروج المني الناشئ من امتلاء الاوعية مثلا لا من الاحتلام الناشئ من الشيطان لانه لا تسلط للشيطان عليهم ونحوها من سائر الاعراض البشرية (التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية) أي منازلهم المرتفعة وخرج بهذا القيد الاعراض البشرية التي تؤدي الى نقص في مراتبهم كالامور المخلة بالمروءة وعدم السلامة عن كل ما ينفر وكل ما يخل بحكمة بعثتهم وهي أداء الشرائع وقبول الامم لهم ودخل في ذلك الاكل على الطريق والحرفة الدنيئة وعدم كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ودناءة الآباء وعهر الامهات والغلظة والفظاظة والعيوب المنفرة كالبرص والجذام والجنون ويلحق بها العمى فانه لم يعم نبي قط ونحو ذلك مما يعد في العرف نقصا فلا تقع عليهم وما أوهم خلاف ذلك فيجب تأويله كما تقدم (ودليل وقوع الاعراض البشرية) أي التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية

والفطانة ودليل وجوب الفطانة للرسل عليهم الصلاة والسلام انه لو انتفت عنهم الفطانة لما قدروا ان يقيموا حجة على الخصم لكن اقامة الحجج منهم دل عليها الكتاب واقامة الحجج لاتكون الا من الفطن وضد الفطانة البلادة ويجوز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعنى قبول الثبوت تارة والانتفاء أخرى وقوع الاعراض البشرية بهم كالمرض والاكل والشرب والنكاح والنوم باعينهم التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية ودليل وقوع الاعراض البشرية

بهم مشاهدة وقوعها بهم لمن عاصرهم وبلوغ ذلك بالتواتر لغيرهم وأيضا انهم عليهم الصلاة والسلام لايزالون يرقون فى المراتب العليـة فى كل لحظة ولمحة كما قال تعالى وللآخرة خير لك من الاولى ووقوع الامراض بهم مثلا سبب فى زيادة مراتبهـم العلية فن فوائد وقوع تلك الاعراض بهم عليهم الصلاة والسـلام زيادة مراتبهم العليـة كما علمت وتعظيم أجورهم وتشريـع الاحكام لنـا

(بهـم) عليهم الصـلاة والسلام (مشاهدة) اى معاينة (وقوعها بهم) حقيقة بالبصر (لمن عاصرهم) أى لمن قارنهم فى الزمان وحضرهم ورآهم كرؤية الصحابة ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم أو حكما (و) هو (بلوغ ذلك) أى وقوع الاعراض بهم (بالتواتر) أى المعنوى وهو أن يرويه جمـاعـة كثيرة يستحيل تواطؤهم على الـكذب لـكن بالفاظ مختلفة ومعنـاها واحـد والتواتر اللفظى ان يتحـد اللفظ والمعنى (لغـيرهم) أى لمن لم يرهم والوقوع أقوى دليل على الجواز لان الوقوع فرع عن الجواز ومن مشاهـدة من رآهم انهم عليهـم الصلاة والسلام أكلوا وشربوا وتزوّجوا ومرضوا واعلم أن المصاب بتلك الاعراض ظواهرهم فقط أما بواطنهم فلا تصيبها ولا تمنع تعلقهـا بالرب سبحانه وتعالى ثم استدل رحمه الله تعالى على جواز وقوع الاعراض بهم عليهم الصلاة والسلام ثانيا بقوله (وأيضا) أى وأقول راجعا للدليل أيضا (انهم عليهم الصلاة والسلام لا يزالون يرقون) أى يرتفعون و يصعدون (فى المراتب العلية فى كل لحظة ولمحة) عطف تفسير لمـا قبلها (كما قال تعالى) فى سورة والضحى (وللآخرة خير لك من الاولى) أى وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظـة المتقدمة كما قاله أهل الحقيقة وقال بعض المفسرين يعنى ان مالك عند الله فى الآخرة أفضل وأعظم مما لك فى الدنيا (ووقوع الامراض بهم مثلا سبب فى زيادة مراتبهم العلية) وبيان ذلك ان المرض مثلا لا يقع بهم عليهم الصلاة والسلام الا الذى لا يخل بشئ من مقاماتهـم بل لا يقع بهم الا ما يزيد بسببه علو قدرهم لانهـم اذا أصابهم المرض مثلا يصـبرون عليه و يشكرون مبتليهم فيكون ذلك سببا فى زيادة مراتبهم العلية وفى كمال شرفهم فلا يخل المرض ونحوه بشئ من مشاهداتهم الى ربهم ولا يوجب لهم هجرا ولا انحرافا ولا ضعفا لقواهم الباطنة أصلا كما هو كذلك موجود فى حق غيرهم عليهم الصلاة والسلام بل يزيدهم رفعة وكذلك الجوع والنوم لا يسـتولى على شئ من قلوبهم ولهذا تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم (فن فوائد وقوع تلك الاعراض) اى البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية (بهم عليهم الصلاة والسلام زيادة مراتبهم العلية كما علمت) أى من قوله رحـمه الله تعالى و وقوع الامراض بهـم مثـلا الخ (و) من فوائد ذلك أيضا (تعظيم أجورهم) كما فى مرضهم واذية الخلق لهم ولهذا قال صـلى الله عليه وسـلم أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولا يخفى ان مولانا سبحانه وتعالى قادر ان يوصل لهم الثواب الاعظم بلا مشقة تلحقهم عليهـم الصـلاة والسـلام لـكن فعل مولانا ذلك اظهارا العـدله وعظيم حكمه التى لا تحصيها العقول واختار ان يوصـل لهـم ذلك الثواب الاعظم مع تلك الاعراض لان مولانا جل وعز يفعل ما يشاء ولا يسئل عمـا يفعل تبارك وتعالى (و) من فوائد ذلك أيضا (تشريـع) أى تبيين (الاحكام) المتعلقة بالاعراض (لنا) معاشر الخلق لاجـل ان نعلـمها كما علمنا احكام السهو فى الصـلاة من سهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكيفية اداء الصلاة فى حال المرض والخوف من فعله صلى الله عليه وسلم لهـا عند ذلك وعرفنا هيئة أكل الطعام وشرب المـاء من أكله وشربه صـلى الله عليه وسـلم والا فهو عليه الصلاة والسلام غنى عن الطعام والشراب اذ هو صلى الله عليه

✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤✤

(قوله أشدكم بلاء الانبياء الخ) معناه ان الله تعالى امتحنهم بالبـلايا والقى عليهـم الصـبر والمحبة فشاهدوا اعطاء الله فى تلك البلايا فصارت البلايا عطايا واعـلم ان البلاء قسمان أحدهما ما يكون من شـؤم الذنب وذلك للعصاة الذين لم يتلقـوه بالرضا والتسليم روى عن عائشة رضى الله عنها انهـا قالت ما من مسـلم يصيبه وصب ولا نصب ولا الشـوكة يشاكهـا وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعـفو الله منه أكثر والمؤمنون اذا أذنبوا تعجـل لهم البلايا فى الدنيا لاجل ان يلقوا الله وليس عليهم ذنوب فقـــد روى ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه لمـا نزل قـوله تعالى من يعـمل سوأ يجز به قال يارسول الله وانا لم نعمل السوء وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال صلى الله عليـــه وسلم أما أنت وأصحابك المـؤمنـون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة وفى رواية قال أبو بكر فن ينجو مع هذا فقال عليه الصلاة والسلام اما تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى قال هو ذلك ثانيهما وهو المراد هنا البلاء الذى يـكون اختيارا وامتحانا وذلك للانبياء والصالحين ليرقيهم به اعلى الدرجات ولذلك قال العارف الجيلى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به تلذ لى الآلام مذ انت مسقمى * وان تمتحنى فهى عندى صنائع اه مؤلف

وتسلى غيرهم بهم عن الدنيا وتنبيه العاقل على خسة قدرها عند الله وعدم رضاه بها دار جزاء لانبيائه وأوليائه عليهم الصلاة والسلام اذ لو كانت الدنيا دار جزاء لهم لما أصابهم شيء من تكدراتها ﴿ (قوله آخر من يدخل الجنة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها) قال في الاحياء لا تظن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام كان يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل (٤٠) في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة

وسلم يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه والحاصل ان الحكمة في كون الانبياء يأكلون ويشربون هو التشريع لا لجوع وعطش لانهم مستغنون عن الطعام والشراب وقد ثبت عن بعض السلف الصالح قيل هو محمد بن أسلم وقيل أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى انه كان لا يأكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال يمنعني من أكله انه لم يثبت عندي كيف أكله صلى الله عليه وسلم انتهى وذكر بعضهم انه ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يشق البطيخ بقشره ويأخذ الشقة يأكل منها من ناحية اليمين حتى يصل لنصفها فيديرها بان يجعل ما كان منها جهة اليسار جهة اليمين ويأكل منها الى ان يصل للموضع الذي وصل اليه ويرمي القشر ولا يأكله (و) من فوائد ذلك أيضا (تسلي) أي تصبر (غيرهم بهم عن الدنيا) فلا يحزن عليها اذا فقدت ولا يبخل بها اذا وجدت وهذا حقيقة الزهد والدنيا هي الدار التي نحن فيها وسميت بذلك لدناءتها أو لدنوها الى الزوال وسبقها الآخرة قال الشاعر

اعاف دنيا تسمى من دناءتها * دنيا والا فمن مكروهها الداني

وحقيقتها ما على الارض من الهواء والاموال وتوابعها كالجاه وغيره مما قبل الآخرة وذلك انه اذا رأى العاقل مقامات هؤلاء السادات الكرام الذين هم خيرة الله مع خلقه وصفوته من عباده مع ما وقع لهم من الاعراض يتسلى ويتصبر بها (و) من فوائد ذلك أيضا (تنبيه العاقل على خسة) أي حقارة (قدرها عند الله) لانه اذا رأى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معرضين عن الدنيا وعن زخارفها اعراض العقلاء عن الجيفة والنجاسة تنبه وتيقظ لحقارة قدرها عند الله تعالى ولهذا قال عليه الصلاة والسلام الدنيا جيفة قذرة ولم يأخذوا عليهم الصلاة والسلام منها الا شبه زاد المستعجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل وزاد الترمذي وعد نفسك من أهل القبور وقال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء فاذا نظر العاقل في أحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام على تركهم زينة الدنيا وزخارفها علم بيقين خسة قدرها عند الله (و) تنبيه العاقل على (عدم رضاه) تعالى (بها) أي الدنيا (دار جزاء) أي ثواب على الاعمال ودار اقامة (لانبيائه وأوليائه عليهم الصلاة والسلام) لزوالها وخستها وعدم سعتها لما يعطيهم فقد أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا آخر من يدخل الجنة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها (اذ لو كانت الدنيا دار جزاء) واقامة (لهم) أي لانبيائه وأوليائه عليهم الصلاة والسلام (لما أصابهم شيء من تكدراتها) ولجعل لهم النعيم فيها ولجعلهم دائمين فيها ولا يموتون لانهم أكثر الخلق عبادة وأشدهم طاعة لله تعالى فيكون أكثر النعيم

الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهريون فان روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ماهذه الجوهرة الا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف الف ألف مثقال فقد كذب في قوله اني أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول صلى الله عليه وسلم الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي كما ان الجوهري مرحوم اذ ابتلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذ ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة اهـ

النعيم والدوام لهم مع انهما لم يحصلا لهم فيها فدل على انها ليست محل جزاء واقامة كما قال تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة وما أحسن من قال

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن * اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

فاذا انظر العاقل فى احوال الانبياء صلى الله وسلم عليهم فى الدنيا علم علم يقين انها لا قدر لها عند الله اذ لو كان لها قدر عنده لما حمى منها أنبياءه ورسله وخاصة خلقه واشرافهم وبسطها على الكفار والفجار وعلم انها ليست دار اقامة وجزاء لهم عليهم الصلاة والسلام (ومن فوائد ذلك أيضا انتفاء صفات الالوهية عنهم) أى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيان ذلك هو ان البشر اذا رأوا خوارق العادات ظهرت على ايديهم ربما يتوهم القاصر منهم انهم يستحقون لصفات الالوهية فاجرى الله تعالى عليهم الصفات البشرية ليعلم انتفاء صفات الالوهية عنهم عليهم الصلاة والسلام وهذا آخر ما يجب على المكلف ان يعرفه تفصيلا من القسمين اللذين هما الالهيات والنبويات ولذا قال رحمه الله تعالى (وقد تمت الخمسون عقيدة بدلائلها) أى مع دلائلها التى ذكرها رحمه الله تعالى عقب كل عقيدة (مفصلة) كما علمت (قال السنوسى) رحمه الله تعالى وهو الامام العالم العلامة الفقيه الزاهد الولى الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسى المالكى المغربى التلمسانى وهو ممن أظهر الله تعالى به الدين ولد رضى الله عنه سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وتوفى رضى الله عنه يوم الاحد بعد عصر الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثمانمائة وفاح ريح المسك منه عند موته رضى الله عنه (وليس يكون) بمعنى ولا يكون (الشخص مؤمنا اذا قال أنا جازم بالعقائد) أى من غير معرفة أدلتها التفصيلية أو الاجمالية كما هو فرض الكلام (ولو قطعت قطعا قطعا) أى ولو توعد فى شخص بالقطع قطعا قطعا (لا أرجع عن جزمى هذا) المذكور من العقائد التى جزمت بها (بل لا يكون) الشخص (مؤمنا) محققا لايمانه (حتى يعلم كل عقيدة من هذه الخمسين بدليلها) أى مع دليل الخمسين عقيدة (التفصيلى أو الاجمالى) وتقدم ضابطهما فى أول الرسالة فمن لم يعلم كل عقيدة أو علمها من غير دليل تفصيلى أو اجمالى لا يصح ايمانه عند السنوسى وابن العربى (فهذه الخمسون عقيدة) التى تقدم ذكرها (يجب على المكلف من ذكر أو أنثى ان يعرفها بادلتها) جمع دليل وهو الامر المرشد الى المطلوب (على التفصيل) أى بأن يعرف كل عقيدة من الوجود وما بعده الى آخر العقائد المتقدمة (وأما غيرها) أى غير الخمسين عقيدة المشتملة على بيان ما يجب لمولانا جل وعز وما يستحيل عليه تعالى وما يجوز وعلى بيان مثل ذلك فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرها من الكمالات الواجبة له تعالى والنقائص المستحيلة عليه ومن مثل ذلك فى حق الرسل صلى الله عليهم وسلم (فلا يجب على المكلف الايمان به على التفصيل بل يجب) الايمان به (على الاجمال) وذلك (بأن يعتقد أنه تعالى يجب له كل كمال) من عدل وصدق وانجاز وعد ونحوها من سائر الكمالات التى تليق به تعالى (و) بأن يعتقد انه تعالى (يستحيل عليه) تعالى (كل نقصان) من ظلم وكذب وخلف وعد وبخل ونحوها من سائر النقائص التى لا تليق به تعالى (و) بان يعتقد (ان كمالاته الواجبة له) تعالى (لانهاية لها) أى فى نفس الامر باعتبار عقول البشر قال تعالى ولا يحيطون به علما وفى الحديث لا أحصى ثناء عليك وثبوت ما لا نهاية له ليس ممنوعا عقلا بالنسبة للقديم سواء كان فى الصفات الوجودية أو غيرها أما بالنسبة للحادث فان كان بمعنى لا أول له ولا آخر فمستحيل وان كان بمعنى ان له أولا

وانتفاء صفات الالوهية عنهم عليهم الصلاة والسلام وقد تمت الخمسون عقيدة بدلائلها مفصلة قال السنوسى وليس يكون الشخص مؤمنا اذا قال أنا جازم بالعقائد ولو قطعت قطعا قطعا لا أرجع عن جزمى هذا بل لا يكون مؤمنا حتى يعلم كل عقيدة من هذه الخمسين بدليلها التفصيلى او الاجمالى فهذه الخمسون عقيدة يجب على المكلف من ذكر أو أنثى ان يعرفها بادلتها على التفصيل وأما غيرها فلا يجب على المكلف الايمان به على التفصيل بل يجب على الاجمال بان يعتقد انه تعالى يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقصان وان كمالاته الواجبة له لانهاية لها

(قوله فدل على أنها ليست محل جزاء) قال الصاوى رحمه الله تعالى على الجلالين عند قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا يؤخذ من الآية ان جزاء الاعمال الصالحة فى الآخرة وأما النعم التى يعطاها المؤمن فى الدنيا

ولا آخر له فخار كنعيم الجنان فانه لا يتناهى بمعنى انه لا ينقطع أبدا حتى لا يتجدد بعده شئ وأما كل ما وجد منها فيما مضى الى زمن الحال فهو متناه له مبدأ ومنتهى فصفاته تعالى لا نهاية لها في نفس الامر وقولهم كل ما دخل في الوجود فهو متناه مخصوص بالحادث ومع كونها غير متناهية يعلمها الله تفصيلا وما يتراءى من التناهي فهو بحسب عقولنا القاصرة فان هناك أمورا يجب تسليمها وان لم تسعها عقولنا كـكرامات الاولياء فانها موجودة في نفس الامر ويجب تسليمها وان كانت العقول لا تسع ذلك (كما ان النقائص المستحيلة عليه) تعالى (كذلك) أى لا نهاية لها وقد تقدم التنبيه على هذا كله في أول الكتاب فانظره ان شئت (و) بأن يعتقد (ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب لهم كل كمال بشرى) من حلم وصبر وعفة وسماحة وشجاعة وفطانة ونحوها من سائر الكمالات البشرية التى تليق بمقاماتهم العلية (و) بأن يعتقد أنهم (يستحيل عليهم) صلى الله عليهم وسلم (كل نقص يخل بمراتبهم العلية) من حماقة وتضجر ودناءة وشح وجبن وبلادة ونحوها من سائر النقائص التى لا تليق بمقاماتهم العلية (و) بأن يعتقد (ان كمالاتهم البشرية الواجبة لهم لا نهاية لها) أى لا تقف عند حد بمعنى أنه كلما وجد فرد من الكمالات حدث بعده آخر وهكذا الى ما لا نهاية له فكل ما وجد منها متناه فلا يرد أن عدم التناهي في حق الحادث مستحيل فعلم من هذا أن عدم التناهي هنا ليس بمعناه هناك (كما أن النقائص المستحيلة عليهم) صلى الله عليهم وسلم (كذلك) أى لا نهاية لها وقد تقدم الكلام على ذلك أيضا فلا عود ولا اعادة (والله) سبحانه وتعالى (أعلم) من كل ذى علم قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم أى حتى ينتهى الامر الى الله سبحانه وتعالى فهو أعلم من كل عليم وقصده رحمه الله تعالى كما قاله في شرحه بذلك التبرى من دعوى الاعلمية لان فيه غاية التفويض المطلوب ولم يقصد الاعلام بختم الكلام فانه ينبغى لكل أحد اذا قال والله أعلم ان يقصد به التبرى من دعوى الاعلمية ولا يقصد به الاعلام بختم الكلام أو الكتاب أو الدرس ولما كان الايمان والاسلام باعتبار متعلق مفهوميهما أو هو ما علم من الدين بالضرورة من مباحث علم الكلام ذكرهما المتكلمون فيه لكن اختلفوا في وضعهما فاخرهما قوم عن الالهيات والنبوات والسمعيات وقدمهما آخرون ووضعهما بين النبوات والسمعيات آخرون لاحتياج الخائض في تلك المباحث اليهما وقد سلك رحمه الله تعالى هذا الطريق مترجما لهما بتنبيه ايقاظا للمكلف بمعرفتهما فقال (تنبيه الايمان) لغة مطلق التصديق ومنه قوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب عليه السلام وما أنت بمؤمن لنا وشرعا ماذكره رحمه الله تعالى بقوله (تصديق نبينا صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (به) أى بما علم مجيئه اجمالا فيما كلف به كذلك وتفصيلا فيما كلف به كذلك (من الدين) بيان لما (بالضرورة) أى فيما اشتهر بين أهل الاسلام حتى صار العلم به يشبه العلم الحاصل بالضرورة بحيث تعلمه العامة من غير افتقار الى نظر واستدلال كوحدة الصانع ووجوب الصلاة والصوم وحقية البعث والجزاء ونحو ذلك والمراد من التصديق قبول النفس لما جاء به مع الرضا وترك العناد لا مجرد وقوع الصدق في القلب من غير اذعان وقبول اذ هذا القدر موجود في كثير من الكفار الذين كانوا عالمين بحقية ما جاء به (والاسلام) لغة مطلق الاستسلام والانقياد وشرعا ماذكره رحمه الله تعالى بقوله (الامتثال والانقياد الظاهرى للاعمال سواء عمل أو لم يعمل) فالمراد الاذعان لتلك الاحكام وعدم ردها سواء عملها أو لم يعملها فهما مختلفان مفهوما متحدان ماصدقا بمعنى أنه لا يوجد مؤمن في الدنيا والآخرة الا وهو مسلم ولا مسلم في الدنيا والآخرة الا وهو مؤمن والحاصل أنه لا تعتبر

الاعمال

كما ان النقائص المستحيلة عليه كذلك وان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب لهم كل كمال بشرى ويستحيل عليهم كل نقص يخل بمراتبهم العلية وان كمالاتهم البشرية الواجبة لهم لا نهاية لها كما ان النقائص المستحيلة عليهم كذلك والله أعلم (تنبيه) الايمان تصديق نبينا صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة والاسلام الامتثال والانقياد الظاهرى للاعمال سواء عمل أو لم يعمل

من عافية ورزق وغير ذلك فليست جزاء لاعماله الصالحة بل تكفل الله بها لكل حى في الدنيا مسلما أو كافرا بل بعض العبيد من أهل المحبة في الله لا ينتظر بعمله الجنة بل يقول انما عبدناك لذاتك لا لشئ آخر قال العارف ابن الفارض حين كشف له عن الجنة وما أعد له فيها في مرض موته

ان كان منزلتى في الحب عندكم * ماقد رأيت فقد ضيعت أيامى اهـ

الاعمال في الخروج من عهدة التكليف بالاسلام الاعم الايمان فهو شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان بالنسبة للقادر وان انفك عنه فيمن اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ (و) اختلفوا في النطق بالشهادتين بالنسبة للمتمكن القادر فقال محققو الاشاعرة والماتريدية وغيرهم (النطق بالشهادتين) هما أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (من القادر شرط لاجراء الاحكام الدنيوية عليه) كالصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابر المسلمين والتوارث والمناكحة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لاباء بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في أحكام الشرع الدنيوية ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس حتى نطلع على باطنه بظهور علامة كسجود لصنم واستخفاف بمصحف فنحكم بكفره أما الممتنع الآبي فكافر في الدارين والمعذور بنحو خرس واخترام منية مؤمن فيهما وأما الاعمال الصالحة فالمختار أنها شرط كمال للايمان لا شرط صحة فالتارك لها أو لبعضها من غير استحلال ولا عناد ولا شك في مشروعيتها مؤمن مفوت على نفسه الكمال والآتي بها ممتثلا محصل لأكمل الخصال وانما اشترطوا لصحة الايمان النطق لان الايمان أمر باطني لا اطلاع لنا عليه فلابد من شئ يدل عليه وهو النطق وهل الشرط النطق بما يدل على الايمان أو لابد من خصوص الشهادتين قولان فقيل يكفي كل صيغة دلت على الدخول في الاسلام لان الاحتياط للدخول في الاسلام والعصمة المتشوف اليهما الشرع اقتضى توسعة طرقه كآمنت أو أومن بالله ورسوله أو الله ربي ومحمد رسولي واختار هذا القول الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى وهو مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وقول في مذهب الامام مالك رضي الله عنه وقيل لابد من خصوص الشهادتين لان الشارع تعبدنا بهما واختار هذا القول الشيخ الرملي رحمه الله تعالى وهو قول في مذهب الامام مالك رضي الله عنه (وقيل) أي وقال أئمة محققون كالامام أبي حنيفة وجماعة من الاشاعرة النطق بالشهادتين (شطر) أي جزء من حقيقة الايمان فيكون الايمان عند هؤلاء اسما لعمل القلب واللسان جميعا وهما التصديق والاقرار والمعتمد من هذا الخلاف هو القول الاول من انه شرط لاجراء الاحكام الدنيوية فقط وموضوع هذا الخلاف كافر أصلي يريد الدخول في الاسلام وأما أولاد المسلمين فمؤمنون قطعا وتجري عليهم الاحكام الدنيوية وان لم ينطقوا بالشهادتين طول عمرهم (و) اختلفوا في الايمان هل يزيد وينقص أولا و(الصحيح أنه) أي الايمان (يزيد) بسبب (زيادة الطاعات) وزيادة الاعمال ككثرة النظر ووضوح الادلة (وينقص) بسبب (نقصها) أي الطاعات وهذا بالنظر للشأن والا فقد يزيده المولى وينقصه بمحض اختياره من غير سبب يقتضيه والادلة في ذلك كثيرة واذا قلنا بان الايمان يزيد وينقص فمحله في غير ايمان الانبياء والملائكة وأما ايمان الانبياء فيزيد لان الكامل يقبل الكمال ولا ينقص وأما ايمان الملائكة فلا يزيد ولا ينقص كما ذكره اللقاني نقلا عن ابن القيم وهو المشهور لان ايمانهم جبلي بأصل الطبيعة وما كان بأصل الطبيعة لا يتفاوت وذكر الشيخ عبد البر الاجهوري أن ايمان الملائكة يزيد ولا ينقص فمحله كايمان الانبياء فتلخص ان الاقسام ثلاثة يزيد وينقص وهو ايمان الامة انسا وجنا ولا يزيد ولا ينقص وهو ايمان الملائكة على المشهور ويزيد ولا ينقص وهو ايمان الانبياء وزاد بعضهم قسما رابعا وهو الذي ينقص ولا يزيد وهو ايمان الفساق (وقيل) ان الايمان (لا) يزيد ولا ينقص لانه التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والاذعان وهو لا يتصور فيه زيادة ولا نقص حتى ان من حصل له حقيقة التصديق تصديقه لا يغير عنه أصلا سواء عمل

والنطق بالشهادتين من القادر شرط لاجراء الاحكام الدنيوية عليه وقيل شطر والصحيح انه يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصها وقيل لا

الطاعات أو ارتكب المعاصي وردبأنا لانشك ان تصديق الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى وأكمل من تصديق غيرهم وان تصديق أبي بكر رضي الله عنه أعلى من تصديق غيره من بقية الناس ويؤيده ان كل أحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى أنه يكون في بعض الاحوال أعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها فتحصل ان المعتمد ان الايمان هو التصديق فقط وان النطق شرط في اجراء الاحكام الدنيوية وان الايمان يزيد وينقص كما هو التحقيق فاستفده والله ولي التوفيق (تنبيه) قال في سلم التوفيق يجب على كل مسلم ومسلمة حفظ اسلامه وصونه عما يفسده ويبطله ويقطعه وهو الردة والعياذ بالله تعالى منها وقد كثر في هذا الزمان التساهل في الكلام حتى انه يخرج من بعضهم الفاظ تخرجهم عن الاسلام ولا يرون ذلك ذنبا فضلا عن كونه كفرا والردة ثلاثة أقسام اعتقادات وافعال وأقوال وكل قسم يتشعب شعبا كثيرة فمن الاول الشك في الله أو في رسوله أو القرآن أو اليوم الآخر أو الجنة أو النار أو الثواب والعقاب أو نحو ذلك مما هو مجمع عليه أو اعتقد فقد صفة من صفات الله تعالى الواجبة له اجماعا كالعلم والقدرة أو اثبت له صفة يجب تنزيهه عنها اجماعا أو حلل محرما بالاجماع معلوما من الدين بالضرورة مما لا يخفى عليه كالزنا واللواط والقتل والسرقة والغصب أو حرم حلالا كذلك كالبيع والنكاح أو نفى وجوب مجمع عليه كذلك كالصلوات الخمس أو سجدة منها والزكاة والصوم والحج والوضوء أو أوجب مالم يجب اجماعا كذلك أو نفى مشروعية مجمع عليه كذلك كالرواتب أو عزم على الكفر في المستقبل أو على فعل شئ مما ذكر أو تردد فيه لا لوسوسة أو أنكر صحبة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه أو رسالة واحد من الرسل المجمع على رسالته أو جحد حرفا مجمعا عليه من القرآن أو زاد حرفا فيه مجمعا على نفيه معتقدا أنه منه أو كذب رسولا أو نقصه أو صغر اسمه بقصد تحقيره أو جوز نبوة أحد بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والقسم الثاني الافعال كسجود لصنم أو شمس أو مخلوق آخر والقسم الثالث الاقوال وهي كثيرة جدا لا تنحصر منها ان يقول لمسلم يا كافر أو يا يهودي أو يا نصراني أو يا عديم الدين مريدا ان الذي عليه المخاطب من الدين هو كفر أو يهودية أو نصرانية أو ليس بدين وكالسخرية باسم من أسمائه تعالى أو وعده أو وعيده ممن لا يخفى عليه نسبة ذلك اليه سبحانه وتعالى وكان يقول لو أمرني الله بكذا لم أفعله أو لو صارت القبلة في جهة كذا ما صليت اليها أو لو أعطاني الله الجنة ما دخلتها مستخفا أو مظهرا للعناد في الكل وكأن يقول لو آخذني الله بترك الصلاة مع ما أنا فيه من المرض ظلمني أو قال لفعل حدث هذا بغير تقدير الله أو لو شهد عندي الانبياء والملائكة أو جميع المسلمين بكذا ما قبلتهم أو قال لا أفعل كذا وان كان سنة بقصد الاستهزاء أو لو كان فلان نبيا ما آمنت به أو أعطاه عالم فتوى فقال أي شئ هذا الشرع مريدا الاستخفاف أو قال لعنة الله على كل عالم مريدا الاستغراق الشامل لاحد الانبياء أو قال أنا برئ من الله أو من النبي أو من القرآن أو من الشريعة أو من الاسلام أو قال لحكم حكم به من أحكام الشريعة ليس هذا الحكم أو لا أعرف الحكم مستهزئا بحكم الله أو قال وقد ملأ وعاء كأساً دهاقا أو فرغ شرابا فكانت سرابا أو عند وزن أو كيل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أو عند رؤية جمع وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا بقصد الاستخفاف أو الاستهزاء في الكل وكذا كل موضع استعمل فيه القرآن بذلك القصد فان كان بغير ذلك القصد فلا يكفر لكن قال الشيخ أحمد بن حجر رحمه الله تعالى لا تبعد حرمته وكذلك يكفر من شتم نبيا أو ملكا أو قال أكون قوادا ان صليت أو ما أصبت خيرا منذ صليت أو الصلاة لا تصلح لي بقصد الاستخفاف بها أو الاستهزاء

(تنبيه)

أو استحلال تركها أو التشاؤم بها أو قال لمسلم أنا عدوك وعدو نبيك أو لشريف أنا عدوك وعدو جدك مريدا النبي صلى الله عليه وسلم أو يقول شيأ من نحو هذه الالفاظ البشيعة الشنيعة وقد عد الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي والقاضي عياض رحمهما الله تعالى في كتابيهما الاعلام والشفاء شيأ كثيرا فينبغي الاطلاع عليه فان من لم يعرف الشر يقع فيه وحاصل أكثر تلك العبارات يرجع الى ان كل عقد أو فعل أو قول يدل على استهانة أو استخفاف بالله أو كتبه أو أنبيائه أو ملائكته أو شعائره أو معالم دينه أو أحكامه أو وعده أو وعيده كفر او معصية فليحذر الانسان من ذلك جهده ويجب على من وقعت منه ردة العود فورا الى الاسلام بالنطق بالشهادتين والاقلاع عما وقعت به الردة ويجب عليه الندم على ما صدر منه والعزم على ان لا يعود لمثله وقضاء ما فاته من واجبات الشرع في تلك المدة فان لم يتب وجبت استتابته ولا يقبل منه الا الاسلام أو القتل ويبطل بها صومه وتيممه ونكاحه قبل الدخول وكذا بعده ان لم يعد الى الاسلام في العدة ولا يصح عقد نكاحه وتحرم ذبيحته ولا يرث ولا يورث ولا يصلى عليه ولا يغسل ولا يكفن ولا يدفن وماله فيء انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى غالب ذلك وانما ذكرت هذا تعجيلا للفائدة ومبادرة في التحذير عما يوجب الانتقام من الملك العلام وفقنا الله لمرضاته وأعاذنا من شر عقوباته آمين بجاه الامين

(وجميع الاعمال لا تخلص فاعلها من عهدة تكليفه بها بأن تقع صحيحة مجزئة مثابا عليها الا مع النية) اعلم أن الاعمال جمع عمل وهو يتناول عمل اللسان والجنان والاركان وأل في النية للعهد أو بدل عن الضمير أي مع نيتها ككون العمل صلاة أو غيرها ظهرا مثلا أو غيرها وكونه فرضا مثلا وظاهر ان النية لا تحتاج الى نية والا تسلسل ذلك واندرج في الاعمال العبادات وغيرها كطهارة الحدث والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والاضحية والهدي والعقيقة والكفارة والجهاد والصدقات وقضاء حوائج الناس وعيادة المرضى واتباع الجنائز وابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وجوابه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجابة الدعوى وحضور مجالس العلم والاذكار وزيارة الاخوان والقبور والنفقة على الاهل والضيفان واكرام أهل الفضل وذوي الارحام ومذاكرة العلم والمناظرة فيه وتكراره وتدريسه وتعلمه وتعليمه ومطالعته وكتابته وتصنيفه والفتوى والقضاء واماطة الاذى عن الطريق والنصيحة والاعانة على البر والتقوى وقبول الامانات واداؤها أما الواجب الذي لم يشرع عبادة كرد المغصوب والمباح والمكروه والمحرم فلا يفتقر الى نية لكن لا يثاب عليها الا مع النية فينبغي استحضار النية عند الاكل والشرب والنوم بان يقصد بها التقوي على الطاعة وعند جماع موطوأته بان يقصد بها المعاشرة بالمعروف وايصال الموطوأة حقها واعفافها واعفاف نفسه وتحصيل ولد صالح ليعبد الله تعالى وعند عمل حرفة كالزراعة بان يقصد اقامة فرض الكفاية ونفع المسلمين والضابط انه متى قصد بالعمل امتثال أمر الشارع وبتركه الانتهاء بنهي الشارع كان مثابا عليه والا فلا فعلم ان التروك ونحوها وان كانت لا تفتقر الى نية في عهدة الخروج من التكليف بها لكنها لا يثاب عليها الا بها وأشار رحمه الله تعالى بقوله (الخالصة) أي التي أخلص فيها صاحبها (لله تعالى) الى انه لا بد في حصول الثواب على العمل من اخلاص نية فاعله لله تعالى بان لم يشرك فيه غيره ولم يراء به قال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد عرفوا الاخلاص بتعاريف كثيرة ترجع الى انه تصفية القلب عن ملاحظة المخلوق وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى وأفاد كلام المصنف رحمه الله تعالى ان العامل اذا شرك في عمله بين أمر ديني ودنيوي لا أجر له مطلقا وهو

وجميع الاعمال لا تخلص فاعلها من عهدة تكليفه بها بان تقع صحيحة مجزئة مثابا عليها الا مع النية الخالصة لله تعالى

(قوله ويجب على من وقعت منه ردة العود فورا الى الاسلام بالنطق بالشهادتين) سئل شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في انه يجري على ألسنة العامة جملة من أنواع الكفر المقررة في باب الردة فاذا نطق بالكلمة المكفرة فهل يكفي له النطق بالشهادتين في الصلاة حالة التشهد أم لا أفيدونا بالجواب ولكم الاجر والثواب لان المسألة واقعة حال فاجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين نهجهم بعده اللهم هداية للصواب يشترط لاسلام المرتد ان يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ولا يشترط عطف احدى الشهادتين على الاخرى لقول الفقهاء في باب الاذان ان أذن الكافر حكم باسلامه مالم يكن عيسويا اذ الشهادتان في الاذان

ما اختاره العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى وجماعة والاوجه ما اختاره الغزالي رحمه الله تعالى من اعتبار الباعث فان كان الاغلب الديني فله أجر بقدره أو الدنيوي فلا أجر له وان تساويا تساقطا وهذا ما اختاره الشهاب الرملي رحمه الله تعالى في شرح الزبد وكلام الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى في حاشية الايضاح يميل الى حصول الثواب بقدر القصد مطلقا عملا بعموم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره واذا علم ما تقدم (فيجب على كل من أراد عملا ان يصحح نيته قبل عمله وان يأتي بها مقرونة بأول واجب منه) كالوجه في الوضوء فلا يكفي قرنها بما بعده لخلو أول الواجبات عنها ولا بما قبله لانه سنة تابعة للواجب الذي هو المقصود وانما لم يوجبوا المقارنة في الصوم لعسر مراقبة الفجر وتطبيق النية عليه فيصح بنية متراخية عن العمل ان كان تطوعا ولذا صحت نيته قبل الزوال وبنية متقدمة عليه ان كان فرضا وليس لنا في العبادات ما يجوز تقديم النية عليه غير الصوم والزكاة والكفارة والاضحية نعم يشترط في الزكاة ان تكون النية صدرت بعد تعيين القدر الذي يخرجه فان كانت قبله لم تجز والكفارة والاضحية كذلك (ويندب استدامة النية) أي نية العمل (قلبا) أي بالقلب (الى آخر العمل) وتمامه لئلا يخلو عنها حقيقة فيحوز بذلك الثواب كاملا يوم القيامة (أما استدامتها) أي النية (حكما) بأن لا يأتي بمنافيها (فواجب) والحاصل ان ايجاد النية قلبا في أول العمل ركن واستدامتها قلبا الى آخر العمل سنة واستصحابها حكما بأن لا يأتي بمنافيها شرط (والنية والقول والعمل ان وقعت على غير موافقة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي شريعته (لا تعتبر) أي لا تصح لانها معصية أو قريب منها قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (ومن لم يعلم) من المكلفين ما تقدم أعني موافقة النية والقول والعمل للسنة أي الشيء الذي تكون به صحيحة موافقة للشرع بان جهله أو شيأ منه والمراد من لم يعلم ما أمر به الشرع أو نهى عنه (فليسأل أهل العلم) وجوبا في الواجب وندبا في المندوب قال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وفسر أهل الذكر باهل العلم (ومن لم يجد معلما) أي في بلده (يعلمه) ما يحتاج اليه في أمر دينه ومعاشه (فليرحل) وجوبا في الواجب وندبا في المندوب (الى) موضع يجد فيه (من يعلمه) فقد رحل موسى الكليم عليه الصلاة والسلام للاستفادة من الخضر عليه السلام ورحل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس في حديث واحد وهكذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وسلك بنا مناهج تقواه وجنبنا طرق الغواة والملحدين بجاه الحبيب الاعظم آمين

ولما أتم رحمه الله تعالى الكلام على الخمسين عقيدة التي يجب على المكلف معرفتها على التفصيل المشتملة على قسمين من مباحث هذا الفن شرع يتكلم فيما يجب عليه أيضا معرفته واعتقاده من الامور التي أدلتها سمعية وهو القسم الثالث منها كما تقدم فقال (ولنذكر لك) أيها الواقف على هذه الرسالة (الاشياء التي) يجب على المكلف معرفتها أيضا و(أدلتها سمعية) أي ثبتت بالسمع والنقل فليس للعقل فيها مجال (فنقول اعلم أنه يجب على المكلف) تقدم تعريفه (أيضا) أي كما يجب عليه أن يعرف الخمسين عقيدة كذلك يجب عليه (ان يعتقد أشياء) كثيرة (منها) أي من تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون الامور خيرها وشرها) كالاسلام والكفر (بقضاء الله وقدره) واختلف في معناهما فقيل ان الاول ارادة الله تعالى وتعلقها في الازل والثاني ايجاد الله تعالى الاشياء على وفق الارادة فارادة الله المتعلقة أزلا بانك تصير عالما أو سلطانا مثلا قضاء وايجاد الله تعالى فيك العلم بعد وجودك أو السلطنة على وفق

قلبا الى آخر العمل أما استدامتها حكما فواجب والنية والقول والعمل ان وقعت على غير موافقة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعتبر ومن لم يعلم فليسأل أهل العلم ومن لم يجد معلما يعلمه فليرحل الى من يعلمه ولنذكر لك الاشياء التي أدلتها سمعية فنقول اعلم انه يجب على المكلف أيضا ان يعتقد اشياء منها كون الامور خيرها وشرها بقضاء الله وقدره

لا عطف بينهما ولابد من ترتيبهما وموالاتهما وتكرير لفظ أشهد والاعتراف برسالته صلى الله عليه وسلم الى غير العرب والبراءة من كل دين يخالف دين الاسلام اذا كان يعتقد اختصاص رسالته صلى الله عليه وسلم بالعرب كالعيسوية واذا كان كافرا باعتقاد قدم العالم مثلا فلابد من رجوعه عنه اهـ ملخصا اذا تبين ذلك علم ان من أتى بالشهادتين بشروطهما المذكورة حكم بدخوله في الاسلام سواء كان ذلك في الاذان أو في صورة صلاة أو غيرهما وصلاته غير صحيحة لان شرط النية التي هي ركن منها الاسلام والله سبحانه وتعالى اعلم

ومنها معرفة الملائكة عليهم الصلاة والسلام وهم أجسام لطيفة نورانية جعل الله لهم قوة على التشكل باشكال مختلفة جميلة

الارادة قدر وقيل القضاء علمه الازلى وتعلقه بالمعلوم والقدر ايجاد الله تعالى الاشياء على وفق العلم فعلم الله المتعلق أزلا بان الشخص يصير عالما بعد وجوده قضاء وايجاد الله تعالى العلم فيه بعد وجوده قدر وعلى كل من القولين فالقضاء قديم لانه صفة من صفاته تعالى اما الارادة أو العلم والقدر حادث لانه الايجاد والايجاد من تعلقات القدرة وتعلقات القدرة حادثة واعلم انه لما كان الاقتداء بالقرآن العظيم وبحديث نبينا الرسول الكريم مفتاحا لرحمة الله ورضوانه وطريقا الى فسيح جنانه وكان قد قال الله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال صلى الله عليه وسلم فى معنى الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فقدم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الملائكة على الكتب والرسل مراعاة للترتيب الوجودى فان الملائكة مقدمة فى الخلق أو للترتيب الواقع فى تحقيق معنى الرسالة فان الله تعالى أرسل الملك بالكتاب الى الرسول لا لان الملائكة أفضل من الانبياء والرسل لان الاصح كما سيأتى ان الانبياء أفضل منهم اقتدى المصنف رحمه الله تعالى بهما فى ذلك مراعيا ترتيبهما البديع وأسلوبهما الرفيع فقال (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف أيضا اعتقادها (معرفة الملائكة عليهم الصلاة والسلام وهم أجسام لطيفة نورانية) أى مخلوقة من النور ولذا لا تتزاحم فقد قال الشبرخيتى رحمه الله تعالى على الاربعين النووية وغيره وقد ورد أن لله ملكا يملأ ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا يملأ الكون كله وقد ورد فى عظم الملائكة ما هو فوق ذلك لا يقال اذا ملأ الكون كله فاين يكون غيره لانا نقول الانوار لا تتزاحم الا ترى أنه لو وضع سراج فى بيت ملأه نورا ولو أتينا بعده بألف سراج وسع البيت أنوارهم ذكره العارف بالله ابن عطاء الله عن شيخه المرسى رحمه الله تعالى انتهى ودليل كون الملائكة خلقوا من خالص النور كما فى حاشية المدابغى على شرح ابن حجر للاربعين النووية وغيرها ما روى مسلم رحمه الله تعالى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فبين صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث مادة خلق الثلاثة والاصل حمل الادلة على ظاهرها حتى يقوم دليل على خلافه الا أن يقال ان هذا بيان للغالب عليهم لئلا ينافى أدلة أخرى مثل ما روى ان تحت العرش نهرا اذا اغتسل فيه جبريل وانتفض يخلق من كل قطرة منه ملكا وروى ان الله خلق ملائكة من نار وملائكة من الثلج فقد قال الفشنى والشنوانى رحمهما الله تعالى ذكر ان من أعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده ويوحده ويقول فى كلامه اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين وهو أكثر الملائكة نصحا لاهل الارض (جعل الله لهم قوة على التشكل) أى التصور (باشكال مختلفة جميلة) بان يعلمهم الله تعالى قولا أو فعلا اذا أتى به نقله من صورة الى أخرى لان تصويره لنفسه محال قاله العلامة الحفنى فى حاشيته على شرح الهمزية لابن حجر فقد كانت الملائكة تأتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى صور الانس كما جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل وهو دحية الكلبى وكان جميلا وسيما أى حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه وكما جاء الملكان الى داود عليه الصلاة والسلام فى صورة رجلين مختصمين اليه وكما أتت الملائكة ابراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام فى صورة رجال ضيفان كما قص الله تعالى ذلك فى كتابه ولم ير الملك على صورته الاصلية أحد من البشر الا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين

(قوله أجسام لطيفة) قال الاصفهانى فى شرح طوالع البيضاوى واعترض عليه بانه ان كانت لطيفة وجب ان لا تكون قوية على شئ من الافعال وان تفسد تراكيبها بادنى سبب وان كانت كثيفة وجب ان نراها والا لامكن ان تكون بحضرتنا جبال لا نراها واجيب بانه لم لا يجوز ان تكون لطيفة بمعنى عدم اللون لا بمعنى رقة القوام كالماء ولئن سلم انها كثيفة لكن لا نسلم انه يجب ان نراها لان رؤية الكثيف عند الحضور غير واجب اه (قوله جعل الله لهم قوة على التشكل) عبارة شرح الرسالة العضدية من العقائد قادرون على التشكل بالاشكال المختلفة بان يفعلوا افعالا ويتكلموا بكلمة علمهما الله لهم بان خاصتهما اذا فعله فاعل وتكلم به متكلم نقله من صورة الى صورة لا بنقض البنية وتفريق الاجزاء والا لبطلت الحياة واستحال الفعل والقول والنقل من صورة الى صورة اما من صورة الى صورة مثلها فى المقدار أو أعظم منها أو أصغر والنقل الى الاصغر مثل تصور جبريل عليه السلام بصورة دحية اه (قوله قاله العلامة الحفنى)

مرة في الارض عند غار حراء ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء قال السراج البلقيني رحمه الله تعالى ما معناه يجوز ان اتيان الملك بصورة الرجل يكون بشكله الاول يعني صورته الاصلية الا انه ينضم فيصير على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب انتهى قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى نقلا عن العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في فتح الباري شرح البخاري والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وقال العلامة القونوي يجوز ان الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له و يتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر أي ان جسم الملك الاصلي باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد وقد قيل انما سمى الابدال ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان و يقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه الطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح و بنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا انتهى ثم انهم اذا تشكلوا لا يتشكلون بصور بعضهم قال في اليواقيت نقلا عن ابن العربي رحمه الله انهم لا يتشكلون في صور بعضهم فلا يتشكل جبريل بصورة ميكائيل ولا العكس بخلاف أولياء البشر فيمكنهم ذلك واعلم ان المراد من قوله رحمه الله تعالى باشكال مختلفة جميلة ماعدا الخسيسة كالكلب والخنزير فيشمل الفظيعة الهائلة وذلك كما يتشكل مالك خازن النار ومنكر ونكير وعزرائيل عليهم السلام في اتيانهم الكفار (و) جعل الله لهم (القدرة على الافعال الشاقة) التي لا يقدر عليها البشر ولذا كان التسبيح لهم بمنزلة النفس لنا ومشقة التكليف وامتحان الشهوات والحظوظ منتفية عنهم وهم قسمان قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القدر فمنهم الموكل بالحجب والسموات والارض والتصوير في الرحم والبحار والسحاب ووردانه ينزل مع كل قطرة ملك ومنهم سياحون في الارض يتبعون مجالس الذكر ومنهم المبلغون الصلاة اليه صلى الله عليه وسلم ممن صلى عليه و بالجملة فهم خدمة الملك كله وليس في العالم من أعلاه لاسفله شبر الا وهو معمور بهم ومما ورد من قدرتهم على الافعال الشاقة كما حكى الله ذلك في كتابه ان جبريل عليه السلام اقتلع مدائن قوم لوط ورفعها وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع أهلها صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها ومنها انه عليه السلام صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين خامدين ومنها انه عليه السلام صاح باهل مدين صيحة فهلكوا أجمعين (شأنهم الطاعات) فقد أخرج الطبراني رحمه الله تعالى من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا ما في السموات موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد قال في اليواقيت عن الشيخ الاكبر طاعات الملائكة كلها محتمة عليهم فلا يفرغون من توظيف حتى يمكنهم التطوع قال فقام لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل الحديث من خصوصيات البشر (ومسكنهم السموات) فهي محالهم بالاصالة أو محل جمهورهم وخصهم الله بذلك فلا يسكنها غيرهم من انسي او جني الا ما اتفق لسيدنا عيسى عليه السلام وقوله رحمه الله تعالى (غالبا) اشارة الى ان منهم من يسكن الارض لانهم علوية وسفلية (سفراء) أي مترددون (بين الله وبين خلقه) أي

و القدرة على الافعال الشاقة شأنهم الطاعات ومسكنهم السموات غالبا سفراء بين الله و بين خلقه

أي ومثله ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتاوى الحديثية فانه قال فيها ولا طريق للملائكة على التنقل في الصور المختلفة الا بان يعلمه الله تعالى قولا أو فعلا اذا أتى به نقله من صورة الى صورة أخرى لان تصويره لنفسه محال لان انتقاله من صورة الى صورة أخرى انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجماد وكيف تنتقل بنفسها وعلى هذا يحمل ما جاء ان جبريل تمثل في صورة دحية اهـ

صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة فلا أب لهم ولا أم ولا يتناكحون ولا يتوالدون لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون يسبحون الليل والنهار ولا يفترون و يبكون بكاء شديدا خوفا من الله عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون * (قوله و يبكون بكاء شديدا خوفا من الله تعالى) وهذا لا ينافي عصمتهم لانهم لا يأمنون مكر الله تعالى قال في الفتاوى الحديثية ان زيد بن أسلم وهو كما قال الشافعي رضي الله عنه من العالمين بالقرآن جعل الملائكة داخلين في قوله تعالى فلا يأمن مكر الله الآية أخرج ابن أبي حاتم عنه ان الله تبارك وتعالى قال للملائكة ماهذا الخوف الذي بلغ بكم وقد أنزلتكم المنزلة التي لم أنزلها غيركم قالوا ربنا لم يأمن مكرك الا القوم الخاسرون (٤٩) اه وقد بسط الكلام جدا في هذا المقام (قوله ولا ينافي ذلك ما ينقل عن هاروت وماروت الخ) اعلم رحمك الله تعالى اني بعد كتابتي لهذا المحل رأيت العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في فتاويه الحديثية قال ما نصه وأما ما وقع لهاروت وماروت كما صح عنه صلى الله عليه وسلم في شأنهما أنهما كانا من الملائكة وانهما افتتنا بالزهرة وكانت أجمل نساء زمنها حتى زنيا بها وشربا الخمر وقتلا فسخت كوكبا لانهما علماها الاسم الاعظم الذي كانا يرقيان به الى السماء فرقيت اليها فسخت هذا الكوكب المضيء المعروف فذلك أمر خارق للعادة أوجده الله تعالى تأديبا للملائكة في قولهم كما صح في الحديث أيضا عند خلق آدم أتجعل فيها من يفسد (٧ - ارشاد المهتدى) فيها الآية فبين لهم تعالى أنه لو ركب فيهم ما ركب في الانسان لافسدوا أيضا فتعجبوا فأمرهم أن يختاروا ثلاثة منهم ففعلوا فاستقال واحد فاقيل ونزل هاروت وماروت فوقع لهما ما وقع تأديبا لبقية الملائكة وزجرا لهم عن أن يخوضوا فيما لا علم لهم به وهذا الذي ذكرته من الجواب عن هذه القصة من أنها أمر خارق للعادة و بهذه الحكمة التي ذكرتها يتبين به الرد على من أطال في انكار قصتهما حتى بالغ بعضهم وقال ان من اعتقد ذلك فيهما كفر وليس كما زعم لما علمت من صحة الاحاديث بها وان ذلك الوقوع لتلك الحكمة لا يخل بعصمة الملائكة من حيث هي ولا ينافيه شئ من الادلة ولا من القواعد فاحفظ ما قررته وتأمله فان الكلام قد كثر في هذا المحل وتعارضت فيه الآراء والظنون وما ذكرته فيه هو الاوفق بالسنة وغير مناف للقواعد وان لم أر من سبقني اليه وقيل لم يكونا ملكين بل هما جنيان وان كانا بين الملائكة فان صح هذا لم يحتج

سواء كان بوحي أم لا كقضاء الحوائج ونزولهم كلهم كل ليلة قدر يسلمون على بني آدم واعلم ان السفارة بالوحي لا تكون الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام والمعهود لها به هو جبريل عليه السلام وقد روى ان اسرافيل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أول نبوته عند فترة الوحي فكان يعلمه الكلمة والشئ من غير القرآن وأتاه أيضا بمفاتح خزائن الارض وتخييره بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا وقد عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم نزول اسرافيل عليه السلام عليه صلى الله عليه وسلم وأتاه أيضا ملك الجبال بتخييره ان يطبق على أهل مكة الاخشبين قاله شارح دلائل الخيرات رحمه الله تعالى (صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى لا يوصفون بذكورة) لعدم دليل عليه ولانهم لو كانوا ذكورا لكان لهم اناث عملا بالمعتاد في غيرهم ولو كان لهم اناث فامامن جنسهم وهو باطل واما من غير جنسهم وهو أكثر بطلانا (ولا) يوصفون (بانوثة) بالاجماع ولصريح قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون فمن وصفهم بذكورة فسق ومن وصفهم بانوثة كفر لمعارضة قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الآية السابقة وأولى بالكفر من قال خناثى لمزيد التنقيص واذا ثبت انهم لم يوصفوا بذكورة ولا أنوثة (فلا أب لهم ولا أم ولا يتناكحون ولا يتوالدون) فيجب علينا اعتقاد ذلك ولا يلزمنا معرفة حقيقة جنسهم ولا كيف خلقوا بل الذي يجب علينا اعتقاده انه تعالى اذا أراد خلق أحدهم قال له كن فيكون (لا يأكلون ولا يشربون) بل يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه ما يجده غيرهم من اللذة وأما ما وقع في قصة أكل آدم من الشجرة انها شجرة الخلد التي يأكل منها الملائكة فليس بثابت (ولا ينامون يسبحون الليل والنهار ولا يفترون) أي لا يتخلل تسبيحهم فتور ولا يعتريهم سكون ولا ضعف في ذلك لان التسبيح والطاعة هو قوتهم وحياتهم وذلك طبع لهم مجبولون عليه مجبورون على فعله لا يمكن انفكاكهم عنه قاله شارح الدلائل رحمه الله تعالى (و يبكون بكاء شديدا خوفا من الله تعالى) كما رآهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج باكين أهل كل سماء أشد من الذين دونهم بل قيل ان المطر دموعهم مع انهم (عباد مكرمون) كما وصفهم الله تعالى بذلك في كتابه العزيز (لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون) لعصمتهم وحياتهم بمشاهدتهم ولا ينافي ذلك ما ينقل عن هاروت وماروت كما سيأتي لانه انما ينقله المؤرخون

عن الاسرائيليات أى كتب اليهود والنصارى ولم يصح فيه خبر كما قاله المفسرون وما يذكره كذبة المؤرخين من أنهما عوقبا ومسخا كذب وزور ولا يجوز اعتقاده بل الذى يجب اعتقاده ان تعليمهما السحر لم يكن لاجل العمل به بل للتحذير منه وليظهر الفرق بينه وبين المعجزة فانه قد وقع ان السحرة كثروا بسبب استراق الشياطين السمع وتعليمهم اياهم فظن الجهلة ان معجزات الانبياء سحر فانزلهما الله ليعلما الناس كيفية السحر ليظهر لهم الفرق بينه وبينها هذا كله بناء على أنهما كانا ملكين وقيل انهما كانا رجلين صالحين وسميا ملكين لصلاحهما على حد ما قيل فى يوسف عليه الصلاة والسلام ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ويؤيد هذا قراءة ملكين بكسر اللام كما سيأتى التنبيه على ذلك فى عصمتهم (ولا تكتب أعمالهم) لانهم الكتاب (ولا يحاسبون) لانهم الحساب (ولا توزن أعمالهم) لانهم لا سيآت لهم (ويحشرون مع الانس والجن ويدخلون الجنة ويتنعمون فيها بما شاء الله تعالى) وقيل يكونون فيها كحالتهم فى الدنيا فلا يأكلون ولا يشربون بل يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه لذة كما يجد أهل الجنة من لذة الطعام والشراب وانما لم يأكلوا ولم يشربوا لانهم لا شهوة لهم وانما يحتاج للتنعم باللذات المحسوسة كالاكل والشرب والجماع من ركبت فيه الشهوة فى الدنيا وغيره لا يحتاج اليه بل يكون تنعمه بالامور المعنوية وبرفع التكليف عنه (ويجوز عليهم الموت) لكن لا يموت أحد منهم قبل النفخة الاولى بل بها الا حملة العرش والرؤساء الاربعة فانهم يموتون بعدها وآخر من يموت ملك الموت (بالغون فى الكثرة الى حد لا يعلمه الا الله تعالى) قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وفى تفسير روح البيان وروى فى شرح كثرتهم ان بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل أولئك فى مقابلة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا بارئهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروى أنه صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء رأى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام الى أين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا أدرى الا انى أراهم منذ خلقت ولا أرى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سأل واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا أدرى غير ان الله تعالى يخلق فى كل أربعة آلاف سنة كوكبا وقد خلق منذ ما خلقنى أربعمائة ألف كوكب فسبحانه من اله ما أعظم قدره وما أوسع ملكوته انتهى واذا علمت ما ذكر من تعريف الملائكة وأوصافهم (فيجب) عليك (الايمان بهم) أى بوجودهم (اجمالا) بأن تعتقد ان لله ملائكة بالغين فى الكثرة لا يعلم عددهم الا الله وأنهم موجودون وأنهم موصوفون بما ذكر (الا من ورد تعيينه منهم (باسمه المخصوص) وقام الدليل التفصيلى عليه كذلك (أو) ورد تعيينه بنوعه وقام الدليل التفصيلى عليه كذلك (فيجب الايمان بهم) أى بمن ورد تعيينه باسمه المخصوص أو نوعه

ولا تكتب أعمالهم ولا يحاسبون ولا توزن أعمالهم ويحشرون مع الانس والجن ويدخلون الجنة ويتنعمون فيها بما شاء الله تعالى ويجوز عليهم الموت بالغون فى الكثرة الى حد لا يعلمه الا الله تعالى فيجب الايمان بهم اجمالا الا من ورد تعيينه باسمه المخصوص بنوعه فيجب الايمان بهم

للجواب عن قصتهما كما ان ابليس لم يكن من الملائكة وانما كان بينهم وهو من الجن اهـ

(تفصيلا

تفصيلا فالاول عشرة جبريل عليه السلام وميكائيل عليه السلام واسرافيل عليه السلام وعزرائيل عليه السلام

(قوله وفي الجمل الخ) ومثله في البخاري في كتاب تفسير القرآن عند تفسير قوله تعالى من كان عدوا لجبريل فانظره ان شئت اهـ

(قوله الموكل بقبض أرواح جميع المخلوقات) أي بامر الله تعالى وبخلقه وارادته قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم

ان قلت قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى توفته رسلنا فكيف الجمع بين هاتين الآيتين والآية

(تفصيلا فالاول) أعني من ورد تعيينه باسمه المخصوص (عشرة) الاول سيدنا (جبريل عليه السلام) هذا اسمه الشريف وهو اسم سرياني مركب من جبر وهو العبد وايل وهو الله أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز قاله الشبرخيتي على الاربعين النووية وفي الجمل على فتح الوهاب نقلا عن القليوبي ان كل ما أضيف الى ايل الذي هو اسم الله بالعبرانية نحو جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل معناه عبد الله اهـ وهذا لا ينافي ما ذكره الشبرخيتي وما سأذكره من ان معنى عزرائيل عبد الجبار لان اثبات معنى للكلمة لا ينافي ثبوت غيرها ويقال لجبريل عليه السلام كما في البخاري ومسلم الناموس لان الله خصه بالغيب قيل هو صاحب السر مطلقا وقيل صاحب الوحي وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما الا في ليلة القدر وله جناحان لا ينشرهما الا عند هلاك القرى وقد وصفه الله تعالى بالقوة كما مرت بعض أوصافه فيها وهو الموكل بالوحي أي الخبر الذي يأتي به من عند الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان هبوطه من السماء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصعوده اليها في أسرع من طرفة عين يروى ان جبريل عليه السلام نزل على آدم عليه السلام اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس أربع مرات وعلى نوح خمس مرات وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى موسى اربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عليه وعليهم أجمعين أربعا وعشرين ألف مرة أفاده شراح الاربعين النووية (و) الثاني سيدنا (ميكائيل عليه السلام) هذا اسمه الشريف وهو اسم أعجمي سرياني وهو مركب من ميكا وهو العبد وايل وهو الله فمعناه عبد الله وحكى الماوردي رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جبر بمعنى عبد بالتكبير وميكا بمعنى عبيد بالتصغير فمعنى جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله قال ولا نعلم لابن عباس في هذا مخالفا انتهى وميكائيل هو الموكل بكيل الامطار والبحار والانهار والارزاق وتصوير الاجنة في الارحام (و) الثالث سيدنا (اسرافيل عليه السلام) هذا اسمه الشريف وهو أعجمي سرياني ومعناه عبد الرحمن كما وجدته بخط بعض الفضلاء وهو الموكل باللوح المحفوظ وبالنفخ في الصور وهو قرن من نور فيه ثقوب بعدد جميع الارواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الارواح وتتصل باجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الارواح الى الموتى وشعبة في فم اسرافيل عليه السلام وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماه قد نزلتا عن الارض السفلى مسيرة مائة عام (و) الرابع سيدنا (عزرائيل عليه السلام) هذا اسمه الشريف وهو سرياني ومعناه عبد الجبار كما في الباجوري على الجوهرة وغيره وهو ملك الموت الموكل بقبض أرواح جميع المخلوقات أي باخراج أرواح كل من له روح من مقرها ولو قملة أو بعوضة أو برغوثا كما ذهب اليه أهل الحق وهو ملك عظيم هائل المنظر رأسه في السماء العليا ورجلاه في تخوم الارض السفلى أي منتهاها ووجهه مقابل اللوح المحفوظ والخلق بين عينيه وله أعوان

المتقدمة أجيب بان الله تعالى هو المتوفي في الحقيقة لكن لما كان ملك الموت يتولى ذلك بالوساطة والمباشرة اسند التوفي اليه كما اسند الخلق للملك في خبر مسلم اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها فالله تعالى هو الذي تزهق الروح فاذا حضر أجل العبد اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده فهو القابض لجميع الارواح ان قلت ورد في بعض الاحاديث وتول قبض أرواحنا عند الاجل بيدك أجيب بان معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن احساسه فلا يشهد ملك الموت حين قبض الروح وان كان هو القابض لها وذلك في أهل محبة الله ومن يموت شهيد حرب أو

غريقا وحريقا ونحوهم وسيأتي ان شاء الله تعالى عند ذكر الروح الاشارة الى بعض ذلك اهـ مؤلف (قوله وله أعوان) ورد في الحديث كما في الفتاوى الحديثية ان ملك الموت عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بعد كلام طويل فاذا نفذ أجل عبد نظرت اليه فاذا نظرت اليه عرفوا اعواني من الملائكة انه مقبوض غدوا يبطشوا به يعالجون نزع روحه فاذا بلغوا بالروح الحلقوم عرفت ذلك فلم يخف علي شيء من أمره مددت يدي فانزعه من جسده والي قبضه وفي خبر آخر انه ينزل عليه أربعة

ورضوان عليه السلام ومالك عليه السلام ورقيب وعتيد الكاتبان عليهما السلام ﴿﴾ من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى ذكره الغزالي قال وربما كشف للميت عن الامر الملكوتي قبل ان يغرغر فعاين الملائكة على حسب حقيقة عمله فان كان لسانه منطلقا حدث بوجودهم والله أعلم (قوله يترفق بالمؤمن) قال في الفتاوى الحديثية وورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر ملك الموت عند رجل من الانصار فقال ارفق بصاحبنا فانه مؤمن فقال (٥٢) ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق واعلم ان قبضه لروح المؤمن في غاية السهولة لانه يسلها منه كما تسل الشعرة من العجين كما بشر به صلى الله عليه وسلم بقوله تخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين قال في روح البيان روي أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شئ يقوي قوله عليه الصلاة والسلام تخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين فختم القرآن بالتدبر فما وجده فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقال يارسول الله قال الله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله تعالى فقال عليه السلام اطلبه في صورة يوسف فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن اي لما رأين جمال يوسف عليه الصلاة والسلام اشتغلن به وما وجدن ألم القطع وكذلك المؤمن اذا رأى ملائكة الرحمة ورأى انعامه في الجنة ومافيها من النعيم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت اهـ وفي ذلك بشارة عظيمة اللهم سهل علينا خروج الروح ياحنان بجاه سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه (قوله روي ان الدنيا جعلت لملك الموت الخ) وورد ايضا ان الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت وجميع الخلائق بين عينيه ويداه يبلغان المشرق والمغرب وكل من نفد أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك وورد ان ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها الى ملائكة الرحمة ان كان مؤمنا أو الى ملائكة العذاب ان كان كافرا ويقال معه

بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة دون غيره كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث الروح قال الصاوي على الجلالين روي أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروي أن خطوته ما بين المشرق والمغرب وروي انه جعلت له الارض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء وقيل انه على معراج بين السماء والارض وقيل ان له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت فنسأل الله تعالى ان يهون علينا سكرات الموت وأن يجعل ملك الموت بنا رفيقا وبنزع روحنا شفيقا ويرزقنا الحسنى وزيادة آمين بجاه خير السادة (و) الخامس سيدنا (رضوان عليه السلام) هذا اسمه الشريف وهو خازن الجنان ورئيس خزنتها كما وردت به الاحاديث الصحيحة (و) السادس سيدنا (مالك عليه السلام) هذا اسمه الشريف وهو خازن النيران ورئيس خزنتها الماضي عليهم كلامه ومجلسه في وسط النار وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها وأخرج العتبي رحمه الله تعالى في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار ومامن أحد في النار الا ومالك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لأذابها اسلمنا الله منها بجاه حبيبه صلى الله عليه وسلم (و) السابع سيدنا (رقيب) كاتب الحسنات (و) الثامن سيدنا (عتيد) كاتب السيآت (الكاتبان عليهما السلام) وكون أحدهما اسمه رقيب والآخر عتيد هو المشهور والتحقيق ان كلا منهما اسمه رقيب أي حافظ وعتيد أي حاضر وهما لا يتغيران مادام حيا فاذا مات يقومان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتبان ثوابه له الى يوم القيامة ان كان مؤمنا ويلعنانه الى يوم القيامة ان كان كافرا وقيل لكل يوم وليلة ملكان فلليوم ملكان ولليلة ملكان فتكون الملائكة أربعة يتعاقبون عند صلاة العصر وصلاة الصبح ويؤرخون ما يكتبون من أعمال العباد بالايام والجمع والاعوام والاماكن وملك الحسنات من ناحية اليمين وملك السيآت من ناحية اليسار والاول أمين أو أمير على الثاني فاذا فعل العبد حسنة بادر ملك اليمين الى كتبها واذا فعل سيئة قال ملك اليسار لملك اليمين اكتب فيقول لا لعله يستغفر أو يتوب فاذا مضى ست ساعات فلكية من غير توبة قال له اكتب أراحنا الله منه وهذا دعاء عليه بالموت ليتحولا عن مشاهدة المعصية لانهما يتأذيان

يتأذيان بذلك وفي بعض الآثار ان كتب المباحات على القول به لكاتب السيآت وقد اعتمد
بعضهم ان المباح لا يكتب وهذه الكتابة مما يجب الايمان بها فيكفر منكرها لتكذيبه القرآن
قال تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون لكنها ليست لحاجة دعت اليها وانما فائدتها
ان العبد اذا علم بها استحيى وترك المعصية والكتب حقيقي بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالى
حملا للنصوص على ظواهرها خلافا لمن قال انه كناية عن الحفظ والعلم وفي بعض الاحاديث ان لسانه
قلمهما وريقه مدادهما والتفويض أولى واختلف في محلهما من الشخص فقيل ناجذاه أي
آخر اضراسه الايمن والايسر وقيل عاتقاه وقيل ذقنه وقيل شفتاه وقيل عنفقته وروى عن
مجاهد انه ان قعد كان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وان مشى كان أحدهما امامه
والآخر وراءه وان رقد كان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ويجمع بين هذه
الاقاويل بانهما لا يلزمان محلا واحدا والاسلم في امثال ذلك الوقف (و) التاسع سيدنا (منكر و)
العاشر سيدنا (نكير عليهما السلام) انما سمي هذان الملكان بذلك لانهما يأتيان الميت
بصورة منكرة فان صفتهما كما في الحديث انهما أسودان أزرقان أعينهما كقدور النحاس
وفي رواية كالبرق واصواتهما كالرعد اذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد
منهما مطراق من حديد لو ضربت به الجبال لذابت وفي رواية بيد أحدهما مرزبة لو اجتمع عليها
أهل منى ما أقلوها وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح لكن يترفقان بالمؤمن و ينتهران المنافق
والكافر (الموكلان) أي منكر ونكير (بسؤال القبر) أي بالسؤال في القبر فيسألان العبد
بعد الموت عن ربه ونبيه صلى الله عليه وسلم وعن دينه فان أجابهما بان الله ربي ومحمد نبي والاسلام
ديني والكعبة قبلتي والمؤمنون اخواني يقولان له نم نومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب
الناس اليه ويوسع له في قبره و يفتح له طاقة الى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها الى أن يبعثه الله
وان لم يجبهما عذباه بانواع العذاب وفتح له طاقة الى النار فيأتيه من حرها وسمومها الى ان يبعثه
الله وقيل المؤمن الموفق له مبشر وبشير واما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكر ونكير وقيل
ومعهما ملك آخر يقال له ناكور وما قيل من أنه يجئ قبلهما ملك يقال له رومان فحديثه
موضوع وقيل فيه لين و يكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس و يسألان كل
أحد بلسانه على الصحيح خلافا لمن قال بالسرياني ولذلك قال السيوطي رحمه الله تعالى

ومن عجيب ما ترى العينان * ان سؤال القبر بالسرياني
أفتى بهذا شيخنا البلقيني * ولم أره لغيره بعيني

والسؤال أربع كلمات على القول بانه بالسرياني وهي أتره أترح كاره سالحين فمعنى الاولى قم
يا عبد الله ومعنى الثانية فيمن كنت ومعنى الثالثة من ربك وما دينك ومعنى الرابعة ما تقول في هذا
الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلق أجمعين وقد ورد ان حفظ هذه الكلمات الاربع دليل على
حسن الخاتمة كما وجد بخط الميداني و يسئل الميت ولو تمزقت اعضاؤه أو أكلته السباع في اجوافها
اذ لا يبعد ان الله يعيد له الروح في اعضائه ولو كانت متفرقة لان قدرة الله صالحة و يحتمل
أن يعيده كما كان واذا مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة قال القرطبي جاز ان تعظم جثتهما
و يخاطبان الخلق الكثير مخاطبة واحدة وقال الحافظ السيوطي و يحتمل تعدد الملائكة المعدة
لذلك وأحوال المسؤلين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان ومنهم من يسأله أحدهما ولا يسئل الا في
القبر الذي يبعث منه فمن كان ينقل بعد دفنه لا يسئل حتى ينقل وهذا السؤال خاص بهذه الامة

ومنكر ونكير عليهما السلام الموكلان بسؤال القبر

سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب فاذا قبض نفسا مؤمنة دفعها الى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب و يصعدون بها الى السماء واذا قبض نفسا كافرة دفعها الى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب و يفزعونها ثم يصعدون بها الى السماء ثم ترد الى سجين وروح المؤمن الى عليين اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة واجعل أرواحنا في عليين بجاه سيد المرسلين

وفيهما خلاف هل يجب
الايمان بهما تفصيلا
أولا والثاني حملة
العرش وهم ملائكة
أربعة الآن فاذا كان
يوم القيامة أيدهم الله
بأربعة أخرى

وقيل كل نبي مع أمته كذلك وهذا السؤال هو عين فتنة القبر ولا يسئل الانبياء ولا الملائكة ولا الصديقون والمرابطون والشهداء ولا الملازمون لقراءة تبارك الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر لهم والمراد بالملازمة الاتيان بها في غالب الاوقات فلا يضر الترك مرة بعذر سواء قرأها عند النوم أو قبل ذلك وهكذا سورة السجدة فيما ذكره بعضهم وكذا من قرأ في مرض موته قل هو الله أحد ومريض البطن والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابرا محتسبا والميت ليلة الجمعة أو يومها الى غير ذلك وأما الجن فجزم الجلال بسؤالهم لتكليفهم وعموم أدلة السؤال لهم وحكمة السؤال اظهار ما كتمه العباد في الدنيا من ايمان أو كفر أو طاعة أو عصيان والمؤمنون الطائعون يباهي الله بهم الملائكة وغيرهم يفتضحون عند الملائكة واعلم ان الاحوال التي تقع للاموات ليس للاحياء احساس بها ولا اطلاع لهم عليها فيجب الايمان بها وان لم تصل العقول الى معرفتها وقد جعل الله حالة النوم وما يراه النائم في نومه حجة على العبد فانه يشاهد النائم ملقى بين يديه وهو يرى نفسه انه يأكل ويشرب ويسافر ويتجر ويتزوج الى غير ذلك والحاضرون لا يحسون بشئ مما يشاهده فكذلك الميت يكون منعما أو معذبا ولو فتحت القبر لا تشاهد شيأ من ذلك لان أحوال البرزخ من عالم الملكوت لا اطلاع لاهل الحجاب عليه نعم قد يطلع بعض أرباب البصائر على شئ من ذلك كما روى عن العلاء بن عبد الكريم انه مات رجل وله أخ ضعيف البصر فلما دفن وانصرف الناس عنه وضع أخوه رأسه على القبر فسمع صوتا يقول من ربك ومن نبيك وسمع أخاه يقول الله ربي ومحمد نبي ثم ارتفع شبه السهم من القبر الى أذنه فاقشعر جلده وحكى عن خادم أبي يزيد البسطامي انه قال والله لئن سألني الملكان لاقولن لهما اني خادم أبي يزيد فقيل له ومن يعلم ذلك فقال اقعدوا على قبري واسمعوا فلما مات جلسوا على قبره فسمعوا السؤال وسمعوه يقول لهما تسألاني وقد حملت فروة أبي يزيد على كتفي ولما سئل أبو يزيد رضي الله عنه قال لهما أنا طريح بين يديه ولكن اسألاه هل أنا عبده فان قال نعم فلي الكرامة فقالا هذا كلام عجيب فقال وعندي أعجب منه هل كنتما حاضرين حين قال الله تعالى الست بربكم فقلت مع نسمات بني آدم بلى قالا لا قال اذا خلوا بيني وبينه فقال أحدهما للآخر هذا أبو يزيد عاش سكران اي بمحبة الله ومات ووضع في قبره كذلك ويبعث كذلك وقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز الى سؤال القبر بقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وبقوله تعالى في حق الكافرين النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب فنسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (و) اعلم انه قد جاء (فيهما) أي منكر ونكير (خلاف) وهو انه (هل يجب الايمان بهما تفصيلا) فيكفر منكرهما (أولا) يجب فلا يكفر منكرهما لانه اختلف في أصل السؤال (والثاني) يعني من ورد تعيينه بنوعه وقام الدليل التفصيلي عليه كذلك (حملة العرش) وهم كما قال المفسرون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا (وهم ملائكة أربعة الآن) أي في الدنيا (فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى) لمزيد الجلال عليه يوم القيامة قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى في تفسيره واختلف في هذه الثمانية فقال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك وعن الحسن رضي الله عنه الله أعلم كم هم أثمانية أملاك ام ثمانية آلاف أم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان

حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال أى تيوس الجبل وفى رواية ثمانية أوعال من اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وفى حديث آخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك انتهى وان أردت بسط الكلام فانظر التفاسير عند قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (والكروبيون) بفتح الكاف وتخفيف الراء وهم سادات الملائكة كما قاله المفسرون (وهم ملائكة حافون بالعرش طائفون به) فهم المعنيون بقوله تعالى ومن حوله من قوله الذين يحملون العرش ومن حوله انظر التفاسير تر ما ينعش الفؤاد ولقبوا بذلك لانهم (متصدون للدعاء برفع الكرب عن الامة) وقيل غير ذلك (والحفظة وهم ملائكة موكلون بحفظ كل عبد) وهو شامل للانس والجن والملائكة وقد تردد الجزولى فى الجن والملائكة أعليهم حفظة أم لا ثم جزم بان الجن عليهم حفظة واستبعد القول بذلك فى الملائكة قال الاجهورى ولم أقف عليه فى الجن لغيره والظاهر ان الملائكة لا حفظة عليهم والمراد بالحفظة هنا الحافظون للعبد من المضار قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله فهم غير الكاتبين الذين مر قريبا الكلام عليهم وهؤلاء الحفظة لا يفارقون العبد أبدا بخلاف الكتبة فانهم يفارقون العبد عند ثلاث حاجات عند قضاء حاجة الانسان بولا أو غائطا وعند الجماع وعند الغسل كما جاء ذلك فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ولا يمنع ذلك من كتب ما صدر منه فى هذه الاحوال لان الله يجعل لهم علامة على ذلك وفى غير هذه الاحوال لا يفارقونه ولو كان بيته فيه جرس أو كلب أو صورة وأما حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس ونحوه فالمراد ملائكة الرحمة وقد ورد ان عثمان رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلين بالآدمى فقال لكل آدمى عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان بين يديه ومن خلفه واثنان على جبينه وآخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والعاشر يحرسه من الحية ان تدخل فاه وفى بعض الروايات انه ذكر عشرين ملكا وذكر الابى انه يحفظ لابن عطية ان كل آدمى يوكل به من حين وقوعه نطفة فى الرحم الى موته أربعمائة ملك وحفظهم للعبد انما هو من المعلق وأما المبرم فلابد من انفاذه فيتنحون عنه حتى ينفذ (وخزنة الجنة) أى حفظتها الخزنة جمع خازن من خزن بمعنى أحرز وحفظ والخزنة من الملائكة كثيرون لا يعلم عددهم الا الله تعالى ورئيسهم رضوان عليه السلام كما تقدم (وخزنة النار) سلمنا الله منها بجاه حبيبه صلى الله عليه وسلم أى حفظتها الذين يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها ولا يتألمون منها بل هم فيها كخزنة الجنة فى الجنة قال الخطيب الشربينى رحمه الله تعالى فى تفسيره فان قيل ثبت فى الاخبار ان الملائكة مخلوقون من النور فكيف تطيق المكث فى النار أجيب بان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما أنه لا استبعاد فى انه يبقى أهل النار فى مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموتون فكذا لا استبعاد فى ابقاء الملائكة هناك من غير ألم انتهى (وهم) أى خزنة النار (ملائكة) عددهم (تسعة عشر) قال الله تعالى عليها تسعة عشر قال المفسرون هم

والكروبيون وهم ملائكة حافون بالعرش طائفون به متصدون للدعاء برفع الكرب عن الامة والحفظة وخزنة الجنة وخزنة النار وهم ملائكة تسعة عشر

مالك ومعه ثمانية عشر وقيل تسعة عشر نقيبا وقيل تسعة عشر ألف ملك والقول الثاني موافق لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وفي القرطبي قلت والصحيح ان شاء الله ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها اه وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أي والمتبادر أن هؤلاء من خزنتها وقد ورد في صفة الخزنة ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي اى قرون البقر واشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألف امرة واحدة فيرميهم حيث شاء من جهنم وفي رواية ان لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم محمد يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي وكان شديدا قوي الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين وفي رواية انه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الى آخر ما ذكره تعالى فهم أي لا ينبغي أن تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن رفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم وفقنا الله تعالى لمرضاته وحمانا من سخطه وعقوباته آمين بجاه الامين هذا

وبقي كلام نفيس يتعلق بالملائكة ذكره الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في الحبائك في اخبار الملائك وابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في الفتاوى الحديثية يمنعنا سوقه من الاختصار فانظره ان شئت (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (الكتب) وهي جمع كتاب وهو لغة الضم والجمع مصدر كتب أي جمع واصطلاحا ما أنزل الله على الانبياء مكتوبا على الالواح كالتوراة أو مسموعا من الله مع المشاهدة كما في ليلة المعراج أو من وراء حجاب كما وقع لموسى في الطور أو من ملك مشاهد له كما روى ان اليهود قالوا للمصطفى ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله فنزل وما كان لبشر أي ما صح لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أي الا أن يوحى اليه وحيا أي كلاما خفيا يدرك بسرعة كما سمع ابراهيم في المنام ان الله يأمرك بذبح ولدك أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا أي أو الا أن يرسل ملكا كجبريل فيوحي باذنه ما يشاء أي فيوحي الرسول الى المرسل اليه أي يكلمه باذن الله أي بأمر ربه ما يشاء أي الله قال البيضاوي وحكمة انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستعمال القوة النظرية التي هي التدرع بلباس التقوى (السماوية) أي المنسوبة الى السماء لنزولها منها أو لسموها أي رفعة قدرها (فيجب الايمان بها بان تصدق بانها من

*(قوله ومنها الكتب السماوية) قد بسطت الكلام باوضح مما هنا في شرحي على رسالة شيخنا متعنا الله بحياته المسماة بالدرر البهية ونصه مع المتن ومعنى الايمان بالكتب اعتقاد انها كلام الله تعالى أي دالة على ما يدل عليه كلامه القديم والا فهي ألفاظ ونقوش حادثة فمعنى كون كل من هذه الكتب كلام الله أنه مخلوق له تعالى وليس من تأليف المخلوقين لكن لا يقال ذلك الا في مقام التعليم تأدبا والتحقيق انه يدل على ما تدل عليه الصفة القديمة التي هي احدى صفات المعاني بمعنى انا اذا سمعنا مثلا قوله تعالى أقيموا الصلاة فهمنا منه الامر باقامة الصلاة ولو كشف عنا الحجاب لفهمنا من الصفة القديمة هذا المعنى والصفة القديمة المذكورة هي كلام الله تعالى القديم الازلي أي الذي لا أول له واعلم أن الكلام بمعنى الصفة هو من صفاته تعالى الوجودية لانه القائم بذاته تعالى المتعلق بجميع معلوماته الواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة بمعنى انه لو كشف عنا الحجاب وسمعنا الكلام القديم لرأيناها منه المنزه عن التعدد لانه صفة واحدة وعن الحلول في رقعة أو لوح أو كتاب وعن التغيير والتبديل والاختلاف واللحن والاعراب والبناء والصحة والاعلال والتقدم والتأخر وعن الحروف والاصوات بخلاف كلام الحوادث فانه شامل لجميع

عند

ببعضهما تفصيلا وهو القرآن والتوراة والانجيل والزبور ۞ ذلك فدلالة كلام الله تعالى ليست بحرف ولا صوت لان كلا منهما حادث وهو بمعنى الصفة قديم واعتقاد ان كل ما تضمنته أى اشتملت واحتوت عليه تلك الكتب من العقائد والاحكام والحكم والمواعظ واخبار الانبياء وقصصهم مع أممهم والامثال وغير ذلك مما هو مذكور فى كتب علوم القرآن كالاتقان للسيوطى رحمه الله تعالى حق ثابت لا ريب فيه وصدق لا يكاد الكذب يعتريه قال (٥٧) تعالى فى حق القرآن وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد واعتقاد ان الله تعالى أنزلها أى الكتب المتضمنة للاحكام وغيرها على بعض رسله عليهم الصلاة والسلام الذين خصصهم بها كما اقتضته حكمته الالهية لا على جميعهم وانه تعالى أنزلها بألفاظ دالة على ما تدل عليه الصفة القديمة على التحقيق حادثة تلك الالفاظ لما علمت انها مخلوقة لله تعالى مكتوبة فى اللوح المحفوظ لكن لا يقال ذلك الا فى مقام التعليم تأدبا اه

(قوله وهى كلمة عبرانية) هى لغة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال فى الفتاوى الحديثية نقل الطبرى رحمه الله تعالى ان سبب نطقه عليه السلام بها لما عبر النهر فارا من النمرود وكان وصى من ارسلهم لاحضاره ان يأتوه بمن يسمعوه يتكلم بالسريانية فلما أدركوه استنطقوه فحول الله تعالى لسانه عبرانيا فسميت العبرانية لانها كانت عند عبوره النهر اه (قوله سريانى) ذكر ابن سلام ان سبب تسمية السريانية بذلك ان الله تعالى حين علم آدم الاسماء علمه اياها سرا عن الملائكة وأنطقه بما ذكر قاله فى الفتاوى الحديثية

عند الله وانها كلامه القديم المنزه عن الحرف والصوت أى دالة على ما يدل عليه كلامه القديم والا فهى ألفاظ أو نقوش حادثة وبان ما تضمنته حق وصدق وبان بعض احكامها نسخ وبعضها لم ينسخ وكلها نسخت بالقرآن تلاوتها وكتابتها وبعض احكامها ويجب الايمان (ببعضها) أى الكتب السماوية (تفصيلا وهو) أى البعض الذى يجب الايمان به من الكتب تفصيلا أربعة الاول (القرآن) المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما سيأتى لغة مأخوذ من القرء وهو الجمع لانه مجمع علم الاولين والآخرين واصطلاحا اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته للاعجاز بأقصر سورة منه وسنتكلم عليه بكلام نفيس ان شاء الله تعالى (و) الثانى من البعض الذى يجب الايمان به من الكتب تفصيلا (التوراة) المنزلة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهى كلمة عبرانية مأخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان أكثرها تعاريض من غير تصريح قاله شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى فى سيرته وفى شرح الهمزية لابن حجر وحاشية الجمل انها مأخوذة من أورى الزند اذا قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور فهى ذات نور اه ولا مانع من ملاحظة كلا المأخذين (و) الثالث من البعض الذى يجب الايمان به من الكتب تفصيلا (الانجيل) المنزل على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وهو كما فى الشنوانى على أبى جمرة مأخوذ من النجل وهو الاخراج لان الاحكام منجولة منه أى مستخرجة منه ومنه قولهم أنجل فلان ولدا أى أخرجه وقيل الانجيل مأخوذ من التناجل وهو التنازع لانهم اختلفوا فيه وغيروا وبدلوا والانجيل بكسر الهمزة وقرأه الحسن البصرى بفتحها فهو أعجمى اذ ليس فى العربية أفعيل بفتح الهمزة سريانى وعن سفيان ما نزل من السماء وحى الا بالعربية وكانت الانبياء تترجم لقومها بألسنتهم (و) الرابع من البعض الذى يجب الايمان به من الكتب تفصيلا (الزبور) المنزل على سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وهو بفتح الزاى اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبور أى مكتوب وهو مائة وخمسون سورة ما بين قصار وطوال والطويلة منها قدر ربع حزب والقصيرة قدر سورة النصر ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجىء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطيور على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها الا ان الله اعطاه صوتا حسنا وقد ورد ان أبا موسى الاشعرى كان يقرأ القرآن ليلا بصوت حسن فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعجبتنى قراءتك الليلة كأنك أعطيت مزمارا من مزامير داود فقال أبو موسى لو علمت بك لحبرته لك تحبيرا اه صاوى على الجلالين مع زيادة من شرح التنبيه للسيوطى وجلب بعض نصوص التوراة والانجيل والزبور

يمنعنا من الاختصار وقد ذكر شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى نصوصا منها في سيرته فانظرها ان شئت واعلم ان المراد بالكتب ما يشمل الصحف وقد اشتهر ان عدة الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان قاله الخطيب وذكر التتائي في شرح الرسالة خلافه ونصه فائدة جملة الكتب المنزلة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم ولا خلاف في هذا واختلفوا في عشرة فقيل أنزلت على آدم وقيل على موسى قبل التوراة والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اه والتحقيق الامساك عن حصرها في عدد فيجب اعتقاد ان الله أنزل كتبا من السماء على الاجمال نعم الكتب الاربعة يجب معرفتها تفصيلا كما علمت ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى فيجب الايمان ببعضها تفصيلا وهو القرآن الى آخره (و) يجب الايمان (ببعضها) الآخر (اجمالا) وذلك (بان يعتقد) أي بان يعتقد الشخص (ان الله أنزل كتبا لا يعلم حصرها الا هو) تعالى فمن رأى كتابا منها غير القرآن ولم يبدل فنظر اليه بعين الحقارة كفر ومن انكر آية من القرآن كفر أو من بقية الكتب المنزلة لم يكفر لانا لا نعلم يقينا انها منها ولا يقبل قول أهل الكتاب انها منها لان كذبهم ظاهر وتحريفهم بين لقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه واعلم ان أفضلها القرآن فيجب اعتقاد ذلك لكن مع عدم ملاحظة النقص فيما سواه من الكتب لان الكل كلام الله تعالى فينبغي ملازمة الادب في هذا المقام وفي كل مقام يضاهيه كما سننبه على ذلك في المفاضلة بين الرسل قال العلامة السحيمي رحمه الله تعالى ومعاني الكتب الا القرآن مجموعة في القرآن ومعاني القرآن الا الفاتحة مجموعة في الفاتحة ولذا كان لها ثلاثون اسما منها أم القرآن وأم الكتاب لانها مشتملة على جملة علومه فلذلك كانت أفضل سور القرآن فاذا حلف أو نذر ليقرأن أفضل سورة في القرآن بر بها ومعاني الفاتحة الا البسملة مجموعة في البسملة ومعاني البسملة الا الباء مجموعة في الباء ومعناها بي كان ما كان أي بالله وجد الذي وجد وبي يكون ما يكون أي بالله يوجد الذي يوجد ومعنى الباء في نقطتها أي أول جزء يوضع عند رسمها ومعناها ان ذاته تعالى استمد منها كل موجود كما ان البسملة استمدت من نقطتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ليلة وجرني الى البقيع في أول الليل وقال اقرأ يا ابن عباس فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم فتكلم في الباء الى طلوع الفجر وقال علي لو شئت ان أوقر من تفسير الفاتحة سبعين بعيرا لفعلت وفي رواية عنه لو ثنيت لي وسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم ولاهل القرآن بقرآنهم ولقلت في الباء من بسم الله حمل سبعين اه وقوله ومعاني القرآن الا الفاتحة مجموعة في الفاتحة الخ استشكله العلامة المناوي رحمه الله تعالى من جهة ان القرآن مشتمل على أحكام وقصص ومواعظ وغيرها والفاتحة وما بعدها ليسا كذلك وأجاب بان مدار الكتب السماوية على توحيد الباري وانه رب العالم وخالقهم وأرحمهم ومالكهم وخالق الهداية في قلب العبد والمعين له وان مصير الخلق الى دار سعادة أو شقاوة وهذه المعاني مصرح بها في القرآن مشار اليها في الفاتحة مرموز اليها في البسملة ملوح بها في الباء وسورة الفاتحة قد جمعت معاني القرآن كله فكأنها نسخة مختصرة وكان القرآن بعدها تفصيل لها وذلك لانها جمعت الالهيات في الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والدار الآخرة في مالك يوم الدين والعبادات كلها من الاعتقاد والاحكام

وببعضها اجمالا بان يعتقد ان الله أنزل كتبا لا يعلم حصرها الا هو

(قوله غير القرآن) استثناؤه بالنظر لقوله ولم يبدل والا فالناظر للقرآن بعين الحقارة كافر أيضا بلا شك وقد حفظ الله تعالى القرآن من التبديل والتحريف قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر أي القرآن وانا له لحافظون قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته بعد ذكره هذه الآية ما نصه أخبر سبحانه وتعالى بانه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان في المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله أي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صار لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن وقد اجتهد كثير من الملحدة في ادخال شئ من التبديل في القرآن بعد ان أجمعوا

التي تقتضيها الاوامر والنواهي في اياك نعبد والشريعة كلها في الصراط المستقيم والانبياء وغيرهم في قوله انعمت عليهم وذكر طوائف الكفار في غير المغضوب عليهم ولا الضالين انتهى بجيرمي نقلا عن شيخه والسيوطي رحمهم الله تعالى (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤيدين) أي مقوين (بالمعجزات الباهرات) أي الغالبات للخصم التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها كالعصا لموسى واخراج ناقة صالح من الصخرة وخمود النار لابراهيم وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى لعيسى والقرآن وانشقاق القمر وحنين الجذع وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين الاصابع ونحو ذلك لنبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين فسميت المعجزة معجزة لتضمنها التعجيز عن الاتيان بمثلها على ان تسميتها بذلك مجاز من تسمية المسبب باسم سببه لان العجز تبين بها او المعجز في الحقيقة خالق العجز وانما احتاجوا الى التأييد بالمعجزات لان مدعي الرسالة لابد له من دليل على دعواه والمعجزة دليله ثم ان قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة المراد منه الحجة الظاهرة التي يشاركه في العلم بها خلقه أما الحجة الخفية الحقيقية المنفرد هو بعلمها فهي قائمة على الخلق بدون الرسل عليهم الصلاة والسلام (و) المعجزات (مفردها معجزة وهي) لغة مأخوذة من العجز وهو ضد القدرة وعرفا ماذكره رحمه الله تعالى بقوله (أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة) فدخل في الامر جميع الامور من اقوال وافعال وتروك والحاصل ان المحققين اعتبروا في المعجزة سبعة أمور الاول ان تكون قولا أوفعلا أوتركا فالاول كالقرآن والثاني كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم والثالث كعدم احراق النار لسيدنا ابراهيم خرج بذلك الصفة القديمة كما اذا قال آية صدقي كون الاله متصفا بصفة الاختراع الثاني أن تكون خارقة للعادة وهي ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى وخرج بذلك غير الخارق كما اذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب الثالث ان تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة وخرج بذلك الكرامة وهي ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والمعونة وهي ما يظهر على يد العوام تخليصا لهم من شدة والاستدراج وهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكرا به والاهانة وهي ما يظهر على يده تكذيبا له كما وقع لمسيلمة الكذاب فانه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة وتفل في بئر ليكثر ماؤها فغاضت وتفل في بئر ليعذب ماؤها فصارت ملحا أجاجا الرابع ان تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكما بأن تأخرت بزمن يسير وخرج بذلك الارهاص وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيسا لهما كاظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة الخامس ان تكون موافقة للدعوى وخرج بذلك المخالف لها كما اذا قال آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبل السادس ان لا تكون مكذبة له وخرج بذلك ما اذا كانت مكذبة له كما اذا قال آية صدقي نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب بخلاف ما لو قال آية صدقي نطق هذا الانسان الميت واحياؤه فاحيي ونطق بانه مفتر كذاب والفرق ان الجماد لا اختيار له فاعتبر تكذيبه لانه أمر الهي والانسان مختار فلا يعتبر تكذيبه لانه ربما اختار الكفر على الايمان السابع ان تتعذر معارضته وخرج بذلك السحر ومنه الشعبذة وهي خفة في اليد يرى ان لها حقيقة ولا حقيقة لها كما يقع للحواة وزاد بعضهم ثامنا وهو ان لا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها وخرج بذلك ما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر وللارض أن تنبت فتنبت وقد نظم بعضهم أقسام الامر الخارق للعادة فقال

ومنها كون الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤيدين بالمعجزات الباهرات ومفردها معجزة وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة

كيدهم وحولهم وقوتهم في هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما أخبر الله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة أعدائه اه

اذا ما رأيت الامر يخرق عادة * فمعجزة ان من نبي لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة * فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر
وان جاء يوما من ولي فانه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وان كان من بعض العوام صدوره * فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان وفق مراده * يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم * وقد تمت الاقسام عند الذي اختبر

و زاد بعضهم السحر وقيل انه ليس من الخوارق لانه معتاد عند تعاطي أسبابه (و) كونهم عليهم الصلاة والسلام (واجبة لكل منهم العصمة) وهي لغة الحفظ واصطلاحا حفظ الله تعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه ولا يجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنى كأن يقال اللهم انا نسألك العصمة فان أريد المعنى اللغوي جاز لنا سؤالها (عن جميع المنهيات) فلا تصدر عنهم معصية لا صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا لا بعد النبوة ولا قبلها لا في الكبر ولا في الصغر فان قلت ان عصمة الانبياء قد تقدمت في وجوب الامانة في حقهم اذ الامانة هي العصمة كما فسرها رحمه الله تعالى ثم بذلك فلم تعرض لها ههنا قلت انما تعرض لها ههنا ليجمع الملائكة مع الانبياء في حكمها والاتصاف بها كما قال (ومثلهم) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (في العصمة جميع الملائكة) هذا هو المشهور وفي حقهم عليهم الصلاة والسلام وقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ليس غيبة ولا اعتراضا على الله تعالى بل مجرد استفهام وما نقل في قصة هاروت وماروت مما يذكره المؤرخون لم يصح فيه شيء من الاخبار بل هو من افتراء اليهود وكذبهم وتبعهم المؤرخون في ذكر ذلك وقيل كانا رجلين صالحين وسميا ملكين تشبيها لهما بالملكين على حد ما قيل في يوسف عليه الصلاة والسلام ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ويؤيده هذا قراءة ملكين بكسر اللام كما في الجلالين وقد نبهنا على ذلك فيما مر باوضح مما هنا فانظره ان شئت الاعادة لتزداد افادة ولما كانت الخصائص التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تنحصر حدا ولا عدا وقد ذكر الائمة الاعلام غالبها في مؤلفاتهم المختصة بها وذكر بعض المتكلمين المهم منها في كتبهم سلك رحمه الله تعالى هذا الطريق فقال (وخص نبينا) أي وخص الله نبينا سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم بانه خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام) بفتح التاء وكسرها (فلا نبي بعده أبدا) الى يوم القيامة يبعث بشرع ينسخ شرعه ولا يشكل ذلك بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان لانه انما ينزل حاكما بشرع نبينا كما سيأتي قريبا في المتن وأصل الخاتم اسم جنس للحلقة التي فيها فص من غيرها فان لم يكن فيها ذلك سميت فتخة كما في الصحاح واستعماله في نبينا صلى الله عليه وسلم على سبيل التشبيه البليغ ووجه الشبه انه صلى الله عليه وسلم محيط بالانبياء أولا وآخرا كاحاطة الخاتم بالاصبع فلم يخرج أحد عن أمره فان أريد به آلة الختم أي التي يختم بها الشيء فتمنع ظهوره كان المعنى على فتح التاء انه صلى الله عليه وسلم مثلها من حيث انهم ختموا به ومنعوا من الظهور بعده وعلى كسرها انه متممهم والدليل على كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ويلزم منه ختم المرسلين لانه يلزم من ختم الاعم ختم الاخص من غير عكس وقوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة حتى جئت فختمت الانبياء ويلزم منه ختم الرسل لما علمت وقوله صلى

وواجبة لكل منهم العصمة عن جميع المنهيات ومثلهم في العصمة جميع الملائكة وخص نبينا صلى الله عليه وسلم بانه خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نبي بعده أبدا

و بعموم بعثته فشرعه لا ينسخ بغيره الى أن ينقضي الزمان وعيسى بعد نزوله يحكم بشرع نبينا فقيل يأخذه من القرآن والسنة وقيل يذهب الى قبره الشريف فيتعلم منه و وقع نسخ شرعه لغيره حتما

الله عليه وسلم لا نبي بعدي ولا رسول وهذا مصرح بكونه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين (و) خص الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أيضا (بعموم بعثته) صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق من الانس والجن والملائكة كما اختاره الجلال السيوطي والشيخ ابن حجر بل قال بعضهم حتى الى الجمادات واختار الشيخ محمد الرملي تبعا لوالده تبعا لجماعة منهم الحليمي أنه لم يبعث الى الملائكة قال بعضهم أي بعث تكليف فلا ينافي انه بعث اليهم بعث تشريف وأما على كلام الشيخ ابن حجر فبعث تكليف وان كانجهل عين ما كلفوا به وقيل كلفوا بما يليق بهم من الطاعات العملية كالركوع والسجود فان منهم الراكع والساجد الى يوم القيامة والخلاف انما هو بالنسبة لغير معرفة الله تعالى أما هي فانها جبلية لهم فليس فيهم من يجهل صفاته كما تقدم أول الكتاب والتحقيق انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة لكن باعتبار عالم الارواح فان روحه خلقت قبل الارواح وارسلها الله لهم فبلغت الجميع والانبياء نوابه في عالم الاجسام فهو صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الناس من لدن آدم الى يوم القيامة حتى الى نفسه لدخول الجميع تحت قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة وقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس فمن نفى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم فقد كفر ولا يرد على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام بعد الطوفان لانه أمر اتفاقي عارض لانحصار الباقين فيمن كان معه في السفينة فلم يسلم من الهلاك الا من كان معه فيها وأيضا لم يرسل الى الجن والملائكة فانه لم يرسل اليهما الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأما تسخير الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام فتسخير سلطنة وملك لا تسخير نبوة واذا علمت انه خاتم الانبياء وان بعثته عامة (فشرعه) صلى الله عليه وسلم (لا ينسخ) شرع (غيره) لا كلا ولا بعضا والشرع لغة البيان واصطلاحا الاحكام الشرعية والنسخ لغة الازالة والنقل ومنه نسخت الشمس الظل أي أزالته ونسخت الكتاب أي نقلته واصطلاحا رفع حكم شرعي بدليل شرعي والمراد برفع الحكم الشرعي انقطاع تعلقه بالمكلفين لانه خطاب الله تعالى وهو يستحيل رفعه لانه قديم بخلاف التعلق فلا يستحيل رفعه لانه حادث فشرعه صلى الله عليه وسلم مستمر (الى أن ينقضي الزمان) أي الى انقضاء الزمان لقوله صلى الله عليه وسلم لن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله يعني الدين الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله أي الساعة أي قربها فهو على حذف مضاف لان المؤمنين يموتون قبل الساعة بريح لينة (و) أما سيدنا (عيسى) عليه السلام (بعد نزوله) الى الارض في آخر الزمان فانه (يحكم بشرع نبينا) محمد صلى الله عليه وسلم لا بشرع من عنده (فقيل يأخذه من القرآن والسنة وقيل يذهب) أي سيدنا عيسى عليه السلام (الى قبره الشريف) صلى الله عليه وسلم (فيتعلم) سيدنا عيسى (منه) أي من نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فان قيل ان عيسى عليه السلام حين نزوله يحكم برفع الجزية عن أهل الكتاب ولا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف مع ان أخذ الجزية منهم جائز في شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أجيب بانه صلى الله عليه وسلم أخبر بانها مغياة الى نزول عيسى فحكمه بذلك انما هو بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ووقع نسخ شرعه) صلى الله عليه وسلم (ل) شرع (غيره حتما) أي حال كونه محتما ويدل لذلك قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا الآية والاحاديث في ذلك كثيرة بلغت جملتها مبلغ التواتر فنسخ شرعه صلى الله عليه وسلم لشرع غيره واقع سمعا باجماع المسلمين خلافا لليهود والنصارى حيث زعموا ان شرع نبينا صلى الله عليه وسلم لم ينسخ شرع أحد من الانبياء توسلا

(قوله وعيسى بعد نزوله الى الارض يحكم بشرع نبينا) سئل ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى بما لفظه أجمعوا على ان عيسى يحكم بشرعنا فما كيفية حكمه بذلك بمذهب أحد من المجتهدين أم باجتهاد فاجاب بقوله عيسى صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يقلد غيره من بقية المجتهدين بل هو أولى بالاجتهاد ثم علمه باحكام شرعنا اما بعلمها من القرآن فقط اذ لم يفرط فيه من شيء وانما احتجنا الى غيره لقصورنا وقد كانت أحكام نبينا كلها ماخوذة من القرآن ومن ثم قال الشافعي رضي الله عنه كل ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن فلا يبعد ان عيسى صلى الله عليه وسلم يكون كذلك أو برواية السنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اجتمع به في حياته مرات ومن ثم عد من الصحابة أخرج ابن عدي عن أنس رضي الله عنه بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأينا بردا ويدا فقلنا يا رسول الله ما هذا البرد الذي رأينا واليد قال قد رأيتموه قلنا نعم قال ذلك عيسى بن مريم سلم

و ينسخ بعض شرعه ببعضه الآخر و بمعجزات ﷺ على وفي رواية ابن عساكر عنه كنت أطوف مع النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة اذ رأيته صافح شيأ ولم اره (٦٢) قلنا يا رسول الله رأيناك صافحت شيأ ولا نراه قال ذلك أخي عيسى بن مريم انتظرته حتى

للقول بنفي نبوته صلى الله عليه وسلم واحتجوا على ذلك بانه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى ورد بان المصلحة تختلف بحسب الازمنة فالمصلحة في زمن الامم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم والمصلحة في زماننا اقتضت تكليفنا بشريعتنا (و) اعلم انه (ينسخ بعض شرعه) صلى الله عليه وسلم (ببعضه الآخر) وشمل ذلك نسخ الكتاب بالكتاب كما في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فانه نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا المتأخرة نزولا وان تقدم تلاوة ونسخ السنة بالسنة كما في حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانه نسخ النهي الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم أولا بالامر في هذا الحديث ونسخ السنة بالكتاب كما في استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة فانه نسخ باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ونسخ الكتاب بالسنة كما في قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين فانه نسخ بحديث لا وصية لوارث وشمل أيضا غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى فيما تقدم تأييد الله تعالى للانبياء بالمعجزات نبه هنا على تخصيصه صلى الله عليه وسلم بكثير منها لم تكن لغيره فقال (و) خص الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أيضا (بمعجزات) اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى ومزاياه لا تستقصى وان معجزات جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومزاياهم مستمدة من نوره الساطع ومدده الواسع فانه لم يعط أحد من الانبياء معجزة أو كرامة أو مزية أو فضيلة الا وقد أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو أعظم منها وزيادة كما حرره الائمة الاعلام ونحوه

وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار

فلنذكر شيأ من ذلك لتحفنا البركات وتنزل علينا الرحمات ولكن قبل ذكر ذلك ينبغي ان ننبه على أمر مهم يجب ملاحظته في كل مقام مثل هذا كما سننبه عليه وهو أنه ينبغي لمن سمع أو حكم بالمفاضلة بين الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في ذات أو معجزة أو كرامة أو فضيلة أو مزية ان يتأدب غاية الادب ولا يلاحظ نقصا في المفضول منهم بشيء مما ذكر وان كان ذلك حاصلا باللزوم بالنظر للفاضل فهو نسبي لكن لا ينبغي له ملاحظته بل يلاحظ كمال الشرف للجميع فان الكامل منهم اذا حاز كمالا لم يحزه سواه منهم انما حاز كمالا زائدا على كمالهم فلم يلزم من ذلك نقص من سواه لانه في حد ذاته كامل وما من كمال الا وعند الله أكمل منه وبالجملة فهم مشتركون في أصل الكمال ومتفاوتون فيه فيلزم ملاحظة الادب عند الوقوف على شيء من ذلك و يجب الاعتقاد مع ذلك ان الله تعالى قد جمع فيه صلى الله عليه وسلم ما فرق في غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أعطى خلق الله تعالى بيده أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم أنه شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه الصلاة والسلام الخلق الجسمي الوجودي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولما أعطى ادريس عليه الصلاة والسلام المكان العلي أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم المعراج الانفخم الاعظم ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك ولما نجى

قضى طوافه فسلمت عليه وحينئذ فلا مانع انه حينئذ تلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحكام شريعته المخالفة لشريعة الانجيل لعلمه انه سينزل وانه يحتاج لذلك فاخذها منه بلا واسطة وفي حديث ابن عساكر الا ان ابن مريم ليس بيني و بينه نبي ولا رسول الا انه خليفتي في أمتي من بعدي وقد صرح السبكي بانه يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة اما بكونه يتلقاها من نبينا صلى الله عليه وسلم شفاها بعد نزوله من قبره و يؤيده حديث أبي يعلى والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ثم لئن قام على قبري وقال يا محمد لاجيبنه واما بكونه تعالى أوحاها اليه في كتابه الانجيل أو غيره لان جميع الانبياء كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم ومن بعدهم بالوحي من الله على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وبالتنبيه على ذلك في كتبهم المنزلة عليهم كما دل على ذلك أحاديث وآثار ولا بعد فيما يفهم من هذا ان جميع ما في القرآن مضمن في الكتب السابقة لقوله تعالى مصدقا لما بين يديه من نوح الكتاب أي كتب من قبله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وانه لفي زبر الاولين أي كتبهم وقد أخذ أبو حنيفة رضي الله عنه قوله بجواز قراءة القرآن بغير العربية من هذه الآية قال لان القرآن مضمن في الكتب السابقة وهي بغير العربية

نوح عليه الصلاة والسلام هو وقومه أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم عدم هلاك الله تعالى أمته بعذاب عام قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال الرازى فى تفسيره أعطى مكان السفينة انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ماء فانفلق وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة ولما نجى ابراهيم عليه الصلاة والسلام من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار الحرب قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وفى المواهب انه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذى دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى النسائى رحمه الله تعالى أنه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما أعطى أعنى ابراهيم مقام الخلة أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد عليه بمقام المحبة الارفع من كل مقام ولما أعطى أعنى ابراهيم بناء الكعبة أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر الذى هو روحها فى محله لما اشتد رأى قريش ولما أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا حية أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى هو أبهر وأغرب وذكر الرازى وغيره ان أبا جهل أراد أن يرميه بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا ولما أعطى أعنى موسى اليد البيضاء التى بياضها يغشى البصر من غير سوء أى برص أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم أنه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبد الله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان بينا ظاهرا فى جباههم وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضىء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج وأخرج البيهقى وصححه الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلا فخرجا بيد كل واحد عصا فاضاء لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها فلما افترقا أضاءت عصا الآخر وهذا وان كان كرامة لهم فانما أعطوها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولهم فى صحبته ودينه وكل كرامة لولى معجزة لنبيه وكذا يقال فيما بعده وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فاضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان أصابعى لتنير ولما أعطى أعنى موسى انفلاق البحر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذى هو أبهر لانه تصرف فى العالم العلوى على أنه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ولما أعطى أعنى موسى تفجير الماء من الحجر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره من

(قوله نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار الحرب الخ) أى بابطال مكايد الكفار التى كانوا يدبرونها للحرب به وناهيك بنار حطبها السيوف وجمرها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد فكم أرادوا ان يطفؤا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وان يخمد شرورهم ويحفظ لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره وخمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد وأحرق المشركون عمار بن ياسر رضى الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم فيبرأ وكان عند (٦٣) أنس بن مالك رضى الله عنه منديل كلما يتسخ يضعه فى التنور بعد ايقاده فيخرجه أبيض كأنه اللبن فسئل عن ذلك فقال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه الشريف فاذا اتسخ صنعنا به هكذا لان النار لا تأكل شيأ مر على وجوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقى غير واحد من أمته صلى الله عليه وسلم فى النار فلم تؤثر فيه فقد روى ان الاسود بن قيس العنسى لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب ابن كليب فالقاه فى النار لتصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم تضره النار وبعث العنسى المذكور الى أبى مسلم الخولانى فأتاه فقال أتشهد انى رسول الله فقال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فاتى بنار عظيمة والقاه فيها فلم تضره وهذا وان كان كرامة لذؤيب وأبى مسلم فانما أعطياها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولهم فى دينه وكل كرامة لولى معجزة لنبيه كما سيأتى تفصيل ذلك فى الشرح ان شاء الله تعالى اهـ سيرة شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى بالاختصار والمعنى (قوله حتى جمعوا عليها ظهرهم) أى طريقهم وركابهم وما سقط من متاعهم قاله شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى وغيره (قوله أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الخ) ما أحسن قول بعضهم حيث قال فللرسول انشقاق البدر نشهده * كما لموسى انفلاق البحر منقول (قوله فعليه يكون البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء) أى حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام

بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهو أبلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما احسن قول بعضهم

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

ولما أعطى أعني موسى الكلام أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان ما بين جبل الطور والذي نوجي به موسى عليه الصلاة والسلام ومافوق العرش الذي نوجي به نبينا صلى الله عليه وسلم قال العارف البرعي رحمه الله تعالى

وان ذكروا نجي الطور فاذكر * نجي العرش مفتقر التغني
فان الله كلم ذاك وحيا * وكلم ذا مشافهة وأدنى
وموسى خر مغشيا عليه * وأحمد لم يكن ليضيق ذهنا
ولو قابلت لفظة لن تراني * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

ولما أعطى هارون عليه الصلاة والسلام الفصاحة أعطى نبينا أبلغ منها وأبهر على انها في العبرانية والعربية أفصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة ولم يتحد نبي بالفصاحة الا نبينا صلى الله عليه وسلم ولما أعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحسن وتأويل الرؤيا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما في الحديث وعبر عن المرائي فوقعت كما عبر مالا يدخله الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام انما كان في ثلاث مرائي كما في سورته ولما أعطى داود عليه الصلاة والسلام تليين الحديد أعطى ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة أم معبد درت ببركة يده ولم تلد قط ولما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام كلام الطير أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كلمه الحجر وسبح الحصا في كفه وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبي وشكا اليه البعير ولما أعطى أعني سليمان الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف وأيضا الريح سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض أي جمعت له حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض ولما أعطى أعني سليمان تسخير الجن أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه في صلاته فاراد ان يربطه بسارية في المسجد وسخر له الجن حتى أسلموا ولم يسخروا لسليمان الا في العمل وعد الطير من جملة جنوده تقاومه حمامة الغار وعنكبوته بل هذا أعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير بالشئ القليل ولما أعطى عيسى عليه الصلاة والسلام ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم رد العين الى محلها بعدما سقطت فعادت أحسن ما كانت وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم مسح برصاء فشفيت والبيهقي ان رجلا قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فأتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصى وحنين الجذع أبلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس مالا يتكلم قال العارف البرعي رحمه الله

وان يك خاطب الاموات عيسى * فان الجذع حن له وأنا
وسلمت الجماد عليه نطقا * فاني يستوي الفتيان اني

فهذا تفصيل بعض ما أوتيه صلى الله عليه وسلم في نظير ما أوتيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل جميع ما خص الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام متعذر وان أردت بسط الكلام فانظر سيرة شيخنا وشيخ

شيوخنا

لان بحار الارض قد يقع فيها زوال الماء في مواضع منها بحيث يمكن المشي في الارض التي بينها والبحر الذي بين السماء والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها اهـ سيرة

(قوله كلمه الحجر الخ) أي وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان اهـ سيرة

(قوله وكلمه ذراع الشاة) هذا أقوى في الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانه يتكلم فهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب وشكا اليه البعير وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردده رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة اهـ سيرة

شيوخنا رحمه العلام وبالجملة فقد أوتي صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم الممد لهم دائما اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته صلى الله عليه وسلم فلا يصل لكامل منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي ومعجزاته انما هي مقتبسة من نوره صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكوكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وأنوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع وقد أشار الى هذا العلامة البوصيري رحمه الله تعالى في بردته فقال

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم

حتى اذا طلعت في الافق عم هدا * ها العالمين وأحيت سائر الامم

وقال في همزيته كل فضل في العالمين فمن فضـ * ـل النبي استعارت الفضلاء

وانما وصف رحمه الله تعالى معجزاته صلى الله عليه وسلم بقوله (كثيرة) ايماء للعجز عن الاحاطة بها والمراد من معجزاته صلى الله عليه وسلم الامور الخارقة للعادة الشاملة للارهاص والمعجزة واعلم ان ما كان منها معلوما بالقطع منقولا بالتواتر كالقرآن فلا شك في كفر منكره ومالم يكن منها كذلك فان اشتهر كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فسق منكره وان لم يشتهر وثبت بطريق صحيح أوحسن عزر منكره ثم اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله تعالى الى محل فضله فاما القسم الماضي وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم يسمى ارهاصا كما تقدم وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة وأما القسم الثاني وهو ماوقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات بسببه مالا يحصى فكرامات الاولياء من تممات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمى أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذي خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أمه قصور بصرى وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفي رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة وكذا كل ما كان قبل بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا ذكر رحمه الله تعالى نبذة منه فقال (منها) أي من تلك المعجزات التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (القرآن العظيم) وهو لغة مأخوذ من القرء وهو الجمع لانه مجمع علم الاولين والآخرين واصطلاحا اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته للاعجاز باقصر سورة منه فقوله اللفظ خرج به الكلام النفسي وقوله المنزل خرج به اللفظ غير المنزل كالاحاديث النبوية وقوله على محمد صلى الله عليه وسلم خرج به المنزل على غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالتوراة والانجيل وقوله المتعبد بتلاوته خرج به منسوخ التلاوة وقوله للاعجاز خرج به الاحاديث القدسية واعلم ان القرآن العظيم أنزله الله تعالى في شهر رمضان وهو معنى قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه

كثيرة منها القرآن العظيم

القرآن هـدى للناس و بينات من الهدى والفرقان ليلة القدر وهى المعنية بقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة جملة واحدة فى اللوح المحفوظ فتلقاه جبريل منه ونزل به الى سماء الدنيا فاملاه للسفرة فكتبته فى الصحف على هذا الترتيب الذى نقرؤه ومقرها بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل جبريل به على النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة مفرقا على حسب الوقائع وعند الحاجة و بحدوث ما يحدث على ما شاء الله تعالى لقوله تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فجبريل عليه السلام أملى القرآن على السفرة ابتداء وتلقاه عنها انتهاء والحكمة فى نزوله مفرقا تثبيته فى قلبه وتجديد الحجج على المعاندين وزيادة ايمان للمؤمنين قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وقال تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وتلك الليلة التى أنزل فيها القرآن ليلة أربع وعشرين قال فى روح البيان عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين اه فتحصل من هذا ان القرآن نزل ليلة أربع وعشرين من رمضان وكانت تلك الليلة هى ليلة القدر فى تلك السنة فمن ثم حكم تعالى بانه نزل فى رمضان وفى ليلة القدر بقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر فانزل فيها جملة الى سماء الدنيا ثم أنزل فى اليوم الرابع والعشرين الى الارض أوّله اقرأ باسم ربك الذى خلق فان قيل ان كون أوّل اقرأ أنزل يوم الرابع والعشرين من رمضان مشكل بما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم بعث فى شهر ربيع الاول فالجواب ما ذكروه من أنه صلى الله عليه وسلم نبىء أوّلا بالرؤيا فى شهر مولده ثم كانت مدتها ستة أشهر ثم أوحى اليه فى اليقظة ذكره ابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى فى الفتاوى الحديثية وغيره وعلم من قولنا فيما تقدم آنفا على هذا الترتيب الذى نقرؤه ان القرآن هذا الترتيب توقيفى أى يتوقف على نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم فكان اذا تمت السورة يقول جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل هذه السورة عقب سورة كذا وقبل سورة كذا وكذا ترتيب الآيات توقيفى فكان جبريل يقول للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل هذه الآية عقب هذه الآية وكذا اسماء السور توقيفية وأما وضع أسمائها فى المصاحف وتقسيمها الى أعشار وأرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب فمن الحجاج الثقفى باخذ من الصحابة رضى الله عنهم فى وضع أسماء السور وباجتهاد منه فى تقسيمه الى ما ذكر ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة وترتيبه فى النزول غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف وذلك لانه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة أى قبل الهجرة و بالمدينة احدى وثلاثون على التحقيق فاوّل ما نزل بمكة اقرأ وآخر ما نزل بها قيل العنكبوت وقيل المؤمنون وقيل ويل للمطففين وأوّل سورة نزلت بالمدينة البقرة وآخر سورة نزلت بها المائدة وهناك بعض سور اختلف فيها منها الفاتحة و يمكن تكرر نزولها وأما أول آية نزلت على الاطلاق فاقرأ باسم ربك وآخر آية على الاطلاق واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وما نقل عن بعض الصحابة ان مصاحفهم مكتوبة على غير الترتيب الموجود الآن فجوابه كما فى القرطبى أنهم كانوا يكتبونها على ترتيب النزول قبل ان يعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم ترتيب السور فلا ينافى أنهم لما علموا الترتيب جروا على مقتضاه فثبت بهذا أن القرآن كان على هذا التاليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ

كان

(قوله ونزل به الى سماء الدنيا) قال الصاوى على الجلالين حكمة انزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم انزاله منها مفرقا ولم ينزله مفرقا من اللوح ان سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوى والسفلى فانزاله اليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه وانزاله منها مفرقا فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطف به صلى الله عليه وسلم و بأمته فلم يفته نزوله جملة ولا مفرقا اه (قوله قال فى روح البيان) عبارة الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى وأصل هذا ما رواه احمد والبيهقى عن واثلة ابن الاسقع رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت منه والزبور لثمان عشرة خلت منه والقرآن لاربع وعشرين خلت منه وفى رواية وصحف ابراهيم لاول ليلة الى آخر ما قال فانظره ان شئت (قوله فالجواب الخ) ويجاب بأن البعثة كانت فى رمضان الذى قبل تمام الاربعين بخبر

معجز البشر ﷺ الكسر أو في رمضان الذي بعد الاربعين قالغى الكسر أو ذلك بناء على ان ميلاده في رمضان وقد قيل به وعبارة
الصاوي على الجلالين ان قلت ان البعثة على رأس الاربعين وميلاده كان في ربيع فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في
ليلة القدر أجيب بانه ألغى الكسر او جبر أو ذلك بناء على ان ميلاده في رمضان وقد قيل به أو مبدأ الوحي المنامي في ربيع ومبدا
انزال القرآن في رمضان (قوله وانشاء الكلام البليغ ارتجالا) بالجيم أي بدون تروّ وفكر ومهلة اذ كان لهم سجية وطبيعة قال
في القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه وفي المصباح ارتجلت الكلام (٦٧) أتيت به من غير روية ولا فكر (قوله

كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلو جمع في
مصحف واحد ثم رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه
في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل
الصحيح ان الصحابة رضي الله عنهم انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله تعالى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أو نقصوا شيئا أفاده حواشي الجلالين وغيرها ثم وصف
رحمه الله تعالى القرآن ثانيا بقوله (معجز البشر) أي مصيرهم عاجزين عن معارضته والاتيان بمثله
بل كل المخلوقات كذلك اجماعا قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا وخص الانس والجن مع ان سائر المخلوقات
كذلك لانهما اللذان يتصور منهما المعارضة بخلاف غيرهما كالملائكة لعصمتهم واقتصاره
رحمه الله تعالى على البشر الذين هم بنو آدم سموا بذلك لبدو بشرتهم التي ظاهرها الجلد لانهم الذين
تصدوا لذلك بالفعل كما سيأتي بيان ذلك في تقرير الآية فقد تحداهم النبي صلى الله عليه وسلم
بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشئ منه
فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة من احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين في اللسان بكلام
مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء
الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطى الكلام
الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا في المحافل جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة فيأتون
منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة في المقامات ويتوصلون بذلك الى
مطالبهم من الحاجات ويرفعون من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من
ذلك بالسحر الحلال ويطوقون الاعناق باحسن من عقد اللآل وبالجملة فكانت أوصافهم في
البلاغة والفصاحة يضيق عنها التعبير ويكل بحصرها قلم التحبير فراعهم الرسول كريم بكتاب
عزيز عظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه جاءهم وهم أفصح ما كان في هذا الباب مجالا واشهر في الخطاب رجالا
وأكثر في السجع والشعر ارتحالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا صارخا بهم في كل حين ومقرعا
لهم من الاعوام بضعا وعشرين على رؤس الملا أجمعين فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويذم آلهتهم

على البديهة) أي من غير روية أي تفكر (قوله ويدلون الخ) بضم الياء واللام أي يتوسلون به الى كل سبب من الاسباب في السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (قوله فيأتون من ذلك بالسحر الحلال) أي يأتون من الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال بالسحر الحلال وهو ما لطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد ورد ان من البيان لسحرا أي سواء كان نثرا أو شعرا قال المناوي رحمه الله تعالى في تفسير هذا الحديث ان بعض البيان لسحر لان صاحبه يوضح المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر وقال بعضهم لما كان في البيان من ابداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السمع ويخرجه

الى حد يكاد يشغل عن غيره شبه بالسحر الحقيقي وهو الذي يقال له السحر الحلال اهـ (قوله فراعهم) أي ما أفزعهم شئ
اليهم الرسول كريم أي جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين اتاهم (قوله وهم أفصح) بالصاد المهملة
من الفصاحة والجملة حالية وقوله ما كان في هذا الباب أي باب السؤال والجواب مجالا أي قوة واحتمالا (قوله وأكثر في
السجع والشعر ارتحالا) بالحاء المهملة أي انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم في نوعي الكلام (قوله
صارخا بهم) أي حال كون النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن العظيم داعيا لهم ومناديا عليهم وقوله في كل حين أي

زمان من ليل ونهار منفردين أو مجتمعين تسجيلا عليهم بإنكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين وقوله ومقرعا بتشديد الراء المكسورة بعد القاف أي وموبخا لهم وقوله من الأعوام بضعا وعشرين بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا الثلاث على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين وعاش ثلاثا وستين وقوله على رؤس الملأ أجمعين من أشرافهم ورؤسائهم (قوله رئيا) أي ماسا من الجن قاله في المختار وقال في لسان العرب الرئي والرئي بفتح الراء وكسرها الجني يراه الانسان وتميم تقول رئي بكسر (٦٨) الراء والهمزة وقال الليث الرئي جني يتعرض للانسان يريه كهانة وطبا يقال مع فلان رئي وقال ابن الانباري رئي من الجن بوزن رمي وهو الذي يعتاد الانسان من الجن وقال ابن الاعرابي أرى الرجل اذا صار له رئي من الجن أي تابع فيقال للتابع من الجن رئي بوزن كمي وهو فعيل أو فعول سمي به لانه يتراءى لمتبوعه وقد تكسر راؤه لاتباعها ما بعدها اه (قوله وغيره) أي غير عتبة بن ربيعة وذلك مثل الوليد بن المغيرة وهو كافر هلك على دينه لقلة يقينه وكان سيد قريش في الفصاحة وهو والد خالد رضي الله عنه فقد روى البيهقي رحمه الله تعالى في قصته أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ على شيئا أنظر فيه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد على قراءتك فأعاد صلى الله عليه وسلم الآية فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله أصدق وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته وروى أبو نعيم من طريق ابن اسحق عن رجل من بني سلمة قال لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح رضي الله عنه لابنه معاذ أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل وكان معاذ أسلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما أحسن هذا وأجمله وكل كلامه مثل هذا فقال يا أبت وأحسن من هذا اه سيرة شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى وغيره (قوله من ذوي البلاغة البارعة) أي الفائقة اللائقة بيان للغير وقوله

وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وما ذاك الا ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وقد قطع صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يقدرون على معارضة القرآن حيث تحداهم به وقال لهم كما أمره الله تعالى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلى الله عليه وسلم بأن ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا الا أنه كان أعقل الرجال من أهل زمانه بل هو أعقل الخلق على الاطلاق فلكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بشئ من مثله وقال تعالى اظهارا لعجزهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا فهذا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيما لاعجاز القرآن والا فالتحدي انما وقع للانس دون الجن لانهم وان كانوا تتصور منهم المعارضة كما تقدم ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الأبية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من أهل الفصاحة والبلاغة بأنه لا يقدر أحد على معارضته وأنه ليس من كلام البشر فممن اعترف عتبة بن ربيعة وهو كافر قتل على كفره يوم بدر وذلك أنه ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا أو تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وان كان الذي يأتيك رئيا بذلنا أموالنا في طلب الطب لك فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ما وراءك فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وغيره من ذوي البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة قال في المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله تعالى وان البشر وغيرهم لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد

اصدق الخلق وأبرهم واتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة من
مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك واعلم أنه لا خلاف في أن القرآن بجملته معجز وانما
الخلاف في أقل ما يقع به الاعجاز من ابعاضه واختار جمهور أهل التحقيق ان أقله أقصر سورة منه
أو ثلاث آيات وقال القاضي عياض ان أقله سورة انا أعطيناك الكوثر أو آية أو آيات في قدرها
وظاهر الاول ان الآية أو الآيتين ليس معجزا وان عادل الثلاثة أو السورة في الطول كآية
الكرسي والدين والظاهر خلافه فالمعتمد ان الآية الطويلة معجزة كالثلاثة واختلف في وجه
اعجازه فقيل كون الله صرفهم عن الاتيان بمثله مع كونهم قادرين على ذلك وهذا القول يسمى
قول الصرفة والذي ذهب اليه الجمهور أن وجه اعجازه كونه في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة مع
اشتماله على الاخبار بالمغيبات ودقائق العلوم وأحوال المبدأ والمعاد وغير ذلك مما لا يحصى وهذا
هو الصحيح في وجه الاعجاز وان أردت بسط الكلام على هذا كله فانظر الشفاء وسيرة شيخنا وشيخ
مشايخنا رحمه الله تعالى (وهو) أي القرآن العظيم (أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم) ولا يخرج
عنه شيء منها غالبا والا فبعضها لم يذكر فيه بطريق الصراحة وان كان داخلا في عموم قوله تعالى ان
الله على كل شيء قدير وقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء (وادومها) أي معجزاته صلى الله عليه
وسلم وذلك (لبقائه الى يوم القيامة) شاهدا بصدق دعواه صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وبرشد
الى الايمان في كل زمان فمعجزة القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى
وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه منضما الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر
ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان وأما من قبله صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فخصه الله
تعالى من المعجزات بما يثبت به دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقضت معجزته كقلب
العصا حية واخراج اليد بيضاء في زمن موسى لان الغلبة فيه كانت بالسحر فأتاهم بما فوق ذلك
وفي زمن سليمان بالملك فأتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى بالطب فأتاهم بما هو أبهر منه
أعني احياء الموتى وفي حديث البخاري ما من نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي
أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الي وفي معناه قولان غير متنافيين يرجع حاصلهما الى ان معجزات
الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى وناقة صالح
فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيشاهدها كل من جاء بعد الاول
وانما كانت أكثر معجزات الامم السابقة حسية لبلادتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط
ذكائهم أنظر سيرة شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى تر العجب العجاب وحيث ذكر القرآن
العظيم فلنتبرك بنبذة من فضائله لتحفنا بركاته وأسراره وتفيض علينا خيراته وأنواره فنقول في
فضائل القرآن أحاديث كثيرة وآثار شهيرة فمن الاحاديث ما روى عن عثمان رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخاري ومنها ما روى عن
عائشة رضي عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام
البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران متفق عليه ومنها ما روى عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما
ويضع به آخرين رواه مسلم ومنها ما روى عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه ومنها ما روى عن ابن عباس رضي

وهو أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وادومها لبقائه الى يوم القيامة

والالفاظ الناصعة أي الخالصة من شوائب الركاكة لبلاغة مبانيها وفصاحة معانيها وقوله والكلمات الجامعة أي المعاني كثيرة في ضمن مبان يسيرة (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا أفاده في الخازن اه مؤلف

الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شئ من القرآن
كالبيت الخرب أخرجه الدارمي والترمذي وقال حديث صحيح ومنها ما روي عن أبي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن
ذكري ومسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله
على خلقه رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الايمان ومنها ما روي عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر
أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ومن الآثار ما روي عن أبي امامة
أنه قال اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن ومنها
ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا أردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الاولين
والآخرين وقال أيضا لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو
يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه
وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه انه قال بكل
آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة
بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال البيت الذي يتلى
فيه القرآن اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي
لا يتلى فيه القرآن ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين ومنها ما روي
عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى انه قال رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يارب ما أفضل والاسراء والمعراج
ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم
ومن المعلوم انه اذا كان بفهم أكمل لان ذلك هو الثمرة من قراءته هذا وقد جاء في حديث قدسي
من شغله القرآن عن دعائي ومسئلتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعل القرآن العظيم
ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وغمومنا وعيوبنا واشرح به صدورنا ويسر به أمورنا واجعله
حجة لنا ولا تجعله حجة علينا اللهم ارشدنا بحفظه واعذنا من نبذه وبغضه اللهم شرف به مقامنا في
محل الرحمة واكنفنا به في ظل النعمة وبلغنا به نهاية المراد والهمة وبيض به وجوهنا يوم الفترة
والظلمة اللهم فكما علمتنا تلاوته فاجعلنا ممن يقف عند أوامره ويستضئ بانوار جواهره ويستبصر
بغوامض سرائره ولا يتعدى نهي زواجره بجاه من أنزل عليه واخوانه الانبياء وكل منتم اليه آمين
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (و) من تلك المعجزات التي خص الله بها نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم (الاسراء) به صلى الله عليه وسلم ليلا على البراق وجبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والمعراج) به صلى الله عليه وسلم الى السموات
السبع الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله تعالى فيجب اعتقاد ما ذكر وانه كلمه ربه في هذه
الليلة المباركة ورأى ربه فيها بعيني رأسه رؤية تليق به سبحانه وتعالى كما تقدم في مبحث الرؤية
والحق انهما أعني الاسراء والمعراج كانا يقظة بروحه صلى الله عليه وسلم وجسده الشريف كما
أجمع عليه أهل القرن الثاني ومن بعده من الامة والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين فمن أنكره كفر والمعراج من المسجد الاقصى الى السموات
السبع ثابت بالاحاديث المشهورة ومنها الى الجنة ثم الى المستوى أو العرش أو طرف العالم من فوق
العرش على الخلاف في ذلك ثابت بخبر الواحد فمن أنكره لا يكفر لكن يفسق وقصتهما مشهورة

(و) من

(و) من تلك المعجزات التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (انشقاق القمر) فلقتين فقد نطق القرآن العزيز به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروى أحاديثه أصحاب السنن وغيرهم فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انشق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال كفار قريش هذا سحر فابعثوا الى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا مثل هذا أم لا فاخبر أهل الآفاق بأنهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فقد انشق نصفين وهو في السماء وان كان قد يسبق الى الوهم أنه نزل منها الى الجبل قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وقد أجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره (تنبيه) ماذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما انشق فرقتين دخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر وقال الآخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه فاجاب الاثنان مخطئان بل الصواب انه انشق وهو في موضعه من السماء وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه هكذا أثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم قاله شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته (و) من تلك المعجزات التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (تسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم) فقد روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان أبعث واني لاعرفه الآن قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في رسالته التي في مآثر الحرمين وفي الزقاق الذي فيه دار السيدة خديجة رضي الله عنها المعروف الآن بزقاق الحجر حجر كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ملصق بجدار بارز عن الحائط قليلا يتبرك الناس باسه مكتوب فوقه في حجر منزل في الجدار فوق الحجر المسلم

انا الحجر المسلم كل حين * على خير الورى فلي البشاره

فنلت فضيلة من ذي المعالي * خصصت بها وان من الحجاره

وكون هذا الحجر هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بالتواتر عند أهل مكة خلفا عن سلف وطبقة بعد طبقة وعصرا بعد عصر ونص على ذلك العلماء في كتبهم كالمحب الطبري والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية وغيرهما من العلماء الاعلام والحديث الذي ورد في تسليمه على النبي صلى الله عليه وسلم رواه الامام أحمد والترمذي وهو قوله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان أبعث وانما قال قبل ان أبعث لانه بعد البعثة سلم عليه كل الحجارة التي كان يمر بها كما روى ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتوهم بعض الناس ان مراده صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا يدل على أنه هو يعرفه لا غيره من الناس وأما الحجر الاسود

وانشقاق القمر وتسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

(قوله وان من الحجارة) أي وان نوعا من الحجارة يحصل له سعادة سرمدية وعناية ربانية مثل البشر فلا تعجب من تخصيص الله تعالى اياي بتلك الفضيلة وأنا حجر فكما ان ابن آدم فيهم سعيد وشقي كذلك الجماد والحيوان كما قاله المحققون العارفون فبعض الحجارة وردانها تدخل الجنة مع الابرار وبعضها يكون وقودا للنار فهذا الحجر لما سلم على النبي صلى الله عليه وسلم تحقق ظنه ورجاؤه بانه يحصل له الخير الاتم فنظم لسان حاله هذا النظم البليغ افتخارا بحصول الفضل والبشارة بسبب السلام على النبي الشفيع وبهذا تعلم ان حب الصالحين والالتجاء والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم ولا يخفى ما في كلامه من الاقتباس والاكتفاء اذ هو مقتبس من قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية اه مؤلف

فيعرفه كثير من الناس لاسيما وقد تواتر النقل فى جميع الاعصار انه هو هذا الحجر الملصق بجدار فى زقاق الحجر فلا شك فى ذلك بعد التواتر وتنصيص العلماء فى كتبهم على ذلك و يستجاب عنده الدعاء انتهى و روى الترمذى والدارمى والحاكم وصححه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال العلماء وانما كان هذا فى بدء نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته (و) من تلك المعجزات التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم) فقد روى ثابت ان أنس بن مالك قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ كفا من حصى فسبحن فى يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم فى يد عمر فسبحن ثم فى يد عثمان فسبحن ثم صبهن فى أيدينا فما سبحن (و) من تلك المعجزات التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (حنين الجذع) الذى هو ساق النخلة وحديثه مشهور متواتر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يصنع له المنبر يخطب عنده فلما صنع له المنبر انتقل اليه فسمع له كل من كان فى المسجد حنينا وصوتا عظيما حتى كادان ينشق أسفا على فراقه صلى الله عليه وسلم فضمه اليه فصار يئن انين الصبى الذى تضمه أمه اليها وتسكته عن بكائه ثم قال ان شئت اردك الى الحائط أى البستان الذى كنت فيه تنبت لك عروقك و يكمل لك خلقك و يتجدد لك خوص وثمر وان شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى اليه ليسمع ما يقول فقال بصوت يسمعه من يليه بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا بلاء فيه فقال قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن تحت المنبر وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه (و) من تلك المعجزات التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (ردعين قتادة حين سالت على خده) وذلك انه كان يتقى بوجهه السهام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد فاصاب عينه سهم فسالت على خده فاخذها بيده وسعى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفه دمعت عيناه وقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة فردها فى موضعها وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكان كذلك وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى (و) من تلك المعجزات التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (شهادة الضب بنبوته) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه اذ جاءه اعرابى وقد صاد ضبا فقال الاعرابى من هذا قالوا نبى الله فقال واللات والعزى لا آمنت به الا أن يؤمن هذا الضب وطرحه بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابى (و) من تلك المعجزات التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (غير ذلك) المذكور من القرآن وما بعده وذلك كرد الشمس له وسجود الحجر والشجر له وشهادتهما له بالرسالة وتسبيح الطعام وهو يأكل وسجود الغنم وطاعتها له

وتسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وحنين الجذع وردعين قتادة حين سالت على خده وشهادة الضب بنبوته وغير ذلك

وسجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف وحديث الحمار وأما حديث الظبية ففيه خلاف وتعظيم داجن البيوت له وانقيادها له وشهادتها عنده ونبع الماء الطهور والذي هو أفضل المياه من بين أصابعه وتفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته وبمسه لمحله ودعوته وتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه وكلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته وابراء ذوي العاهات ببركته وظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة واجابة دعائه لاناس دعا لهم أو عليهم واخباره بكثير من المغيبات وغير ذلك مما ذكره أهل السير ومنهم شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته مما لا تحصره النقول ولا تدركه العقول صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون النبوة ليست مكتسبة) أي لا يكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال كما زعمت الفلاسفة لعنهم الله تعالى فالذي ذهب اليه المسلمون جميعا ان النبوة خصيصة من الله تعالى لا يبلغ العبد ان يكتسبها بفسر ونها باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغ أم لا وهكذا الرسالة لكن بشرط ان يؤمر بالتبليغ وذهبت الفلاسفة الى ان النبوة مكتسبة للعبد بمباشرة أسباب خاصة ويفسرونها بانها صفاء وتجل للنفس يحدث لها من الرياضات بالتخلي عن الامور الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة فالخلاف بين المسلمين والفلاسفة في ان النبوة ليست مكتسبة مبني على الخلاف بينهما في معناها والقول باكتساب النبوة أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة وان لم تكن من المسائل المذكورة في النظم المشهور ويلزم على قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد أو معه وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة فقد قال تعالى وخاتم النبيين وقال عليه الصلاة والسلام لا نبي بعدي وأجمعت الامة على ابقائه على ظاهره وأما الولاية ففيها طريقتان والاظهر التفصيل فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك فتحصل من هذا ان النبوة لا تنال بالاكتساب (ولو فعل العبد في الخير أشق العبادات بل) هذا اضراب انتقالي لا ابطالي (ذلك) أي الاصطفاء للنبوة والاختيار للرسالة (فضل الله) الفضل اعطاء الشئ لغير عوض لا عاجل ولا آجل ولذا لا يكون لغيره تعالى (آتاه) أي أعطاه بمحض اختياره (لمن شاءه وأراده في الازل لذلك) ممن كان مستجمعا لشروط النبوة (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف ايضا اعتقادها (معرفة عدة الرسل عليهم الصلاة والسلام المتفق عليهم) الذين نص الله عليهم باسمائهم الاعلام (المذكورين في القرآن) العزيز (تفصيلا) والجمع الذين يجب علينا معرفتهم تفصيلا من الانبياء خمسة وعشرون كما سيأتي في النظم ومعنى كون معرفتهم واجبة تفصيلا انه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته فمن أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته كفر والعياذ بالله تعالى لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر الا ان أنكر بعد تعليمه فيجب على العامي البحث عن أسمائهم حتى يعرفهم فاذا عرفهم وأنكر نبوة واحد منهم بعد التعريف له فهو كافر وليس المراد من ذلك انه يجب حفظ اسمائهم خلافا لمن زعم ذلك وأما المختلف في نبوتهم وهم مذكورون في القرآن فثلاثة ذو القرنين ولقمان وعزير وأما الخضر فلم يصرح باسمه في القرآن وان كان هو المراد بقوله تعالى عبدا من عبادنا وكذلك يوشع بن نون فتى موسى المعبر عنه بقوله تعالى واذ قال موسى لفتاه ولم يصرح باسمه في القرآن أما لقمان

ومنها كون النبوة
ليست مكتسبة ولو فعل
العبد في الخير أشق
العبادات بل ذاك فضل
الله آتاه لمن شاءه وأراده
في الازل لذلك ومنها معرفة
عدة الرسل عليهم الصلاة
والسلام المتفق عليهم
المذكورين في القرآن
تفصيلا

(قوله في النظم المشهور)
هما بيتان ذكر فيهما
كفرهم بثلاثة أمور
وقد يلتهما ببيت واحد
زدت فيه كفرهم بامر
رابع وهو المذكور
هنا وهو قولهم ان النبوة
مكتسبة ونص الجميع
بثلاثة كفر الفلاسفة
العدا
اذ أنكروها وهي حقا
مثبته
علم بجزئي حدوث عوالم
حشر لاجساد وكانت
ميته
ويزاد قولهم بكسب
نبوة
عبد السلام وغيره قد
أثبته
اه مؤلف

وذو القرنين فالصحيح انهما وليان لا نبيان وأما عزير والخضر فالصحيح انهما نبيان وعلى القول بانهما رسولان ليس ذلك مجمعا عليه والكلام في المجمع على رسالتهم على ان الخضر لم يذكر باسمه كما علمت فمن أنكر وجود هؤلاء كفر ومن أنكر نبوتهم لا يكفر لما علمت من أنه ليس مجمعا عليها وأما يوشع بن نون فرسول وكان هو الخليفة من بعد موسى بن عمران بمعنى انه صار نبيا مرسلا بعده وكل من جاء بعد موسى عليه الصلاة والسلام من أنبياء بني اسرائيل كان يدعو الناس الى شرع موسى فهم كالعلماء في هذه الامة (وأما غيرهم) أي غير الرسل المذكورين في القرآن (فلا يجب علينا المعرفة بهم تفصيلا لانه لا يعلم عددهم بالتفصيل الا الله تعالى) وقيل وردت روايات في عددهم وعدد الانبياء فروى أن الرسل ثلاثمائة وثلاث عشر وفي رواية وأربعة عشر وفي رواية وخمسة عشر وروى ان الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وفي رواية وخمسة وعشرون ألفا وروى انهم ألف ألف ومائتا ألف وفي رواية وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والصحيح فيهما الامساك عن حصرهم في عدد لانه ربما أدى الى اثبات الرسالة او النبوة لمن ليس كذلك في الواقع أو الى نفي ذلك عمن هو كذلك في الواقع ودليل الامساك عن حصر الرسل في عدد ما (قال جل وعلا) في كتابه العزيز في سورة غافر (منهم) أي الرسل (من قصصنا عليك) أي اخبارهم (ومنهم) أي الرسل (من لم نقصص عليك) أي لا أخبارهم ولا ذكرناهم لك باسمائهم وان كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة فاذا ثبت عدم حصر الرسل بالنص الشريف فعدم حصر الانبياء من باب اولى (لكن يجب علينا الايمان بهم اجمالا) بان نعتقد ان لله رسلا وانبياء متصفين بالصدق والفطانة والامانة والتبليغ بالغين في الكثرة لا يعلم عددهم الا الله تعالى (وقد نظم) العبد الواثق بمولاه الراجي عفوه ورضاه من بحر الطويل (عدة أولئك الرسل) الخمسة والعشرين المذكورين في القرآن الذين يجب علينا معرفتهم على التفصيل ذاكرا كل واحد منهم باسمه ومتوسلا بهم ومقدما أولي العزم منهم على ترتيبهم في الفضل ولم ألاحظ الترتيب في البقية لما سيأتي انهم متفاضلون عند الله تعالى فيما بينهم فيمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف فقلت وبه سبحانه وتعالى في بلوغ مرامي اعتضدت

سألتك ربي بالشفيع محمد * كذلك بابراهيم موسى ذوي المجد
فعيسى فنوح ثم آدم صالح * وذي الكفل هود ثم ادريس ذي الزهد
واسحق اسمعيل يعقوب يوسف * وهارون داود سليمان ذي الرفد
كذا زكريا ثم يحيي ويونس * شعيب والياس كذا اليسع ذو الرشد
وأيوب مع لوط عليهم جميعهم * صلاة وتسليم من الواحد الفرد
فتوحا واخلاصا وعيشا منعما * وعونا وتوفيقا أنال به قصدي
وان تحسن العقبى مع اللطف في القضا * وتمنحنا عمرا طويلا مع السعد

ونظمهم (بعضهم) من بحر البسيط ذاكرا اسماء سبعة منهم فقط ومشيرا للبقية (في قوله) أي الناظم رحمه الله تعالى (حتم) أي محتم وواجب (على كل ذي) أي صاحب (التكليف) وهو من اتصف بالبلوغ والعقل وسلامة الحواس وبلوغ الدعوة كما تقدم وقوله حتم خبر مقدم و(معرفة*) أي تصديق مبتدأ مؤخر و(بانبياء) أي ورسل ففيه حذف الواو مع ما عطفت أو انه جرى على القول بالترادف بين معنى النبي والرسول (على التفصيل) متعلق بمعرفة (قد علموا*) أي علم واشتهر الانبياء والرسل الخمسة والعشرون أي من القرآن لكن (في)

وأما غيرهم فلا يجب علينا المعرفة بهم تفصيلا لانه لا يعلم عددهم بالتفصيل الا الله تعالى قال جل وعلا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك لكن يجب علينا الايمان بهم اجمالا وقد نظم عدة أولئك الرسل بعضهم في قوله
حتم على كل ذي التكليف معرفة
بانبياء على التفصيل قد علموا* في

(قوله وقد نظم العبد الواثق بمولاه الخ) هو الشارح عبد المجيد حفظه المجيد بدليل قوله بعد ولم الاحظ وقوله فقلت وقوله اعتضدت وانما أتى بالالتفات ليحسن امتزاج الشرح بالمتن

آية و (تلك حجتنا) التي في سورة الانعام (منهم) أي من الانبياء والمرسلين المذكورين فيها (ثمانية * من بعد عشر) أي ثمانية عشر وذلك قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق و يعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب و يوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع و يونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين قال الجمل على الجلالين نقلا عن الخازن اعلم ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل ولكن هنا لطيفة أوجبت الترتيب هنا وهي ان الله خص كل طائفة من الانبياء بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق و يعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم يرجع حسبهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه أيوب ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف فانه صبر على البلاء والشدة حتى اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في فضل الانبياء كثرة المعجزات وكثرة البراهين وقد خص الله موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر ومن المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا وقد خص الله بذلك زكريا و يحيى وعيسى والياس ثم ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ولوط فاذا اعتبرت هذه اللطيفة كان هذا الترتيب حسنا والله أعلم بمراده واسرار كتابه انتهى (و يبقى سبعة) بتقديم السين المهملة أي و يبقى من الخمسة والعشرين بعد ثمانية عشر سبعة مذكورة في مواضع كثيرة في القرآن العظيم ولذلك ذكرهم بقوله (وهمو *) بواو الاشباع سيدنا (ادريس) الذي رفعه الله تعالى مكانا عليا قال السيوطي رحمه الله تعالى في التحبير وغيره وهو جد أبي نوح ولد في حياة آدم قبل موته بمائة سنة و بعث بعد موته بمائتي سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فتكون جملة عمره أربعمائة وخمسين سنة وكان بينه و بين نوح ألف سنة وادريس لقبه واسمه اخنوخ بن شيث بن آدم لصلبه ولقب بذلك لكثرة درسه للكتب وذلك لان الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها وكان يصوم الدهر وكان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب وهو أول من لبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر في علم النجوم والحساب انتهى حواشي الجلالين وسيدنا (هود) الذي نجاه الله تعالى من الريح العقيم التي أهلكت عادا الا المؤمنين كما ذكر الله تعالى قصته في القرآن وهو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاش أربعمائة وأربعا وستين سنة كما في التحبير واعلم اني زدت الواو قبل لفظ هود للاشارة الى انه على حذف العاطف وكذا ما بعده وسيدنا (شعيب) قيل هو ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال الشيخ الصاوي رحمه الله تعالى في حاشيته على الجلالين عند قوله تعالى وأبونا شيخ كبير نقلا عن شيخه الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على فضائل رمضان للاجهوري نقلا عنه في شرح خطبة الشيخ خليل تتمة عاش شعيب نبي الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق وفي رواية وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب وفي رواية انه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اه بحروفه فعلى هذا فهو أطول الناس عمرا وعليه فما اشتهر ان

تلك حجتنا منهم ثمانية *
من بعد عشر و يبقى
سبعة وهمو
ادريس هود شعيب

نوحا أطول الناس عمرا ينبغي ان يراد من الناس ما عدا شعيبا أو يقال كما يؤخذ من حاشية العلامة الصاوي أيضا في أوّل سورة نوح أن مراد من قال ان نوحا عليه السلام أطول الناس عمرا انه كذلك بالنسبة الى من ثبت عمره بالدليل القطعي المفيد لليقين وأما عمر شعيب عليه السلام فهو برواية الآحاد وهي لا تفيد اليقين اطال الله اعمارنا في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم مع السعد عنه وكرمه وشعيب هذا هو صهر موسى عليه السلام كما قص الله ذلك في سورة القصص وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم وكان الله وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله ولما أراد الله اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره المفسرون قال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين أصحاب الايكة والايكة كانت من شجر ملتف وأهل مدين فاهلك الله أصحاب الايكة بالظلة وهي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا أجمعين كما في القرآن وقال بعض العلماء كان قوم شعيب عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم في الرزق حتى اذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون ان يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا عليها الهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة وأما أهل مدين فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا أجمعون وانجى الله تعالى شعيبا ومن معه من المؤمنين نعوذ بالله من مكره وسخطه اللهم لا تأمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين آمين بجاه الامين وسيدنا (صالح) الذي أخرج الناقة من الصخرة معجزة بدعوته ونهى قومه عن أن يعقروها فعقروها وهو ابن عبيد بن أسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاربن سام بن نوح وكان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة كما في التحبير (وكذا* سيدنا (ذو الكفل) هذا لقبه سماه الله تعالى به لانه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وان يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى واسمه بشر بن أيوب المبتلى ابن اموص بن رزاح بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم وقيل هو الياس وقيل زكريا والصحيح انه نبي لان الله تعالى قرن ذكره باسمعيل وادريس في سورة الانبياء بقوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وباسمعيل واليسع في صورة ص بقوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار قال السيوطي رحمه الله تعالى في التحبير روى الحاكم عن وهب ان الله تعالى بعث بعد أيوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة جلالين وحواشيه وأبونا (آدم) أبو البشر والخليفة الاوّل باعتبار عالم الاجساد وأما باعتبار عالم الارواح فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال بعض العارفين رحمه الله تعالى

فاني وان كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بابوّتي

وهو مأخوذ من أديم الارض لخلقه من جميع اجزائها وكانت ستين جزأ ولذلك كانت طباع بنيه ستين طبعا وكفارة الظهار والصوم ستين وعاش من العمر تسعمائة وستين وما مات حتى رأى من أولاده مائة ألف عمروا الارض بانواع الصنائع وأما مدة اقامته في الجنة فلا تحسب انتهى صاوي على الجلالين (بالمختار) الذي هو سيدنا ونبينا محمد شفيع المذنبين والجار والمجرور متعلق بالفعل

*(قوله لانه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) أي فكان يصوم النهار ويصلي بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام الا تلك النومة فامتحنه ابليس لينظر هل يغضب أم لا فاتاه ابليس حين أخذ مضجعه فدق عليه الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له اذا قعدت للحكم فائتني أخلص حقك فلما جلس للحكم لم يجده فلما رجع الى القائلة من الغد أتاه ودق الباب فقال له من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك اذا قعدت للحكم فائتني فقال ان خصومي أخبث قوم اذا علموا انك قاعد قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدوني فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة جاءه ابليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له اتنام والخصوم ببابك فعرف انه عدو الله وقال فعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله اه صاوي على الجلالين (قوله والصحيح انه نبي) قيل بعث الى رجل واحد اه صاوي بعده

بعده وهو ختموا من قوله (قد ختموا*) أي وقد ختم الانبياء والرسل عددا ووجودا بالنبي المختار على جميع الخلق صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى حديث ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فانا خيار من خيار من خيار وكان مقتضى صدر الحديث ان يزاد في عجزه من خيار ويكون حينئذ لفظ خيار الاول كناية عنه صلى الله عليه وسلم والثاني كناية عن بني هاشم والثالث كناية عن قريش والرابع كناية عن كنانة وأجيب بان العرب لا تكرر شيأ زيادة على الثلاث (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون سيدنا وشفيعنا) ومولانا (محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق) أي أفضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة في سائر خصال الخير والكمال وأفضليته صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقات مما أجمع عليه المسلمون حتى المعتزلة فهو مستثنى من الخلاف في التفضيل بين الملائكة والبشر ولا عبرة بما زعمه الزمخشري من تفضيل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم فقد خرق في ذلك الاجماع وانما كان صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقات لقوله صلى الله عليه وسلم أنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وقوله ولا فخر اخبار بالواقع ولان أمته أفضل الامم لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا وخيارا ولا يخفى ان خيرية الامة انما هي بحسب كمالها في الدين وذلك تابع لكمال نبيها الذي هو سببه فتفضيلها تفضيل له وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى ولا تفضلوني على الانبياء ونحوه فمعناه لا تخيروني تخيير مفاضلة تؤدي الى تنقيص المفضول لا مطلق التخيير والتفضيل اذا علمت ذلك (فيجب اعتقاد ذلك) أي كونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق (لكن مع عدم ملاحظة تنقيص غيره من الانبياء) والرسل والملائكة (عليهم الصلاة والسلام) وان كان يلزم من تفضيله صلى الله عليه وسلم عليهم انهم أقل مرتبة منه لكن لا ينبغي ملاحظة تلك الاقلية لئلا يلزم تنقيص أحد منهم بل ينبغي ملاحظة واعتقاد كمال الشرف والتنزيه للجميع كما تقدم بسط ذلك واعلم ان الذي حققه العلماء الاعلام كالعلامة الملوي واليوسي والسنوسي في شرح صغرى الصغرى نقلا عن ابن عباد رحمهم الله تعالى ان تفضيله صلى الله عليه وسلم على سائر من ذكر من الانبياء والرسل والملائكة بتفضيل من الله تعالى لا بسبب زيادة كمالاته كما أو كيفا عن كمالاتهم وان جزمنا بتلك الزيادة ومن أين لنا انها سبب التفضيل حتى ندعي ذلك ولذلك يقولون قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل فللسيد ان يفضل من شاء على من شاء على ان تلك الزيادة في الكمالات ليست الا بمحض فضل الله فهو الذي وهبه اياها فرجع الامر الى محض الفضل (وكذا) أي يجب اعتقاد أفضلية كل فاضل مع عدم ملاحظة تنقيص المفضول وهذا (يقال في كل مفاضلة) وقعت بين الرسل أو الانبياء أو الملائكة أو الصحابة أو نحو ذلك سواء وقع التفضيل بين نوع ونوع آخر كالنبي مع الملك أو بين افراد نوع واحد كنبي مع نبي أو ملك مع ملك وصحابي مع صحابي والحاصل أنه ينبغي لمن سمع أو حكم بالمفاضلة بين الانبياء ونحوهم ان يتأدب غاية الادب ولا يلاحظ نقصا في المفضول وان كان ذلك حاصلا باللزوم بالنظر للفاضل فهو نسبي لكن لا ينبغي له ملاحظته بل يلاحظ كمال الشرف للجميع كما مر تفصيل ذلك والله ولي التوفيق وهو الهادي لاقوم طريق (ويليه) أي سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم في لافضلية بقية أولي العزم) أي الصبر وتحمل المشاق (وهم سيدنا ابراهيم) الذي اصطفاه الله

قد ختموا
ومنها كون سيدنا
وشفيعنا محمد صلى الله
عليه وسلم أفضل الخلق
على الاطلاق فيجب
اعتقاد ذلك لكن مع
عدم ملاحظة تنقيص
غيره من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وكذا
يقال في كل مفاضلة
ويليه صلى الله عليه وسلم
في الافضلية بقية أولي
العزم وهم سيدنا ابراهيم

بالنبوة والرسالة والخلة وأنعم عليه بالعلم ورفع الدرجات واجابة الدعوة وانجاه من النار وجعلها
عليه بردا وسلاما حيث جاهد فى الله حق جهاده وأتم عليه النعمة حيث جعل فى ذريته النبوة الى
يوم القيامة الذين منهم من لولاه ما خلقت الا كوان سيدنا محمد سيد ولد عدنان وردان سيدنا
ابراهيم أول من اختتن وأول من قص الشارب وأول من قلم الاظفار وأول من رأى الشيب فلما
رآه قال يارب ماهذا قال الوقار قال يارب زدنى وقارا وابراهيم اسم أعجمى وتعريبه اب رحيم وهو ابن
تارخ بن ناخور بن شاروخ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ولد سيدنا
ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما فى التحبير للسيوطى رحمه الله تعالى على رأس الفى سنة من آدم
بينه وبين نوح عشرة قرون وهى ألف سنة وعاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة حواشى
الجلالين (فسيدنا موسى) الذى اصطفاه الله بالرسالة والكلام وقام لربه حق القيام وأجاب دعوته
ونصره على أعدائه اللئام وموسى اسم أعجمى وهو فى الاصل مركب والاصل موشى بالشين لان الماء
بالعبرانية يقال له مو والشجر يقال له شى فغيرته العرب وقالوه بالسين سمى بذلك لان فرعون أخذه
من بين الماء والشجر حين وضعته أمه فى الصندوق والقته فى اليم كما فى سورة القصص وهذا
بخلاف موسى الحديد فانه عربى مشتق من أوسيت رأسه اذا حلقته وموسى هو ابن عمران بن
يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولد موسى كما فى
التحبير على رأس خمسمائة وخمس وستين سنة من ابراهيم وعاش موسى مائة وعشرين سنة حواشى
الجلالين (فسيدنا عيسى) الذى بشر بنبينا صلى الله عليه وسلم وفاز بمحبته وسيقضى بشريعته
فى آخر الزمان وايده الله بروح القدس وجعله يكلم الناس وهو فى المهد وكهلا فتكلم فقال انى عبد
الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الآية وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعله يخلق
من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذنه سبحانه وتعالى ويبرئ الاكمه والابرص ويحيى
الموتى الى غير ذلك مما قصه الله فى كتابه وعيسى مأخوذ من العيس وهو البياض المشرب بحمرة
لانه كان كذلك اسمه والمسيح لقبه وكنيته ابن مريم بنت عمران وهو كما فى روح البيان ابن
ماثان بن العادر بن أبى هود بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشا بن أموذ بن ميشك بن
حارقا بن يونام بن عزريا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما
الصلاة والسلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون بن ياعر بن نحشون بن عميادب بن دام بن خضروم بن
فارض بن يهود بن يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام واعلم أن عمران الذى له بنت مسماة
بمريم يطلق على شخصين أحدهما عمران بن يصهر أبو موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام
وكان له بنت تسمى مريم أكبر من موسى وهارون وهذا أقدم ميلادا وثانيهما عمران بن ماثان
أبو مريم البتول أم سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة
قال الصاوى على الجلالين والحق الذى اعتمده الاشياخ أنه مارفع سيدنا عيسى عليه السلام الا بعد
مضى مائة وعشرين سنة وجاءته النبوة على رأس الاربعين كغيره ولما رفع كساه الله خلعة
النور وسلبه شهوة الطعام والشراب والنوم وجعل له ريشا يطير به كالملائكة فهو حكمهم واذا
نزل الى الارض يمكث قيل أربع سنين وقيل أربعين سنة فيكون عمره على هذا مائة وستين سنة
(فسيدنا نوح) الذى انجاه الله من الطوفان ونصره على أهل البغى والبهتان واصطفاه باطالة عمره
وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته فى حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء ونوح لقبه
واسمه الاصلى عبد الغفار وقيل السكن بن لمك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف وقيل ملكان

فسيدنا موسى فسيدنا عيسى فسيدنا نوح

بفتح

بفتح الميم وسكون اللام وبالنون بعد الكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وبالخاء المعجمة فهو بوزن متدحرج ابن ادريس بن شيث بن آدم ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه حيث دعا على قومه فهلكوا وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان وقيل غير ذلك وهو أول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وأول رسول أرسل بالنهي عن الشرك لان الشرك انما حدث في زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها وكان نجارا وصنع السفينة في عامين ولد نوح كما في التحبير على رأس الف ومائة سنة من آدم وبعث وهو ابن أربعين سنة على الصحيح ومكث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة فتكون مدة عمره الفا وخمسين سنة فهو أطول الناس عمرا على ما تقدم عند ذكر شعيب عليه السلام أطال الله أعمارنا على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بمنه وجوده آمين (و) اعلم انه (قد نظم بعضهم أسماء) الانبياء (أولي العزم على ترتيبهم) في الافضلية (في بيت) واحد من بحر الطويل (فقال) رحمه الله تعالى وقلت بيتا دخولا عليه

لقد جاء تفضيل لخمسة أنبيا * وترتيبهم فضلا لابيت منتظم

(محمد ابراهيم موسى كليمه * فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم)

وهم) أي بقية أولي العزم (في الافضلية على هذا الترتيب) الذي في النظم (ويلي أولي العزم في الافضلية بقية الرسل) غير أولي العزم عليهم الصلاة والسلام (ثم) يلي بقية الرسل في الافضلية (بقية الانبياء) غير الرسل (مع تفاوت مراتبهم عند الله تعالى) أي فهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى واذا كان كذلك فالواجب اعتقاد أفضلية الافضل على طبق ما ورد به الحكم تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ويمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف (فائدة) كل من في القرآن العظيم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو من نسل ابراهيم صلى الله وسلم عليه سوى خمسة نظم ذلك بعضهم فقال

وكل نبي في القرآن فانه * لمن نسل ابراهيم ذي الحلم والتقى

سوى خمسة لوط وهود وصالح * ونوح وادريس الذي فاز بالبقا

(ثم) يلي بقية الانبياء في الافضلية (رؤساء الملائكة وهم جبريل فميكائيل فاسرافيل فعزرائيل) فهم في الافضلية على هذا الترتيب كما يشير الى ذلك تعبيره رحمه الله تعالى بالفاء (ثم) يلي رؤساء الملائكة في الافضلية (عوام البشر وهم أولياؤهم غير الانبياء كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وليس المراد بعوام البشر ما يشمل الفساق) فان الملائكة افضل منهم على الصحيح وعوام البشر المذكورون أفضل من عوام الملائكة وهم غير الرؤساء ولذا قال رحمه الله تعالى (ثم) يلي عوام البشر في الافضلية (عوام الملائكة) وهم من عدا الرؤساء الاربعة المتقدم ذكرهم أعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام كحملة العرش والكروبيين (وهم) أي عوام الملائكة (متفاضلون عند الله تعالى فيما بينهم) أي فيمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف (وهذه الطريقة) التي سلكها رحمه الله تعالى في التفضيل المذكور بين المذكورين (هي الراجحة) وهي طريقة الماتريدية وأما الطريقة المرجوحة فهي التي تجعل فضيلة الملائكة رؤساء وغيرهم تلي الانبياء وهي طريقة جمهور الاشاعرة فان قيل يلزم على الطريقة الراجحة تفضيل غير المعصوم على المعصوم أجيب بأن العصمة لا دخل لها في التفضيل فلا يشترط لها فيه وانما ينظر للاكثرية في الثواب على العبادة فعوام البشر أكثر ثوابا من عوام الملائكة لحصول المشقة لعوام

وقد نظم بعضهم أسماء أولي العزم على ترتيبهم في بيت فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

وهم في الافضلية على هذا الترتيب ويلي أولي العزم في الافضلية بقية الرسل ثم بقية الانبياء مع تفاوت مراتبهم عند الله تعالى ثم رؤساء الملائكة وهم جبريل فميكائيل فاسرافيل فعزرائيل ثم عوام البشر وهم أولياؤهم غير الانبياء كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وليس المراد بعوام البشر ما يشمل الفساق ثم عوام الملائكة وهم متفاضلون عند الله تعالى فيما بينهم وهذه الطريقة هي الراجحة

البشر في عبادتهم بخلاف عوام الملائكة فان جبلتهم الطاعة فلا يحصل لهم فيها مشقة (وأصحاب سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل القرون) المتأخرة والمتقدمة ماعدا الانبياء والرسل لحديث ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين ولحديث الله الله في أصحابي لاتتخذوهم غرضا من بعدي فوالذي نفسي بيده لوانفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه ولا يخفى ترجيح رتبة من لازمه صلى الله عليه وسلم وقاتل معه وقتل تحت رايته على من لم يكن كذلك وان كان شرف الصحبة حاصلا للجميع (وأفضلهم) أى الصحابة (من تولى الخلافة العظمى) وهى النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المسلمين وقد قدر صلى الله عليه وسلم مدتها بقوله الخلافة بعدى ثلاثون أى سنة ثم تصير ملكا عضوضا أى ذا عض وتضييق لان الملوك يضرون بالرعية حتى كأنهم يعضون عضا فالمراد انه ذو تضييق ومشقة على الرعية (والنفر الذى وليها) أى الخلافة العظمى (الخلفاء الاربعة) فتولاها أبو بكر رضى الله عنه وكرم وجهه سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام وتولاها عمر رضى الله عنه عشر سنين وستة اشهر وثمانية أيام وتولاها عثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة أيام وتولاها على رضى الله عنه وكرم وجهه أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام فالمجموع تسعة وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام فلم تكمل المدة التى قدرها النبي صلى الله عليه وسلم الا بايام الحسن بن على رضى الله عنهما كذا حرره السيوطى والى هذا التفضيل ذهب الجمهور خلافا لما نقله المازنى عن طائفة من عدم المفاضلة بين الصحابة (وشأنهم) أى الخلفاء الاربعة (فى ترتيبهم فى الفضل) بمعنى كثرة الثواب (على حسب ترتيبهم فى الخلافة فافضلهم) أى الخلفاء الاربعة بل افضل ماعدا الانبياء والمرسلين صديق هذه الامة واسبقها الى الاسلام وامام العشرة المبشرين بالجنة (سيدنا أبو بكر الصديق) رضى الله عنه وكرم وجهه كما صح به حديث ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وهو صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما من الدين بالضرورة كما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى فى شرح الهمزية نقلا عن الاشعرى رحمه الله تعالى فلذا لم يسع أحدا من المبتدعة انكاره وهو الامام ابو بكر الصديق ابن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن عمرو بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى فيلتقى نسبه رضى الله عنه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم فى كعب بن مرة كان اسم أبى بكر فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فابو بكر كنيته واشتهر بها وكنى بها لابتكاره الخصال الجيدة قال الزرقانى ولم أقف على من كناه به وهل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره ويلقب بعتيق فقيل لجماله وعتاقة وجهه وقيل لانه لم يكن فى نسبه شئ يعاب به وقيل لقدمه فى الخير وسبقه الى الاسلام وقيل ان أمه استقبلت البيت وقالت اللهم ان هذا عتيقك من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد وقيل لان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بان الله أعتقه من النار فقال من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى هذا مشيرا الى أبى بكر الصديق كرم الله وجهه ولقب بالصديق لمبادرته الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نبوته ورسالته وفى كل ماجاء به من غير تلعثم كخبر الاسراء والمعراج أى من غير تأن وتردد فيما أخبر به فهو قد كان أشد الناس تصديقا له وقد جاء فى تفسير قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ان الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه وروى الطبرانى ان عليا كرم الله وجهه كان

وأصحاب سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل القرون وأفضلهم من تولى الخلافة العظمى والنفر الذى وليها الخلفاء الاربعة وشأنهم فى ترتيبهم فى الفضل على حسب ترتيبهم فى الخلافة فافضلهم سيدنا أبو بكر الصديق

***

(قوله فلم تكمل المدة التى قدرها النبي صلى الله عليه وسلم الا بايام الحسن بن على رضى الله عنهما) فان قلت يؤخذ من هذا ان خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه من الملك العاض قلت هى وان كانت كذلك غير ضارة فى معاوية رضى الله عنه فانه كان مجتهدا مأجورا على اجتهاده للحديث الصحيح ان المجتهد اذا اجتهد فاصاب فله أجران وان اجتهد واخطأ فله أجر واحد ومعاوية رضى الله عنه مجتهد بلا شك فاذا اخطأ فى تلك الاجتهادات كان مثابا وكانت غير نقص فيه وان سمى ملكه المشتمل عليها عاضا ثم رأيت حديثا مصرحا بان ملك معاوية وان كان عاضا من وجه فهو رحمة ولفظه عن ابن عباس رضى الله

يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وهو أوّل من أسلم من الرجال وأوّل من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول طائفة من أهل العلم بالسير والخبر وأوّل من هاجر معه صلى الله عليه وسلم فهو من المهاجرين الاوّلين شهد بدرا وأحدا وبيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض وأسلمت أمه قديما والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الارقم المعروف الآن بدار الخيزران واسلم أبوه أبو قحافة عام الفتح رضي الله عنهم ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل وهو عام ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين على الصحيح وبويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم ومكث فيها كما تقدم سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال على الصحيح فقام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك وشدته مع لينه ما لم يحتسب فاظهر الله به الدين وقتل على يديه وببركته كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر امر الله وهم كارهون وكانت وفاته رضي الله عنه يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفن في بيت عائشة رضي الله عنها فعمره ثلاث وستون سنة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وقيل عبد ذليل لرب جليل وقد ورد في حقه رضي الله عنه آيات كثيرة واحاديث شهيرة ليس هذا محل سردها وان أردت الوقوف عليها فانظر الصواعق لابن حجر رحمه الله الفتح والمبين في فضائل الخلفاء الراشدين لشيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى وغيرهما ولما كان من الآداب المستحبة الترضي على كل خير سيما اذا كان صحابيا متى ذكر أتى المصنف رحمه الله تعالى بذلك مراعاة لتلك الآداب فقال (رضي الله عنه) أي باعد السخط عنه بواسطة الرضا فمعنى الرضا عدم السخط والمراد به في حقه تعالى لازمه وهو الانعام أو ارادته فهو صفة فعل على الاوّل وصفة ذات على الثاني وهو أعلى رتبة من العفو والمغفرة لان العفو محو الذنب وعدم العقوبة عليه وان لم يكن معه انعام والمغفرة ستره وعدم العقوبة عليه وان لم يمح ولذلك قال بعض العارفين في دعائه اللهم ارض عنا وان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض اللهم أدم رضاك علينا (ومن أنكر صحبته) أي أبي بكر (فقد كفر والعياذ بالله تعالى) من ذلك كما نص عليه الشافعي رضي الله عنه وغيره (وذلك) لمخالفته (لنص القرآن عليها) أي على صحبته (في قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا.) وصريح كلامهم ان انكار صحبة غير أبي بكر لا يكون كفرا ولذلك قال رحمه الله تعالى (بخلاف)

رضي الله عنه ومن أنكر صحبته فقد كفر والعياذ بالله تعالى وذلك لنص القرآن عليها في قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بخلاف ﷺ عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول هذا الامر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا ورحمة ثم يكون امارة ورحمة ثم يتكادمون عليها تكادم الحمر فعليكم بالجهاد وان افضل جهادكم الرباط وان افضل رباطكم عسقلان رواه الطبراني ورجاله ثقات وهو صريح فيما ذكرته اذ الملك الذي بعد الخلافة هو ملك معاوية وقد جعله رحمة ففيه عض ورحمة باعتبار لكن الظاهر باعتبار ما وجد في الخارج ان الرحمة في ملك معاوية اظهر والعض فيما بعده اظهر الا ولاية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فانه ملحق بالخلفاء الراشدين وكذلك ابن الزبير رضي الله عنه واما (٨١) ما يستبيحه بعض المبتدعة من سب معاوية رضي الله عنه فله فيه أسوة اي اسوة بالشيخين وعثمان وأكثر الصحابة فلا يلتفت لذلك ولا يعول عليه فانه لم يصدر الا من قوم حمقى جهلاء أغبياء طغاة لا يبالي الله بهم في أي واد هلكوا واثم اعلم ان ايام سيدنا معاوية رضي الله عنه وان أطلق عليها انها ملك بمقتضى ما سبق لا يخرج بذلك عن كونه خليفة حق وامام صدق تجب طاعته ولا يجوز الخروج عليه فهو رضي الله عنه من حين نزول الحسن رضي الله عنه له واجتماع أهل الحل والعقد عليه صار خليفة حق مطاعا يجب له من حيث الطواعية والانقياد ما يجب للخلفاء الراشدين قبله فلا يتوهم من كون أوّل الملوك معاوية انه لا خلافة له على أنه ثبت في حديث

سنده حسن سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الامة من خليفة قال اثنا عشر كعدة نقباء بني اسرائيل ومعاوية منهم بلا شك لان الائمة قد اتفقوا على ان عمر بن عبد العزيز منهم ومعاوية رضي الله عنه أفضل منه كما سيأتي عن ابن المبارك وغيره فليكن منهم أيضا وصح حديث لا يزال أمر أمتي صالحا حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ولا ريب ان معاوية رضي الله عنه منهم لما تقدم أفاد هذا كله ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان والصواعق المحرقة لاخوان البدع والزندقة وهما كتابان جليلان فانظرهما وانظر أيضا كتاب شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى المسمى بالفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وكتاب العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي المدني رحمه الله تعالى المسمى بالنواقض للروافض تر هامشحونة بقصم شبه الطغاة الفاسقين

من انكر صحبــة (غيره) من الاصحاب فلا يكفر واختار بعضهم ان انكار صحبة غيره المجمع عليها
المعلومة من الدين بالضرورة كفر و يجاب بان شرط انكار المجمع عليه الضروري ان يرجع
لتكذيب أمر يتعلق بالشرع كما في انكار مكة بخلاف مالا يتعلق به وانكار صحبة أبي بكر فيها
تكذيب القرآن بخلاف انكار صحبة غيره فانه لا يتعلق به ذلك و يلي سيدنا أبا بكر الصديق في
الفضل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بفاء العطف الدالة
على الترتيب والتعقيب هنا وفيما يأتي فقال (ف) سيدنا أبو حفص من قوله الفصل في الاحكام الذي
أظهر الله به الاسلام (عمر) الفاروق بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بالمثناة تحت ابن
عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي (رضي الله عنه) فيلتقي
نسبه رضي الله عنه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي وأمه حنتمة بنت هاشم بن
المغيرة أخي والد أبي جهل هشام بن المغيرة وكان اسلامه رضي الله عنه عزا أظهر الله به الاسلام
وكان بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين
اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين فكمل الله
به الاربعين وصح انه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وهو رضي
الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة وهاجر رضي الله عنه فهو من المهاجرين الاولين شهد بدرا
واحدا و بيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عنه راض وانما لقب بالفاروق لان الله تعالى فرق به بين الحق والباطل ولهذا
ورد ان اسلامه كان عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة ولد رضي الله عنه بعد ولادة النبي صلى الله
عليه وسلم بثلاث عشرة سنة و بويع له بالخلافة يوم وفاة الصديق كرم الله وجهه ورضي عنه
باستخلافه له سنة ثلاث عشرة فسار باحسن سيرة ونزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من المسلمين
وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر ومدائن كسرى ونحوها ودوّن الدواوين في العطاء
ورتب الناس فيه على مراتبهم وكان لا يخاف في الله لومة لائم وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظا
يا عمر وتوفي رضي الله عنه شهيدا بطعنة من أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لثلاث بقيت من ذي
الحجة سنة ثلاث وعشرين فمدة خلافته رضي الله عنه ما تقدم وقيل غير ذلك وسنه رضي الله عنه
ثلاث وستون سنة كالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وكرم وجهه وقيل غير ذلك
ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وورد في فضله رضي الله عنه
أحاديث كثيرة وجاء القرآن موافقا لما قال في آيات شهيرة يمنعنا سوقها من الاختصار وان أردت
النظر اليها فالتمسها من الكتابين المتقدم ذكرهما الصواعق والفتح وغيرهما (ف) سيدنا ذو
النورين من استحيت منه ملائكة الرحمن ومن جهز جيش العسرة وبايع عنه صلى الله عليه وسلم
بيعة الرضوان (عثمان رضي الله عنه) ابن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
فيلتقي نسبه رضي الله عنه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وأمه أروى بنت كريز
وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكنى رضي الله عنه بأبي
عبد الله وأبي عمرو وقيل ولدت له رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا فسماه عبد الله فاكتنى
به ومات ثم ولد له عمرو فاكتنى به الى ان مات رضي الله عنه وهو رضي الله عنه ممن أسلم قديما
وممن دعاه الصديق الى الاسلام وهاجر الهجرتين الاولى الى الحبشة والثانية الى المدينة وشهد
المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وأما بيعة الرضوان فكانت لاجله و بسببه ولما حضرت

غيره فعمر رضي الله عنه فعثمان رضي الله عنه

المحدين وممالأة بقطع دلائل الرافضة والشيعة والخوارج أهل البدع الباغين الذين رموا السادة القادة الخلفاء الراشدين بالسنة حداد تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا من قول أهل الزور والعناد يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره على رغم آنافهم فلله در هؤلاء السادة المؤلفين حيث كشفوا لاهل البدع المذكورين فضائحهم واظهروا اشنائعهم وهدموا ابنيانهم واحرقوا جنانهم فجزاهم الله تعالى خير الجزاء وحشرنا واياهم في زمرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه الاتقياء آمين

وقعة بدر كانت رقية زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضة فأمره صلى الله عليه وسلم بالتخلف وقال له ارجع وضرب له بسهمه وأجره فهو معدود من البدريين بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ان لك أجر رجل شهد بدرا وسهمه وتوفت رقية رضى الله عنها فى سنة اثنين من الهجرة حين أتى خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليه يوم بدر فزوجه النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم بوحى من الله تعالى وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة فلما توفيت قال صلى الله عليه وسلم لو كان عندى غيرها لزوجتكها وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال سألت ربى عز وجل ان لا يدخل النار أحدا صاهر الى أو صاهرت اليه ولا يعرف أحد تزوج ابنتى نبى غيره رضى الله عنه ولذا سمى ذا النورين فهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين واحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيهم الشورى وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو عنهم راض واستخلفه النبى صلى الله عليه وسلم على المدينة فى غزوة ذات الرقاع ولما جهز جيش العسرة فى غزوة تبوك فى السنة التاسعة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الالف بخمسين فرسا دعا له صلى الله عليه وسلم بان الله يغفر له ما أسر وما أعلن وقال ما يبالى عثمان ما فعل بعدها وصح انه رضى الله عنه كان يحيى الليلة بركعة يقرأ فيها القرآن وكان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وسماحة وجمال مفرط كزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى ابن عساكر عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن أحسن شئ قد يرى انسان * رقية وبعلها عثمان

ولد رضى الله عنه بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم بست سنين وبويع له بالخلافة باجتماع الناس عليه يوم السبت غرة محرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بثلاثة أيام الواقع فى سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين كما تقدم ولما بويع له رضى الله عنه بالخلافة قال ابن مسعود رضى الله عنه بايعنا خيرنا وقال على كرم الله وجهه بايعنا أوصلنا للرحم وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وكثرت الفتوحات فى زمنه رضى الله عنه حتى فاض المال فيضا فى أيدى الصحابة رضى الله عنهم حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف ونخلة بألف درهم وكان نقش خاتمه آمنت بالله مخلصا وقتل رضى الله عنه شهيدا بالمدينة المنورة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ودفن بالبقيع فكان عمره رضى الله عنه اثنتين وثمانين سنة واشهرا وكانت ولايته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة أيام كما تقدم وقيل كانت اثنى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وفضائله رضى الله عنه ليس هذا محل بسطها كثيرة مشهورة وفى الكتب مسطورة ومنها الكتابان المتقدم ذكرهما فانظرهما ان شئت تر ما يبهر العقول (ف) سيدنا صنو النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم باب العلم الشريف الحيدر الكرار وصاحب ذى الفقار ووالد الحسنين (على كرم الله وجهه) ورضى عنه ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فيلتقى نسبه رضى الله عنه مع نسب النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى توفيت مسلمة قبل الهجرة وقيل انها هاجرت الى المدينة وماتت بها وهو الصواب وكان على رضى الله عنه أول من أسلم بعد خديجة رضى الله عنها قيل كان سنه ثلاث عشرة سنة وقيل عشر وقيل غير ذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وهذا أصح ما قيل وقد صلى الى القبلتين وهاجر

فعلى كرم الله وجهه

وشهد بدرا والمشاهد كلها الا ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتخلف في غزوة تبوك على المدينة وعلى عياله وقال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت أخي وصاحبي وقال ابن عمر آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وبين المهاجرين والانصار وقال في كل واحدة منهما لعلي رضي الله عنه أنت أخي في الدنيا والآخرة وآخى بينه وبين نفسه فهو من السابقين الاولين المهاجرين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل عمر رضي الله عنه فيهم الشورى وأخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاث من الهجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها وقال زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة وانه لاول أصحابي اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وروى بريدة وأبو هريرة وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهم كل منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا وحسنا وحسينا في بيت أم سلمة وقال اللهم ان هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ولد رضي الله عنه قبل البعثة بعشر سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام كما تقدم وقيل غير ذلك وكان نقش خاتمه كرم الله وجهه الملك لله وتوفي شهيدا رضي الله عنه بسبب ضربة وقعت له من عبد الرحمن بن ملجم بكسر الجيم وضمها المرادي الحميري لعنة الله تعالى عليه ليلة الجمعة لثلاث عشرة وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت وقيل بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة واختلف في موضع دفنه لانه أخفي خوفا من أن ينبشه الخوارج فقيل دفن في قصر الامارة بالكوفة وقيل دفن في رحبة الكوفة وروى عن أبي جعفر ان قبر علي رضي الله عنه جهل موضعه قال ابن حجر رحمه الله في شرح الهمزية وفي رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذي يحمله فلم يدر أين ذهب فلذلك قال أهل العراق انه في السحاب وأصح ما قيل في مدة عمره حينئذ انه ثلاث وستون سنة كما تقدم كرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فهذا من العجائب الاتفاقية وفضائل سيدنا علي كرم الله وجهه مع ثناء الصحابة عليه لا يمكن احصاؤها ولذا قال الامام أحمد ما جاء لاحد من الصحابة من الفضائل ما جاء لعلي قال الشيخ ابن حجر قال بعض المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوي وكأنه عنى بذلك السيد السمهودي في جوهر العقدين في فضل الشرفين وسبب ذلك والله أعلم ان الله أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع من الاختلاف لما آل اليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الامة باشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغه ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل نصحا للامة ثم لما اشتد الخطب فاشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله بل قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة بنشر فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق وفي هذا القدر كفاية ومن أراد الزيادة على ذلك فلينظر الصواعق والفتح المبين المتقدم ذكرهما اللهم انا نسألك محبة جميع أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم حتى تتوفانا على ذلك (تنبيهان) الاول قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في حاشيته على زبد ابن رسلان واعلم ان ترتيب الخلفاء الاربعة في الفضل هكذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وامامهم أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي قال السعد وغيره

(قوله فهذا من العجائب الاتفاقية) ومنها أيضا مع ان عمره صلى الله عليه وسلم ما ذكر انه نحر بيده صلى الله عليه وسلم الشريفة في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة واعتق مدة حياته ثلاثا وستين رقبة اهـ مؤلف

من

من أهل السنة وعلى هذا وجدنا السلف والخلف والظاهر انه لولم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا به ومن الادلة ما في صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية وهو أخو الحسن والحسين من أبيهما قال قلت لابي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قلت ثم من قال عمر قلت ثم من قال عثمان قلت وأنت فقال ما أنا الا رجل من المسلمين وفي رواية قال ثم عثمان ثم رجل آخر فقال ابنه محمد بن الحنفية ثم أنت فقال انما أنا الا رجل من المسلمين وفي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم عليا زاد الطبراني فيعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره وما نقل عن الامام مالك من تقديم علي رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه رجع عنه فبالجملة فاهل السنة مجمعون على ترتيبهم على هذا والخلاف الذي كان في الصدر الاول انفسخ بانعقاد الاجماع ولذا قال الشيخ الرملي وهذا مجمع عليه ولا مبالاة بما يخالفه قال سفيان الثوري من زعم ان عليا أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والانصار قال وما أراه يرتفع له مع ذلك عمل الى السماء (الثاني) انما زدت في حق سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لفظ كرم الله وجهه بعد الترضي لانه لم يسجد لصنم قط كعلي فاستعمال كرم الله وجهه في حق سيدنا علي دون غيره عوضا عن الترضي لعدم سجوده لصنم قط لانه هو المشهور بذلك والا فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه مثله كما علمت وقد سئل العلامة نور الدين الشيخ علي الشبراملسي الشافعي رحمه الله تعالى بما نصه ما حكمة استعمال كرم الله وجهه في حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه دون غيره عوضا عن الترضي وهل يستعمل ذلك لغيره من الصحابة فاجاب بقوله حكمة ذلك ان عليا رضي الله عنه وكرم وجهه لم يسجد لصنم قط فناسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من تكرمة الوجه والمراد به حقيقته أو الكناية عن الذات أي حفظه عن أن يتوجه لغير الله تعالى في عبادته ويشاركه في ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكرم وجهه فانه لم يسجد لصنم أيضا كما حكي فناسب أن يدعى له بذلك أيضا وانما كان استعمال ذلك في حق علي أكثر لان عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه لانه أسلم وهو صبي مميز وصح اسلامه حينئذ على خلاف مذهبنا لان الاحكام وقت اسلامه كانت منوطة بالتمييز ثم بعد ذلك نسخ ذلك الامر فانيطت بالبلوغ كما بينه البيهقي وغيره فان قلت كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعبادلة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم ومع ذلك لا يقول الناس فيهم ذلك بل الترضي كغيرهم قلت هؤلاء ونظراؤهم انما ولدوا بعد اضمحلال الشرك وخمود نار الضلالة والفتنة فلم يشابهوا ذينك الامامين من تركهما أكبر فتن الشرك من السجود للصنم مع دعاية أهله الناس لذلك ومبالغتهم في ايذاء من ترك ذلك وكان في الترك حينئذ مع مخالفة الآباء والاقارب وتحمل المشاق التي لا تطاق من الدلالة على الصدق ما ليس فيه بعد ظهور الاسلام وزهوق الضلال فناسب حالهما أن يميزا من بقية الصحابة بهذه الخصوصية العظمى رضي الله عنهما وكرم وجههما اهـ فتاوى ابن حجر رحمه الله تعالى اهـ كلام المجيب رحمه الله تعالى (ثم يليهم) أي يلي هؤلاء الخلفاء الاربعة في الافضلية (الستة الباقون الذين هم تمام العشرة المبشرين بالجنة) فمن جملتهم المشايخ الاربعة السابقون والستة الباقية هم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وقد نظمتهم في قولي من بحر البسيط

قد بشر المصطفى المختار عشرة أصـ * ـحاب بنيل مقام في الجنان على

ثم يليهم الستة الباقون الذين هم تمام العشرة المبشرين بالجنة

وهم أبو بكر الصديق مع عمر * كذاك عثمان ذو النورين ثم علي
سعد سعيد زبير طلحة وأبو * عبيدة وابن عوف فادع ربك لي

ونظمتهم أيضا من بحر الطويل فقلت

لقد بشر الهادي من الصحب عشرة * بجنات فردوس فنعم المبشر
أبو بكر الصديق مع عمر الذي * سما ثم عثمان علي المطهر
وطلحة مع سعد سعيد أبي عبيدة بن لعوف والزبير المظفر

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومناقبهم كثيرة قد أفردت بالتآليف يمنعنا جلبها من الايجاز (ولم يرد نص بتفاوت بعضهم) أي الستة الباقين (على بعض في الافضلية) فلا نقول به لعدم التوقيف وتخصيص هؤلاء العشرة بانهم مبشرون بالجنة مع ان المبشرين بالجنة أكثر منهم فان الحسن والحسين وأمهما فاطمة رضي الله عنهم من المبشرين بالجنة قطعا لان هؤلاء العشرة جمعوا في حديث مشهور ففي الترمذي وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة (ثم) يلي الستة الباقين في الافضلية (أهل بدر) أي أهل غزوة بدر ففي الكلام تقدير مضاف فرتبتهم تلي رتبة الستة من العشرة ولا فرق بين من استشهد فيها وهم أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وبين من لم يستشهد فيها وهم ثلثمائة وسبعة عشر رجلا وفي رواية وثلاثة عشر ويؤيد هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم أمر بعدهم فأخبر بانهم ثلثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة أصحاب طالوت وقصتهم مشهورة (ثم) يلي أهل بدر في الافضلية (أهل أحد) أي أهل غزوة أحد فرتبتهم تلي رتبة أهل غزوة بدر والمراد من شهدها من المسلمين سواء استشهد بها كالسبعين أم لا وكان أهلها ألفا منهم ثلثمائة من المنافقين الذين رجعوا وقصتهم مشهورة (ثم) يلي أهل أحد في الافضلية (أهل بيعة الرضوان) فرتبتهم تلي رتبة أهل غزوة أحد والاضافة في بيعة الرضوان من اضافة السبب للمسبب وسميت بذلك لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الآية وكان أهل بيعة الرضوان ألفا وأربعمائة وقيل خمسمائة (ثم) يلي بيعة الرضوان في الافضلية (بقية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ثم) يلي الصحابة في الافضلية (التابعون) هم جمع تابع والتابعي من اجتمع بالصحابي اجتماعا متعارفا ولا يشترط فيه طول الاجتماع كما في الصحابي مع النبي وهذا ما صححه ابن الصلاح والنووي وهو المعتمد والطريقة المشهورة انه يشترط التمييز في التابعي دون الصحابي والمعتمد عندنا عدم اشتراطه في التابعي كما لا يشترط في الصحابي وأفضل التابعين أويس القرني كما أن أفضل التابعيات حفصة بنت سيرين على خلاف في المسئلة (ثم) يلي التابعين في الافضلية (اتباع التابعين) والاصل في الترتيب الذي أفاده كلامه رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم خير أمتي القرن الذي يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وظاهره ان ما بعد القرون الثلاثة سواء في الفضيلة وذهب جماعة الى تفاوت بقية القرون بالسبقية فكل قرن أفضل من الذي بعده الى يوم القيامة لحديث ما من يوم الا والذي بعده شر منه وانما اسرع بخياركم لكن قد ورد مثل هذه الامة مثل المطر لا يدري أوله خير أو آخره والعيان قاض بذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى ان أصحابه صلى الله عليه وسلم أفضل القرون احتاج للجواب عما وقع بينهم من المنازعات الموهمة قدحا في حقهم مع انهم لا يصرون على

ولم يرد نص بتفاوت بعضهم على بعض في الافضلية ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ثم التابعون ثم أتباع التابعين

عد المعاصي وان لم يكونوا معصومين فاراد ذكر ذلك مصدرا له بالحث على وجوب محبتهم ومترجما بتنبيه ايقاظا للمكلف فقال (تنبيه يجب حب جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) لورود أحاديث كثيرة في فضلهم منها قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا أي لا فرضا ولا نفلا وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه واذا أراد الله برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه ما شأنكم وشأن أصحابي ذروا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لوان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل احدهم يوما واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لوان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقي أراذل أي غالبهم وفي رواية متفق عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وهم اول داخل في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته أفاده ابن حجر في شرح الهمزية فتأمل عظم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها عليه الصلاة والسلام حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضا له وناهيك بذلك جلالة لهم وشرفا فحبهم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه وانما يعرف فضل الصحابة من تدبر سيرهم معه عليه السلام وبعده فجزاهم الله خير الجزاء وأفضله وأكمله (و) اعلم رحمك الله تعالى ان خلافة الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم متفق على صحتها بين أهل السنة والجماعة ومن نازع فيها فهو ملحد مبتدع فلا حاجة الى بيان كيفية وقوعها وكذلك خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما وخلافة معاوية بعد نزول الحسن له عن الخلافة ومبايعته له فبايعه الصحابة وسموا ذلك العام عام الجماعة وكان في ذلك النزول تحقيق لمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما ثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي رضي الله عنهما ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ولو لم نقل بصحة خلافة معاوية رضي الله عنه بعد نزول الحسن لزم تكذيب هذا الحديث ولزم تخطئة الحسن وجميع الصحابة وذلك لا يجوز هذا مذهب أهل السنة والجماعة ومن خالف في ذلك فهو ملحد مبتدع وأما المدة التي كان فيها التنازع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في شأن قتلة عثمان رضي الله عنه فالخليفة الحق في تلك المدة هو علي ثم ابنه الحسن رضي الله عنهما ومعاوية رضي الله عنه في تلك المدة خلافته غير صحيحة بل كانت بالتغلب لكن لما كان ذلك باجتهاد منه ومن الصحابة الذين بايعوه كانوا معذورين في ذلك وان كان الحق مع علي رضي الله عنه وانما عذروا في ذلك لتعارض الادلة واشتباه الامر فمذهب أهل السنة انه (يجب علينا السكوت عما جرى بينهم) أي الصحابة (رضي الله عنهم من المنازعات والمحاربات التي قتل بسببها كثير منهم وثبت اجر الاجتهاد لكل منهم لان ذلك مبني الاجتهاد في مسألة ظنية للمصيب فيها أجران) وقيل عشرة أجور كما في شرح الهمزية لابن حجر رحمه الله تعالى (على اجتهاده واصابته وللمخطئ أجر على اجتهاده) فتلك دماء طهر الله منها أيدينا

(تنبيه) يجب حب جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويجب علينا السكوت عما جرى بينهم رضي الله عنهم من المنازعات والمحاربات التي قتل بسببها كثير منهم وثبت اجر الاجتهاد لكل منهم لان ذلك مبني الاجتهاد في مسألة ظنية للمصيب فيها أجران على اجتهاده واصابته وللمخطئ أجر على اجتهاده

فلا نلوث بها ألسنتنا فليس الشخص مأمورا بالخوض فيما جرى بينهم فانه ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس مما ينتفع به في الدين بل ربما ضر في اليقين فلا يباح الخوض الا للرد للمتعصبين أو للتعليم كتدريس الكتب التي تشتمل على الآثار المتعلقة بذلك وأما العوام فلا يجوز لهم الخوض فيه لشدة جهلهم وعدم معرفتهم بالتأويل فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا ويجب أيضا على كل من سمع شيأ من الذي يكون سببا في قدحهم ان يتثبت فيه ولا ينسبه الى أحد منهم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص بل لابد أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته الى أحدهم فحينئذ الواجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج كما سيأتي قريبا اذهم أهل لذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول ايراده (كمنازعة معاوية عليا رضي الله عنهما) بسبب عدم تسليم قتلة عثمان الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه رأى ان تأخير تسليمهم أصوب لان المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشيرتهم واختلاطهم بالعسكر تؤدي الى اضطراب أمر الامامة فان بعضهم عزم على الخروج على علي رضي الله عنه لما نادى يوم الجمل بان تخرج عنه قتلة عثمان رضي الله عنه ورأى معاوية رضي الله عنه ان المبادرة وتسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل من علي ومن معه ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم أجمعين لهم تأويلات ظاهرة ومحامل قوية وعدالتهم ثابتة بنص الكتاب والسنة فلا تزول بالاحتمال مع ما ورد في فضلهم من الادلة عموما وخصوصا وقد قطع العلماء بان الحق كان مع علي رضي الله عنه فله أجران ولمعاوية رضي الله عنه أجر واحد كما علمت مما مر ومثل هذا يقال في وقعة الجمل التي وقعت بين علي وعائشة رضي الله عنهما فان عائشة تبين لها ان الصواب مع علي فصالحته ورجعت فالكل منهم رضي الله عنهم مجتهد مأجور (ويجب أن يطلب لهم) أي الصحابة رضي الله عنهم (أحسن التأويلات وان يحمل ما وقع بينهم على أحسن المحامل ولا يطعن في أحد منهم) لان الله تعالى اثنى عليهم في كتابه العزيز في آيات كثيرة كقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون وقوله وكلا وعد الله الحسنى الى غير ذلك من الآيات فيلزم من الطعن فيهم تكذيب هذه الآيات وأما السنة النبوية فقد جاء فيها أحاديث كثيرة فيها التحذير من الطعن فيهم أو التعرض لاحد منهم بالتنقيص ولا حاجة الى الاطالة بذكرها لشهرتها وقدمر بعضها فيلزم من الطعن في أحد منهم تكذيب تلك الاحاديث وأيضا هم الذين نقلوا للامة الشريعة والاحكام فيلزم من الطعن في أحد منهم تكذيب ما يرويه ذلك المطعون فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاحاديث وذلك يؤدي الى ابطال أكثر الشريعة فلهذه المحذورات أوجب أهل السنة والجماعة السكوت عما جرى بينهم وجعلوه انما كان بالاجتهاد وحملوه على أحسن المحامل وطلبوا له أحسن التأويلات وقالوا ان معاوية امتنع من مبايعة علي حتى يدفع له قتلة عثمان فيقيم الحد عليهم وعلي نظر الى كثرتهم وكثرة عشائرهم وخشي اتساع الفتنة فقال لابد من المبايعة قبل ذلك ثم ننظر في هذا الامر فنجري على ما تقتضيه السنة وتمسك علي كرم الله وجهه بادلة وتمسك معاوية رضي الله عنه بادلة فمن الصحابة من وافق اجتهادهم اجتهاد علي كرم الله وجهه فبايعوه ومنهم من وافق اجتهادهم اجتهاد معاوية رضي الله عنه فبايعوه ومنهم من تعارضت عنده الادلة فتوقف عن مبايعة كل منهما كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر فانهما انما بايعا بعد نزول الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته لمعاوية ومبايعة الناس له

كمنازعة معاوية عليا رضي الله عنهما ويجب أن يطلب لهم أحسن التأويلات وان يحمل ما وقع بينهم على أحسن المحامل ولا يطعن في أحد منهم

فيما بعد في ذلك الوقت والحاصل ان كل الصحابة رضي الله عنهم كانوا عدولا يطلبون الحق وان اختلفت اجتهاداتهم فمن أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد هذا هو الذي نعتقده وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة تصديقا للآيات القرآنية والاحاديث النبوية وحفظا للشريعة المحمدية عن ابطال شيء مما رواه أصحاب خير البرية فنسأل الله ان يحيينا على محبتهم و يميتنا على طريقتهم وان لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة فقد جاء في الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا تغفر يوم القيامة وهي ما كان فيها الطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتعرض لتنقيصهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية انك ستلي أمر أمتي فارفق بها وكان يقول ما طمعت في هذا الامر الا بعد ان سمعت قوله صلى الله عليه وسلم انك ستلي أمر أمتي وقال له مرة اذا ملكت فاحسن وقال له مرة أيضا يا معاوية لا تفتش الناس فانك ان فتشتهم أفسدتهم فكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول ان معاوية ساس الناس بهذه الكلمة التي سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم يعني قوله لا تفتش الناس فانك ان فتشتهم أفسدتهم وقد دعا له صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اجعله هاديا مهديا و بغير ذلك فقد أخرج الامام أحمد رحمه الله عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب زاد الطبراني ومكن له في البلاد وأخرج الترمذي باسناد حسن عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وروى الامام الطبراني في الرياض النضرة في مناقب العشرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أرحم أمتي بأمتي ابو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ولكل نبي حواري وحواري طلحة والزبير وحيث كان سعد بن أبي وقاص فالحق معه وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله ولكل نبي صاحب سر وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان فمن أحبهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك وروى ابن ماجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق معاوية اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذه كاتبا للوحيه بعد ان استشار جبريل فقال اتخذه كاتبا فانه أمين و روى الديلمي في مسند الفردوس أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا مدينة العلم وعلي بابها ومعاوية حلقتها وصح انه كان رديفا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما يليني منك قال بطني فقال اللهم املأه علما وحلما وفي حديث آخر أنت مني وأنا منك لتزاحمني على الجنة كهاتين وأشار باصبعيه وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليك رجل من أهل الجنة فطلع معاوية ثم قال بعد ذلك فطلع معاوية ولما ذكر البخاري مناقب الصحابة روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في حق معاوية انه فقيه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك منقبة فقد قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وصح انه صلى الله عليه وسلم قال اني دعوت الله ان لا يعذب أحدا من أصحابي واصهاري ومعاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة وروى الديلمي أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وفي أصحابي كلهم خير وفي الشفاء للقاضي عياض وشرحه سئل المعافى ابن عمران وكان من أشياخ بشر

الحافى وقال فيه سفيان هو ياقوتة العلماء قال له رجل أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فقال لا يقاس على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحى الله تعالى اه ونقل أبو على الغسانى الجيانى ان عبد الله بن المبارك سئل أيضا أيما أفضل معاوية ابن أبى سفيان أم عمر بن عبد العزيز فقال والله ان الغبار الذى دخل فى أنف بغلة معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بن عبد العزيز بألف مرة صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمع الله لمن حمده فقال معاوية ربنا ولك الحمد فما بعد هذا اه وفى الشفاء أيضا قال الامام مالك رضى الله عنه من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاصى رضى الله عنهم فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا ومن الاحاديث الواردة فى فضل عمرو بن العاصى رضى الله عنه ما رواه أبو نعيم فى الحلية من قوله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصى من صالحى قريش وقوله صلى الله عليه وسلم فيه وفى ابنه عبد الله نعم الرجل عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله وأفرد الحافظ ابن عبد البر تأليفا مستقلا فى مناقب عمرو ابن العاصى وأفرد كثيرون تأليفا فى مناقب معاوية رضى الله عنه منهم العلامة ابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى فانه ألف مؤلفا سماه تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية ابن أبى سفيان مع المدح الجلى واثبات الحق العلى لمولانا أمير المؤمنين على وبالجملة ففضل الصحابة كلهم كبير وما ورد فى حقهم كثير شهير ويكفيك فى فضلهم ما تقدم من الآيات وقوله صلى الله عليه وسلم فيما مر لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه قال الشيخ شهاب الدين أحمد الرملى الشافعى رحمه الله تعالى وفى الحديث دليل على ان من بعدهم ميؤس ان يدرك مرتبة أحدهم فى الفضل فان هذا المفروض من ملك الانسان ذهبا بقدر جبل أحد محال فى العادة ولم يتفق لاحد من الخلق وتقدير وقوعه وانفاقه فى وجوه الخير لا يبلغ الثواب المترتب على ثواب الواحد من الصحابة اذا تصدق بنصف مد ولو من شعير وذلك بالتقريب ربع قدح بالكيل المصرى واذا طحن وعجن لا يبلغ رغيفا على المعتاد ومن تدبر هذا الحديث لم يجد فى مناقب الصحابة شيأ أبلغ منه اه وذكر ابن حجر فى الصواعق ان الصحابة رضى الله عنهم كلهم فى الجنة بدليل قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون نفعنا الله بهم وأماتنا على محبتهم وحشرنا فى زمرتهم (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف أيضا اعتقادها (معرفة نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه قال العلماء رحمهم الله تعالى و ينبغى) أى و يجب أو و يندب فيصح تفسيره بالوجوب أو الندب لكن القياس على نظائره كنسبه صلى الله عليه وسلم تفسيره هنا بالوجوب فقد نقل الاجهورى رحمه الله تعالى فى شرح ألفية السيرة عن القرافى رحمه الله تعالى فى ذخيرته انه يجب معرفة جميع الاحوال المتعلقة به صلى الله عليه وسلم فثبت بهذا انه يطلب هنا تفسير ينبغى بيجب (أن يعرف الشخص عدة أولاده صلى الله عليه وسلم وترتيبهم فى الولادة لانه ينبغى للشخص أن يعرف) عدة وترتيبا (ساداته) وهم سادات الامة (و ينبغى) أى يجب على الشخص (أيضا) أى كما أنه ينبغى أن يعرف عدة أولاده صلى الله عليه وسلم وترتيبهم فى الولادة ينبغى (أن يعرف) أى الشخص (زوجاته صلى الله عليه وسلم وسراريه) لانه يجب عليه

ومنها معرفة نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه قال العلماء رحمهم الله تعالى و ينبغى أن يعرف الشخص عدة أولاده صلى الله عليه وسلم وترتيبهم فى الولادة لانه ينبغى للشخص ان يعرف ساداته و ينبغى أيضا ان يعرف زوجاته صلى الله عليه وسلم وسراريه

لانهن أمهات المؤمنين أمانسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه فهو ابن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى

كما علمت أن يعرف جميع الاحوال المتعلقة به صلى الله عليه وسلم وهن رضوان الله عليهن منها و (لانهن أمهات المؤمنين) أى والمؤمنات ففيه تغليب الذكور على الاناث قاله بعضهم لكن صح عن عائشة رضى الله عنها كما رواه النسفى عن مسروق انها رضى الله عنها قالت لامرأة قالت لها يا أمه لست لك بام انما أنا ام رجالكم لا أم نسائكم فعلى هذا فلا تغليب وكذلك باقى أزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين وان لم يدخل بهن وكذا من جامعهن من امائه وهذا الخلاف جار على خلاف فى الاصول هل يدخل النساء فى خطاب الرجال أم لا والمرجح عدم الدخول فقول الله تعالى وأزواجه أمهاتهم حينئذ خاص بالرجال دون النساء والمراد أمهات المؤمنين فى الاحترام والتعظيم وحرمة التزوج لا فى جواز الخلوة بهن وتحريم بناتهن وجواز النظر اليهن بغير شهوة وعدم نقض الوضوء أفاده الشنوانى على أبى جمرة مع زيادة من المواهب وشرحها للزرقانى وقوله وحرمة التزوج قال فى تحفة الحبيب قال الجمال الرملى رحمه الله تعالى فى نهاية المحتاج شرح المنهاج تحرم زوجاته صلى الله عليه وسلم على غيره ولو مطلقات ومختارات فراقه ولو قبل الدخول ونقل فى شرحه المذكور ان الامة التى وطئها تحرم على غيره أيضا واعتمده اه وكذا المستعيذة التى قالت له عند دخوله عليها أعوذ بالله منك فقال استعذت بعظيم وطلقها فتحرم على غيره وتكون معه فى الجنة لانها ندمت على ذلك والندم توبة واسمها أميمة بنت شراحيل وانما حرمن على غيره لانه حى فى قبره ورعاية لشرفه صلى الله عليه وسلم ولانهن أزواجه فى الجنة ولانهن أمهات المؤمنين ولان المرأة فى الجنة مع آخر أزواجها ويرد على قوله لانه حى فى قبره بقية الانبياء فان أزواجهم يجوز لغيرهم من الانبياء التزوج بهن مع انهم أحياء فى قبورهم وكذا الشهداء يجوز لغيرهم التزوج بنسائهم مع انهم أحياء فالاولى الاقتصار على التعاليل اللاتى بعده أعنى رعاية لشرفه ونساء باقى الانبياء يحرمن على غير الانبياء (أمانسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه فهو) أى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اعلم ان التكلم على تراجم آبائه صلى الله عليه وسلم الشريفة ومناقبهم ومآثرهم المنيفة وما نقل عنهم من ذكره صلى الله عليه وسلم والتنوه بشأنه وما وجد من سطع نوره صلى الله عليه وسلم فى جباههم كثير جدا يستدعى ايراده التطويل وهو مذكور فى نحو السير ومنها سيرة شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى فانظرها تجد فيها كفاية ولكن لا بأس ان نتبرك بنزر منه ولو بالاشارة وضبط الاسم فنقول هو صلى الله عليه وسلم (ابن) سيدنا (عبد الله) ولم يختلف فى تسميته بهذا الاسم قاله الحافظ العراقى قال ابن الاثير وكنيته أبو قثم بقاف مضمومة وبمثلثة ولقبه الذبيح ولذا قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وهو (ابن عبد المطلب) واسمه شيبة الحمد وكان مجاب الدعوة محرم الخمر على نفسه وأول متحنث بحراء ويرفع لجوده من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال حتى قيل له الفياض ومطعم طير السماء وكان من حكماء قريش وكان يأمر أولاده بترك البغى والظلم ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن الامور الدنيئة وهو (ابن هاشم) واسمه عمرو بفتح العين المهملة وسكون الميم وكان أفخر قومه وأعلاهم ولا ترفع مائدته فى السراء والضراء ونور النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه لا يراه أحد الا قبل يده ولا يمر بشئ الا سجد له وهو (ابن عبد مناف) بفتح الميم من الانافة أى الارتفاع أو الشرف وهو لقبه واسمه المغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة منقول من اسم فاعل أغار تفاؤلا باغارته على الاعداء وساد قريشا ويسمى القمر لجماله وكان فيه نوره صلى الله عليه وسلم وفى يده لواء نزار وقوس اسمعيل ووجد الزبير نقشا فى حجر انا المغيرة بن قصى آمر بتقوى الله وصلة الرحم وهو (ابن قصى) واسمه مجمع بضم الميم الاولى وفتح

الجيم وكسر الثانية مشددة منقول من اسم فاعل جمع المثقل وهذا ممن أخبر ببعثته صلى الله عليه وسلم وهو (ابن كلاب) واسمه حكيم ويقال الحكيم بزيادة أل وانما لقب بذلك لمحبته الاصطياد بها وقيل لمكالبته أي مضايقته الاعداء في الحروب وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بأشر الاسماء ككلاب وحرب وعبيدكم بأحبها كسعد ومرزوق فقال نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه وهو (ابن مرة) بضم الميم وفتح الراء مشددة وهو (ابن كعب) بفتح الكاف وسكون العين المهملة وهذا ممن نوه بشأنه صلى الله عليه وسلم وأمر باتباعه والايمان به وأخبر بانه من ولده وهو (ابن لؤي بالهمز وتركه) أي مع ضم اللام وتشديد المثناة تحت في كل منهما وهو (ابن غالب) بغين معجمة ولام مكسورة وهو (ابن فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء فراء واسمه قريش وهو (ابن مالك) منقول من اسم فاعل ملك لانه كان ملك العرب وكنيته أبو الحارث قاله عليش رحمه الله تعالى على البرزنجي وغيره وهو (ابن النضر) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة منقول من اسم الذهب الاحمر لنضارة وجهه وجماله واسمه قيس وقريش تنتهي وتنتسب الى هذا وقال آخرون الى فهر قال العراقي في السيرة

أما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر

قال النووي وهو الصحيح المشهور وهو (ابن كنانة) بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما الف وهذا ممن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بخروجه وهو (ابن خزيمة) بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وسكون المثناة تحت منقول من مصغر خزمة بمعجمتين مفتوحتين وهي المرة من الخزم وهو شد الشئ واصلاحه لاجتماع نور المصطفى فيه مع نور آبائه قال ابن عباس مات خزيمة على ملة ابراهيم وهو (ابن مدركة) وهو منقول من اسم فاعل أدرك لادراكه كل عز وفخر كان في آبائه وكان نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ظاهرا فيه واسمه عمرو عند الجمهور وقال ابن اسحق عامر وهو (ابن الياس) بتحتية وهمزته همزة قطع مكسورة عند ابن الانباري ومفتوحة عند ابن ثابت والمعروف انه اسمه وفي المنتقى انه كان يسمع من ظهره دوي تلبيته صلى الله عليه وسلم بالحج ولم تزل العرب تعظمه لجماله البارع وهو (ابن مضر) بضم الميم وفتح الضاد المعجمة فراء غير مصروف للعلمية والعدل سمي به لانه يمطر القلوب بحسنه وجماله ولم يره احد الا أحبه قيل انه اسمه وكنيته أبو الياس وهو أول من سن الحداء بضم أوله ممدودا الغناء للابل وكان من أحسن الناس صوتا وذلك انه سقط هو أو مولى له عن بعير وهو شاب فصاح فاجتمعت اليه الابل من المرعى فوضع الحداء وزاد الناس فيه وهو (ابن نزار) بكسر النون وبزاي فراء مأخوذ من النزر وهو القليل وانما قيل له ذلك لانه لما نظر أبوه الى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل لحق هذا المولود وهو (ابن معد) بفتح الميم والعين وشد الدال المهملة سمي به لانه كان معدا للحروب والغارات ولم يحارب أحدا الا غلبه وهو (ابن عدنان) بزنة فعلان من العدن أي الاقامة وسمي به تفاؤلا بانه يقيم ويسلم من أعين الجن والانس التي يموت بها غالب من في القبور سلمنا الله منها بمنه وبجاه حبيبه صلى الله عليه وسلم (والاجماع منعقد على هذا النسب) أي نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه (الى عدنان وليس فيما بعده طريق صحيح فيما ينقل) قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته وقد أجمع العلماء رحمهم الله تعالى على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسماعيل اختلافا

ابن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي
بالهمز وتركه بن غالب
ابن فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان والاجماع
منعقد على هذا النسب
الى عدنان وليس فيما
بعده طريق صحيح فيما
ينقل

كثيرا

هـذا نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأما نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أمه فهو ابن آمنة الزهرية بنت وهب بن عبد مناف وعبد مناف هذا غير عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ابن زهرة بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فيجتمع صلى الله عليه وسلم مع أمه فى كلاب * فائدة الحق الذى حققه العلماء ان آباءه صلى الله عليه وسلم ما كان فيهم كافر تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاته صلى الله عليه وسلم ومثله سائر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأما أولاده صلى الله عليه وسلم فهم سبعة ثلاثة ذكور وأربعة اناث وترتيبهم فى الولادة القاسم ثم زينب ثم رقية

كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أ كثره وفيه خلاف يسير فى عدد الآباء وفى ضبط بعض الاسماء فينبغى لمن أراد أن يذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم ان يوصله الى عدنان بن أدو يقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ان عدنان ينتهى نسبه الى اسمعيل عليه السلام اهـ ملخصا (هذا) المذكور (نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأما نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أمه فهو) صلى الله عليه وسلم (ابن آمنة الزهرية) منسوبة الى بنى زهرة بطن من قريش أى جماعة من قريش وهى (بنت وهب بن عبد مناف) وأما (عبد مناف هذا) فانه (غير عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم) أى من جهة أبيه فلا ينافى انه جده من جهة أمه وهو (ابن زهرة) بضم الزاى وسكون الهاء وهو اسم رجل على الصواب وأخطأ من جعله اسم امرأة وهو (ابن كلاب) وهذا (أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم فيجتمع) نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم مع أمه) آمنة (فى) سيدنا (كلاب * فائدة الحق الذى حققه العلماء) كالفخر الرازى والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطى وغيرهم رحمهم الله تعالى (ان آباءه صلى الله عليه وسلم) كلهم موحدون (ما كان فيهم كافر تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاته صلى الله عليه وسلم) قال تعالى وتقلبك فى الساجدين وقال صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات فعلم من هذا الحديث كالآية ان آباءه صلى الله عليه وسلم وأمهاته كلهم موحدون لانه لا يوصف بالطهارة الا المؤمن وما أحسن من قال ولقد أجاد فى المقال

واجزم بايمان لهم من آدم * الى أبيه الاقرب المكرم
والامهات مثلهم دليل ذا * نص الكتاب والحديث فخذا
كقوله فى الساجدين قد ورد * فهم روايات علية السند
فلم يزل من ساجد منتقلا * لساجد هادفهم نعم الملا

وكذلك نسبه صلى الله عليه وسلم مطهر من سفاح الجاهلية وما كانوا عليه لم يلده الا نكاح كنكاح الاسلام من لدن آدم الى ان ولده أبوه وأمه ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير ذلك فقد أخطأ وشك فى هذا الخبر والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا (ومثله) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى كون الآباء والامهات كلهم موحدون ما كان فيهم كافر تشريفا لمقام النبوة (سائر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام) وأما آزر فلم يكن أبا ابراهيم بل عمه باجماع أهل الكتابين والتاريخين كما قاله الشهاب ابن حجر والعرب تسمى العم أبا وقد بسط الكلام على ذلك أهل السير ومنهم شيخنا وشيخ شيوخنا رحمه الله تعالى فى سيرته (وأما أولاده صلى الله عليه وسلم فهم سبعة ثلاثة ذكور وأربعة اناث وترتيبهم فى الولادة القاسم) هذا أول أولاده كما علم من قوله رحمه الله تعالى وترتيبهم ولكونه كذلك كنى به صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم مشتهرا بأبى القاسم ولد بمكة قبل النبوة وتوفى بها وقد بلغ سنتين وقيل أ كثر وقيل أقل وهو أول ميت مات من ولده صلى الله عليه وسلم (ثم زينب) فهى بعد القاسم فى الولادة ادركت الاسلام وهاجرت وهى ا كبر بناته صلى الله عليه وسلم على الاصح وكان صلى الله عليه وسلم يحبها كثيرا ولدت رضى الله عنها سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وماتت سنة ثمان من الهجرة انظر شرح الهمزية لابن حجر رحمه الله تعالى والمشارق (ثم رقية) كانت ذات جمال ولدت رضى الله عنها سنة ثلاث وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة المدينة بشيرا بقتلى بدر من

المشركين كما تقدم ولما عزى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات قال الامام الزرقاني رحمه الله تعالى أى من الخصال التى يكرم الله بها الميتة لسترها وأهلها أو لضعفهن بالمؤنة وعدم استقلالهن وهذا وارد مورد التسلية عن المصيبة وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك كراهة للبنات كما يظنه بعض الجهلة اه (ثم فاطمة) روى مرفوعا انها سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة وروى مرفوعا أيضا لان الله فطمها ومحبيها عن النار والى هذا المعنى اشار العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظى اليمنى رحمه الله تعالى فى جواهر عقد اللاآل فى فضائل الآل فقال

قد فطمت ونسلها ومن أحب * جميعهم من العذاب واللهب

وتسمى رضى الله عنها البتول من البتل وهو القطع لانقطاعها عن الدنيا الى الله تعالى وقيل لانقطاعها عن نساء زمنها حسبا ودينا وفضلا وتسمى أيضا الزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه الغسانى وروى الخطابى ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وكانت أحب أهله صلى الله عليه وسلم اليه وكان اذا أراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم أوّل ما يدخل عليها وروى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة منى فمن اغضبها أغضبنى ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله منها من جهة السبطين الحسن والحسين رضى الله عنهما وفضائلها رضى الله عنها كثيرة شهيرة افردت بالتأليف نفعنا الله بها بجاه والدها آمين (ثم أم كلثوم) انما تعرف بهذه الكنية فلا يعرف لها اسم توفيت سنة تسع من الهجرة (ثم عبد الله) هو الملقب بالطيب والطاهر على الاصح فهما لقبان لعبد الله لا اسما شخصين مغايرين كما قيل (ثم ابراهيم) روى كما فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة ولادته ولد لى الليلة غلام سميته باسم أبى ابراهيم الحديث ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفى سنة عشر وقد بلغ سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع (وكلهم) أى السبعة المذكورة الا ابراهيم كما سيستثنيه رحمه الله تعالى ولدوا بمكة المشرفة (من سيدتنا خديجة) بنت خويلد هى أوّل امرأة تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوّج غيرها حتى ماتت اكراما لها كما سننبه على ذلك (الا) سيدنا (ابراهيم فانه) ولد بالمدينة المنورة (من) سيدتنا (مارية القبطية) كانت سرية له صلى الله عليه وسلم اهداها اله المقوقس القبطى كما سيأتى التنبيه على ذلك وقد نظمت ذلك فقلت

ابناء طه سبعة هم قاسم * مع زينب ورقية مع فاطمه
مع أم كلثوم فعبد الله ابـ * ـراهيم والترتيب ذا كن لازمه
وخديجة أم الجميع سوى الاخـ * ـير فنجل مارية الجمال الباسمه
وجميعهم نقلوا الى دار البقا * من قبله الا البتول الفاطمه
فبهم ووالدهم الهى حفنا * وامنن بغفران وحسن الخاتمه

(وأما زوجاته صلى الله عليه وسلم ف) اختلف فى عدتهن و (المتفق عليه) كما فى المواهب (منهن) اى الزوجات اللاتى دخل بهن ولم يطلقهن (احدى عشرة) زوجة ست من قريش وهن خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وأم سلمة بنت أبى امية وسودة بنت زمعة وأربع عربيات أى من حلفاء قريش والا فالكل عربيات زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وجويرية بنت الحارث وواحدة اسرائيلية وهى صفية بنت حيى النضرية وأما غيرهن ممن وهبت نفسها أو خطبها ولم يعقد عليها أو عقد ولم

ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم ابراهيم وكلهم من سيدتنا خديجة الا ابراهيم فانه من مارية القبطية وأما زوجاته صلى الله عليه وسلم فالمتفق عليه منهن احدى عشره

(قوله بنت خويلد) وهو ابن أسد بن عبد العزى بن قصى فهى رضى الله عنها قرشية اسدية وأما أمها ففاطمة بنت زائدة بن الاصم واسمه جندب ابن هرم بن رواحة ابن حجر بن عبد العيص ابن عامر بن لؤى قاله ابن الاثير رحمه الله تعالى فى اسد الغابة فى معرفة الصحابة (قوله الا البتول الفاطمة) أى المانعة لذريتها ومن أحبها من النار والاسناد مجاز عقلى أى المتسببة لما ذكر فى ذلك فالمراد بالفاطمة هنا الوصف لا العلمية وعليه فلا ايطاء بينه وبين لفظ فاطمة المتقدم بل فيه من المحسنات الجناس التام كما لا يخفى

يدخل بها الموت أو طلاق فنحو ثلاثين امرأة قاله في المواهب وغيره ولم يتزوّج صلى الله عليه وسلم الابوحي كما قال العلامة ابن حجر والصبان رحمهما الله تعالى وروى عبد الملك بن محمد النيسابوري رحمه الله تعالى بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوّجت شيأ من نسائي ولا زوّجت شيأ من بناتي الا بوحي جاءني به جبريل عن ربي عز وجل (مات منهن) أي من زوجاته صلى الله عليه وسلم (في حياته صلى الله عليه وسلم ثنتان) الاولى منهما (خديجة بنت خويلد رضي الله عنها) وهي أوّل امرأة تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج غيرها حتى ماتت كما تقدم فيكون نساؤه اللاتي دخل بهن بعدها عشرة نظمهن بعضهم فقال

أزواجه اللاتي بهن دخلا * بعد خديج عشرة على الولا
سودة عائشة المكرمه * حفصة زينب وأم سلمه
وبنت جحش زينب جويريه * وأم حبيبة ورملة هيه
صفية ميمونة الوفيه * وهن من عرب سوى صفيه

أي فانها اسرائيلية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها وعمره احدى وعشرون سنة أو خمس وعشرون وعليه الاكثر ولها يومئذ من العمر أربعون سنة وكانت قد عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه وذلك لما بلغها من حديث غلامها ميسرة حين سافر معه في تجارتها ورأى من الآيات وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم وأخبرها بذلك وما رأته هي أيضا من الآيات وكون الخاطب في هذه الرواية حمزة لا ينافي رواية السهيلي عن المبردان الناهض معه أبو طالب لانهما خرجا معه والخاطب أبو طالب لانه أسن من حمزة قال القسطلاني وهي أوّل من آمن من الناس قال الشارح الزرقاني أي على الاطلاق كما حكى ابن عبد البر وحكى عليه الاتفاق وانما الخلاف في أوّل من آمن بعدها وكفاها شرفا حديث الصحيحين من حديث أبي هريرة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري قد أتت بلا كاف باناء فيه طعام أو ادام أو بشراب فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب زاد الطبراني فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام ورواية النسائي ان الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال الزرقاني والصخب بفتح الصاد المهملة والخاء المعجمة الصياح والنصب التعب والحكمة في كون البيت لا صياح فيه ولا نصب انها أجابته للايمان به صلى الله عليه وسلم طوعا ولم تحوجه لمنازعة بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهوّنت عليه كل عسير وكونه من قصب لكونها أحرزت قصب السبق لمبادرتها الى الايمان دون غيرها فلم يكن على وجه الارض في أوّل يوم بعث صلى الله عليه وسلم بيت اسلام الا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها غيرها وللحافظ ابن حجر لما نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الآية دعا صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين وجللهم بكساء فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث ومرجع هؤلاء الى خديجة وتقدم انه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج غيرها حتى ماتت اكراما لها وتوفيت رضي الله عنها كما قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته في رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيرا وروى الطبراني

مات منهن في حياته صلى الله عليه وسلم ثنتان خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

أنه صلى الله عليه وسلم أطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه انها دفنت فى الحجون فهى سلطانة من به مدفون تجزل العطيات وتمنح النفحات ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها حين دفنها وادخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذ ذاك خمسا وستين سنة وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه أبى طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يارسول الله كانى اراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضى الله عنها فقال اجل ام العيال وربة البيت وقال عبد الله بن عمير وجد عليها حتى خشى عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة رضى الله عنها وأرضاها وبالجملة ففضائلها لاتحصى وكراماتها لاتستقصى رضى الله عنها ونفعنا فى الدارين بتراب اقدامها وبلغنا بجاهها المأمول ونالنا بتركتها السول (و) الثانية (زينب ام المساكين) سميت بذلك لاطعامها اياهم بنت خزيمة رضى الله عنها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة ولم تلبث عنده الاشهرين أوثلاثة ثم ماتت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها فى البقيع وقد بلغت نحو ثلاثين سنة فلم يمت من ازواجه صلى الله عليه وسلم فى حياته الا هى وخديجة وكذا ريحانة على القول بانها زوجته وسيأتى (وتوفى صلى الله عليه وسلم عن تسع) نظمهن بعضهم فى قوله

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

وهند هى ام سلمة ورملة هى ام حبيبة كما سيأتى (وهن) أى التسع من الزوجات اللاتى توفى عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم (عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما) يقرألفظ عائشة بالهمز وعوام المحدثين يبدلونها ياء وسميت بذلك اشارة الى دوام معيشتها وحياتها فلاتموت صغيرة وتكنى بام عبد الله بابن اختها اسماء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وعقد عليها صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها وهى بنت تسع سنين ومكثت معه صلى الله عليه وسلم عشر سنين فتوفى عنها وهى بنت ثمان عشرة قال أبو بكر العامرى اليمنى رحمه الله تعالى فى الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة ولم يتزوج بكرا غيرها ونزل عذرها وبراءتها من عند الله تعالى فهى براءة قطعية لوتشكك فيها مسلم صار كافرا بالاجماع ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يومها ونوبتها وفاضت روحه الكريمة وهو فى حجرها وبين حاضنتها وذاقنتها ودفن فى بيتها وحجرتها وجمع بين ريقها وريقه فى آخر جزء من أجزاء حياته وغير مدافع انه كان لها عليه من البسط والادلال ماليس لاحد من نسائه ولما كبرت سودة بنت زمعة وفهمت رغبة النبى صلى الله عليه وسلم عنها وهبت نوبتها من القسم لعائشة تبتغى بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة نوبتين ومناقبها عديدة اه فكانت أحب نسائه اليه صلى الله عليه وسلم فكان يحبها حبا كثيرا ذكر شيخ مشايخ الاسلام شمس الدين محمد البكرى نفع الله تعالى به ان السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما كانت تصدر مكاتبتها ومراسلاتها بقولها فى أول الكتاب من المبرأة حبيبة حبيب الله الى فلان الفلانى أما بعد فكذا اه وعزى ذلك الى تذكرة القزوينى وكانت رضى الله عنها أعلم زوجاته صلى الله عليه وسلم روت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كتب الحديث كلها فهى رضى الله عنها معدودة من أصحاب الالوف قال القسطلانى رحمه الله تعالى فى المواهب اللدنية وشرح

وزينب أم المساكين بنت خزيمة رضى الله عنها وتوفى صلى الله عليه وسلم عن تسع وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما

(قوله فهى معدودة من أصحاب الالوف) فهى رضى الله عنها أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية وثانيهم عبد الله بن عمر وثالثهم ابن عباس ورابعهم أنس بن مالك وخامسهم أبو هريرة وسادسهم جابر بن عبد الله وزاد العراقى فى شرحه لالفيته سابعا وهو أبو سعيد الخدرى وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديق موضع أبى سعيد وذكر موضع جابر سعدا ونظمهم بقوله

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد عائش أنس
صديقه وابن عباس كذا ابن عمر

فيؤخذ من مجموع ذلك انهم تسعة ولذا زدت بيتا بعد هذين البيتين فقلت

وزيد جابر والخدرى ذاك أبو
سعيد الشهم والصديق فيه نظر

البخاري وكانت السيدة عائشة فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين فقد حفظت عن النبي صلى الله وسلم كثيرا حتى قيل ان أربع الاحكام الشرعية منقول عنها قال عطاء بن رباح كانت عائشة رضى الله عنها أفقه الناس واعلم الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة وقال الزهرى لو جمع علم عائشة رضى الله عنها الى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وقال الامام الزرقانى قال أبو موسى الاشعرى ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وروى الطبرانى والحاكم وغيرهما باسناد حسن عن عروة ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة رضى الله عنها وروى عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى فما سمعت من فم أحدهم كلاما أفخم ولا أحسن منه من فى عائشة ومن لطيف شعر ما قولها تغزلا فى الحضرة المحمدية

ولو سمعوا فى مصر أوصاف خده * لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
لوامى زليخا لو رأين جبينه * لآثرن بالقطع القلوب على الايدى

وبالجملة فمناقبها لا تنحصر كيف وهى بنت الصديق امدنا الله من فيض امدادها وقد نفع الله بها الامة بنشر العلوم ولذلك روى عن القاسم بن محمد قال قصدت عائشة بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وهلم جرا الى ان ماتت رضى الله عنها ونفعنا بها توفيت رضى الله عنها بالمدينة ودفنت بالبقيع سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين من الهجرة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقد قارب عمرها سبعين سنة رضى الله عنها ونفعنا بها وبتراب اقدامها وحشرنا فى زمرتها وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه (وهذه) أى المذكورة وهى السيدة عائشة رضى الله عنها (هى التى برأها الله تعالى فى كتابه العزيز) أى أنزل براءتها على المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فى سورة النور ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات الى قوله تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فاذا كان كذلك (فيجب تبرئتها) رضى الله عنها (مما رماها به المنافقون من الافك) أى أشد الكذب والذى تولى كبره أى معظمه عبد الله بن أبى ابن سلول لعنه الله تعالى وغضب عليه وأعد له عذابا أليما وأبى اسم أبيه وسلول اسم أمه وقد جاء القرآن العظيم ببراءتها وانعقد عليها اجماع الامة المحمدية ووردت به الاحاديث الصحيحة (فمن يجحد براءتها أوشك فيها كفر) والعياذ بالله تعالى قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى فى سيرته ما ملخصه قال السهيلى رحمه الله تعالى ان من نسب عائشة رضى الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفى الخصائص للسيوطى من قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة رضى الله عنها وحضر بعض الشيعة فى مجلس الحسن بن زيد الرفاعى وكان من عظماء أهل طبرستان فذكر الشيعى عائشة رضى الله عنها ونسب اليها شيأ من القبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا

وهذه هى التى برأها الله تعالى فى كتابه العزيز فيجب تبرئتها مما رماها به المنافقون من الافك فمن يجحد براءتها أوشك فيها كفر

وفى قولى والصديق فيه نظر اشارة الى ما قاله الشبرخيتى قلت وفى ذكر الصديق نظر لان جملة ما روى له مائة حديث واثنان وأربعون حديثا كما قاله النووى فى تهذيبه والسبب فى قلة الرواية عنه مع تقدمه وسبقه وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم انه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه اه قلت ويروى بدل عائشة جابر وبدل صديقه بهاء الضمير الذى المراد منه الصديق صديقة بالتاء المربوطة ويعنى به عائشة ففيه على هذا اثبات جابر واخراج الصديق فيكون على هذه الرواية نظم البيت هكذا

أبو هريرة سعد جابر انس
صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

وحينئذ يندفع النظر الذى أورده الشبرخيتى ويكون الذين رووا فوق الالف ثمانية وعلى هذا

وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها فضرب عنقه وحاصل قصة الافك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فلما أراد التوجه لغزوة بني المصطلق وتسمى غزوة المريسيع أقرع بينهن فخرجت القرعة على عائشة فتوجهت معه ففي رجوعهم منها ضاع عقدها وكان من جزع ظفار بفتح الجيم وسكون الزاي أو فتحها أي خرز منسوب لظفار وهي بلدة في اليمن فتخلفت في طلبه فحمل هودجها وهو مركب من مراكب النساء كالقبة ظنا انها فيه لانها كانت خفيفة كما أخبرت بذلك وسار القوم ورجعت اليهم فلم تجدهم فمكثت مكانها فأخذها النوم فمر بها صفوان بن المعطل وكان يعرفها قبل آية الحجاب وكان يتخلف ليلتقط ما يسقط من المتاع أو لانه كان ثقيل النوم فبرك ناقته وولاها ظهره وصار يسترجع جهرا حتى استيقظت وحملها على الناقة ولم ينظر اليها وقادها الناقة مولها ظهره حتى أدرك بها النبي صلى الله عليه وسلم فرموها به وفشا ذلك بين المنافقين وضعفاء المسلمين فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فجمع الصحابة وقال يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ماعلمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا فقال سعد بن معاذ سيد الاوس أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقال سعد بن عبادة سيد الخزرج كذبت لا تقدر على قتله فهم الاوس والخزرج بالقتال فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن ذلك فأنزل الله في براءتها ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات الى قوله تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فقال أبو بكر لعائشة قومي فاشكري لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أشكر الا الله الذي برأني لكن لم يكن ذلك لشئ كان في نفسها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مقامها يجل عن ذلك وانما استغرقت في مقام الشهود فلم تشهد الا الله وتاب الله تعالى على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن اثاثة رضي الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنهما ما قال فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وكفر عن يمينه وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة (لطيفة) وهي ان ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء في رزقه
فان أمر الافك في مسطح * يحط أمر النجم من افقه
وقد جرى منه الذي قد جرى * وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده يقول

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق في حقه

يكون نظم الاصل مع التذييل هكذا
سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس
وعائش وابن عباس كذا ابن عمر
و زيد سيدنا الخدري ذاك أبو
سعيد الفخر فاستكمل ثمان غرر اهـ

(وسودة بنت زمعة رضى الله عنها) تزوجها صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من النبوة كانت تحت ابن عمها السكران بن عمرو وأسلم معها قديما وهاجرا الى الحبشة الهجرة الثانية فلما مات تزوجها صلى الله عليه وسلم قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى فى سيرته نقلا عن السيرة الحلبية وفى الشهر الذى توفيت فيه خديجة رضى الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وكانت رأت فى نومها ان النبى صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة أخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها وهى امرأة عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت قلت لما ماتت خديجة يارسول الله ألا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحق خلق الله بك عائشة بنت أبى بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام انه يتزوجها وجىء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزويج ثم يقول ان يكن هذا الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ماذكر فعلم أن الله سيقضى امره حين أنطقها بذلك ولا علم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبى فاذكريهما على فتم بعد ذلك أمرهما فعقد على عائشة رضى الله عنها ودخل بها فى المدينة بعد الهجرة كما تقدم ودخل بسودة رضى الله عنها فى الحال بمكة اه ملخصا ولما كبرت سودة رضى الله عنها عنده صلى الله عليه وسلم أراد طلاقها فسألته الا يفعل وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها كما تقدم فامسكها صلى الله عليه وسلم ماتت فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه على المشهور (وحفصة بنت) سيدنا (عمر بن الخطاب رضى الله عنهما) تزوجها صلى الله عليه وسلم فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة على الاشهر وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين توفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها بعض الطريق ثم حمل أبو هريرة الى قبرها وكان صلى الله عليه وسلم طلقها تطليقة واحدة لانها أفشت أمرا أسره اليها لعائشة وكان بينهما مصادقة ومصافاة فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال له راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة وفى رواية طلق صلى الله عليه وسلم حفصة فبلغ ذلك عمر فحثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم من الغد وقال ان الله يأمرك ان تراجع حفصة رحمة لعمر وقال جماعة لم يطلقها بل هم بتطليقها فقط وعليه يراد براجعها امساكها والرضا عنها رضى الله عنها افاده العلامة العدوى الحمزاوى رحمه الله تعالى فى النفحات الشاذلية كالمواهب (وأم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة) ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية (رضى الله عنها) تزوجها صلى الله عليه وسلم فى آخر شوال سنة أربع ولما أرسل اليها صلى الله عليه وسلم يخطبها قالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا الا ان فى خلالا ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصبية أى ذات صبيان وأنا امرأة ليس هنا أحد من أوليائى فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أما ما ذكرت من غيرتك فانى أرجو الله ان يذهبها وأما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهنى فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه

وسودة بنت زمعة رضى الله عنها وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة رضى الله عنها

(قوله بعدها) أى التطليقة الواحدة

وسلم فزوجها فاستدل به على ان الابن يلي عقد أمه وهو بخلاف مذهبنا معشر الشافعية ويشهد لمالك ودفع بانه انما زوجها بالعصوبة لانه ابن ابن عمها كما بين في السير توفيت في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة ستين على الصحيح وقد بلغت أربعا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها رضي الله عنها أبو هريرة رضي الله عنه أفاده في النفحات (وزينب بنت جحش رضي الله عنها) وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم زينب خشية ان يقال خرج من عند برة وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها فلما حلت زوجه الله اياها سنة أربع على أحد الاقوال وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة بقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وكانت تفخر على نسائه صلى الله عليه وسلم وتقول ان آباءكن أنكحوكن وان الله تعالى أنكحني اياه من فوق سبع سموات وفيها نزل الحجاب وهي أول نسائه لحوقا به كما اشار الى ذلك الصادق المصدوق ففي مسلم عن عائشة ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن له أينا أسرع بك لحوقا قال أطولكن يدا فكان أسرعهن لحوقا به زينب بنت جحش فعلمن ان طول يدها بسبب انها كانت تعمل وتتصدق كثيرا توفيت سنة عشرين أو احدى وعشرين وقد بلغت ثلاثا وخمسين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب وكانت عائشة تقول هي التي تساميني في المنزلة عنده صلى الله عليه وسلم ومارأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة رضي الله عنها ونفعنا بها انتهى نفحات بالاختصار (وجويرية بنت الحارث رضي الله عنها) وقعت يوم المريسيع في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها على تسع أواق من الذهب فأداها عنها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم جويرية كما تقدم من أنه خشية أن يقال خرج من عند برة وكانت ذات جمال وعندما تزوجها قال الناس في حق بني المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسلوا ما بأيديهم من سبايا بني المصطلق قالت عائشة فلم نعلم امرأة أكثر بركة على قومها منها توفيت بالمدينة في ربيع الاول سنة ست وخمسين وقد بلغت سبعين سنة وصلى عليها رضي الله عنها مروان بن الحكم قاله في النفحات وان أردت الزيادة على ذلك فانظر سيرة شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى والرياض المستطابة (وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما) والد سيدنا معاوية رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه وأبو سفيان كنيته واسمه صخر بن حرب هاجرت مع زوجها عبيد الله بالتصغير ابن جحش الى الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وتنصر ومات على النصرانية هو وثبتت هي على الاسلام فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في زواجها عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي فزوجه اياها بطريق الوكالة عنه صلى الله عليه وسلم وأمهرها عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد بن سعيد ابن العاصي لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشي اليه صلى الله عليه وسلم سنة ست على خلاف في جميع ذلك ماتت سنة أربع وأربعين رضي الله عنها ورحمها أفاده في النفحات مع زيادة من الرياض المستطابة (وصفية بنت حيي بن أخطب) النضرية الاسرائيلية الهارونية فهي رضي الله عنها من نسل هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام كان أبوها سيد بني النضير فقتل مع بني قريظة اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه من سبي خيبر فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة ماتت في رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع قاله في النفحات (وميمونة بنت الحارث رضي الله عنها) تزوجها صلى الله عليه وسلم

رضي الله عنهما وصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها من نسل هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام وميمونة بنت الحرث رضي الله عنها

(قوله وكان اسمها برة) بفتح الموحدة والراء المشددة وقوله فسماها زينب أي لما دخلت عليه وقوله خشية ان يقال خرج من عند برة أي أو ما هنا برة مثلا وذلك لحبه صلى الله عليه وسلم الفأل الحسن لا لانها كانت تزكي نفسها كما زعم لانه سوء ظن أفاده الزرقاني على المواهب (قوله من نسل هارون) يدل لذلك رواية أبي نعيم في الحلية باسناده عن أنس رضي الله عنه قال بلغ صفية ان حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت لها يا بنت اليهودي فبكت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما شأنك فقالت قالت لي حفصة يا بنت اليهودي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لبنت نبي يعني هارون وان عمك لنبي يعني موسى وانك لتحت نبي فبم تفخر عليك حفصة ثم قال اتقي الله يا حفصة لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته (قوله فقتل مع بني قريظة) أي على اليهودية كما في السيرة (قوله اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه) كما

وأما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربع مارية القبطية وريحانة بنت زيد من بني النضير رضي الله عنها وجارية وهبتها له زينب بنت جحش أخرى اسمها زليخا القرظية (تتمة) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أفضل زوجاته صلى الله عليه وسلم بل في أفضل النساء مطلقا ❁ قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في السيرة لما جمع سبي خيبر جاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال يارسول اعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية (١٠١) سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سبط هارون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم اعتقها وتزوجها وفي المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبي ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليست ممن توهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك

كما قاله شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته وغيره في هلال ذي القعدة سنة سبع بعد غزوة خيبر عند رجوعه من عمرة القضاء وهو حلال بسرف وجاء في رواية انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول وعلى تسليم الثاني وهو كونه عقد عليها وهو محرم معناه انه في الشهر الحرام كقول الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ❁ ودعا فلم أر مثله مخذولا

أي لان قتله كان في ذي الحجة كما تقدم على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له أن ينكح وهو محرم وهي خالة ولد العباس وخالة خالد بن الوليد وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة لما تقدم أي من انه خشية ان يقال خرج من عند برة توفيت بسرف المذكور سنة احدى وخمسين في الثالث عشر من صفر الخير على ما هو مشهور عند أهل مكة وعليه الآن عملهم فانهم في كل عام من الشهر المذكور يخرجون جماغفير الزيارتها والتبرك بها فقبرها رضي الله عنها مشهور يزار ويتبرك به وقد بلغت ثمانين سنة وقيل غير ذلك وهي آخر من تزوج بها صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من أزواجه وقال ابن شهاب هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ولها مناقب كثيرة شهيرة رضي الله عنها ونفعنا بتراب أقدامها (وأما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربع مارية القبطية) التي أهداها المقوقس كما تقدم له صلى الله عليه وسلم مع أشياء ذكرها كغيره شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته وكان عليه الصلاة والسلام معجبا بها لانها كانت بيضاء جميلة وهي أم ولده ابراهيم كما تقدم جاء انه صلى الله عليه وسلم قال ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم رحما وصهرا والمراد بالرحم أم اسمعيل بن ابراهيم جده صلى الله عليه وسلم فانها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده ابراهيم فانها كانت قبطية أيضا كما علمت (وريحانة بنت زيد من بني النضير رضي الله عنها) فكانت موطوأته بملك اليمين وقيل كانت تحت رجل من بني قريظة فوقعت في سبي بني قريظة فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فاعتقها وتزوجها وأصدقها وأعرس بها في المحرم سنة ستة وطلقها صلى الله عليه وسلم لشدة غيرتها عليه فلما كثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع ودفنها بالبقيع وعلى هذا القول يكون الذي دخل بهن صلى الله عليه وسلم من الزوجات ثنتا عشرة امرأة واختار هذا القول الصبان رحمه الله تعالى في رسالته (وجارية وهبتها له) صلى الله عليه وسلم (زينب بنت جحش) رضي الله عنها (و) جارية (أخرى اسمها زليخا القرظية) رضوان الله تعالى عليهن أجمعين (تتمة اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أفضل زوجاته صلى الله عليه وسلم بل في أفضل النساء مطلقا) أي سواء كن زوجاته صلى الله عليه وسلم أولا

رضا الجميع وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر في وجهها حتى اتي بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فاخبرته وأخرج ابن أبي عاصم عن ابي برزة رضي الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت في المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ما تمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا ولا تنافي لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فاخبرت بالمنام الاول أباها وبالثاني زوجها (قوله وريحانة بنت زيد من بني النضير) هكذا نسبها الصبان رحمه الله تعالى

والاقرب عند كثير ان أفضل النساء مريم ففاطمة فخديجة فعائشة فآسية ﷺ في رسالته المسماة باسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين وفي المواهب وشرحها وريحانة بنت شمعون من بني عمر بن قريظة في قول ابن اسحق وقيل من بني النضير ويجمع بين القولين بانها كانت متزوجة في بني قريظة فسبيت معهم وان كانت نضرية نسبا لكن قول ابن اسحق من بني عمر ابن قريظة يأبى ذلك لظهوره في انها من بني قريظة نسبا وقد قال ابن عبد البر قول الاكثر انها قرظية وقيل نضرية وجزم شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى في سيرته بانها قرظية نسبا ونص عبارته واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نساء بني قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظي فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ أي نصف أوقية وأعرس بها في المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين اهـ

(والاقرب عند كثير) من العلماء رحمهم الله تعالى (ان أفضل النساء مريم) بنت عمران أم سيدنا عيسى عليهما السلام (ففاطمة) بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فخديجة) بنت خويلد (فعائشة) بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما (فآسية) امرأة فرعون رضي الله عنها وعبارة ابن حجر رحمه الله في شرح الهمزية وعائشة وخديجة رضي الله عنهما أفضل أمهات المؤمنين ثم الاصح ان خديجة أفضل لما صح ان عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقني خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين أحرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم اقرأ عائشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى والاصح أيضا ان فاطمة أفضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شئ والخبر المقتضي لخيرة خديجة أجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة واختار أيضا ان مريم أفضل من خديجة للاختلاف في نبوتها اهـ وقوله وممن جرى على ذلك السبكي لعل نقله اختياره ماذكر في غير مقاصد المقاصد امافيه فان ظاهر عبارته انه تردد هل الافضل خديجة أو عائشة لانه أتى بأو التي للتردد ونصها افضل النساء مريم ففاطمة فخديجة أو عائشة فآسية ثم قال وقد نظمتهن وزدت ان آسية ومريم وأخت موسى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة فقلت

فضلى النسا بنت عمران ففاطمه * فامها أوفمن قد برأ الله
فزوج فرعون مع أخت الكليم ومر * يم لاحمد زوجات باخراه

و بعضهم جزم بافضلية عائشة على خديجة قال الامام الزرقاني رحمه الله تعالى في شرح المواهب واستدل على ذلك بما رواه ابن سعد عن عائشة فضلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعشر لم ينكح بكرا قط غيري ولا امرأة أبواها مهاجران غيري وأنزل الله براءتي من السماء وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة وكنت اغتسل أنا وهو في اناء واحد ولم يصنع ذلك باحد من نسائه غيري وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه دون غيري وكان ينزل عليه الوحي وهو معي في لحاف واحد ولم ينزل وهو مع غيري وقبض وهو بين نحري وسحري أي ورأسه الشريف موضوع على أعلى صدري قال في المصباح السحر الرقبة وقيل ما لصق بالحلقوم والمرئ من أعلى البطن وقولها وجاء جبريل بصورتي من السماء جاء فيه حديث البخاري ومسلم رأيتك في المنام ثلاث ليال جاء بك الملك في سرقة بفتح السين والراء أي بشقة من حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فاقول ان يك من عند الله يمضه قال في المواهب وفي الترمذي ان جبريل جاء عليه الصلاة والسلام بصورتها في خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة وحسبها فضلا قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وفصل شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى في شرح البهجة فقال الذي اختاره ان الافضلية محمولة على أحوال فعائشة أفضل من حيث العلم وخديجة من حيث تقدمها واعانتها له صلى الله عليه وسلم في المهمات وفاطمة من حيث البضعة والقرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن مع الانبياء وآسية من حيث الاختلاف في نبوتها وان لم تذكر مع الانبياء انتهى ونقل عن الاشعري الوقف قال بعضهم وهو المذهب الاسلم كما قاله ابن جماعة وهو الذي مال اليه القاضي أبو جعفر الاستر وشني من الحنفية وبعض الشافعية لتعارض الادلة في ذلك لقوله عليه السلام لفاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين أو نساء هذه الامة

(قوله ان آسية ومريم وأخت موسى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم) أي لما ورد انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضي الله عنها وهي

ولقوله

ولقوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواهما الشيخان اهـ
(تنبيه يجب حب آل النبي صلى الله عليه وسلم) هم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب (وأزواجه وذريته وقرابته) صلى الله عليه وسلم (وتعظيمهم واحترامهم وتوقيرهم وإكرامهم) وذلك لأن الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما فضله به وحباه أعلى ببركته من انتمى اليه نسبا أو نسبة ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة وألزم سبحانه وتعالى مودة قرباه كافة بريته فرض المحبة لأهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم بحسب سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها ولكنها دلت على ذلك فمن ذلك ما صح أنه صلى الله عليه وسلم جعل عليا وفاطمة والحسنين تحت كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين ثلاثا فعلم ان المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن أمهات المؤمنين وأهل بيت نسبه وهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب ومنبع فضائلهم الآية السابقة لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفي أحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرهم المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنهم ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم أكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم هؤلاء أهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وصح حديث ان مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث سألت ربي أن لا أتزوج الى أحد من أمتي ولا يتزوج الى أحد من أمتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك وحديث أحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وابنيهما وحديث ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي وويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا كبه الله في النار أفاده ابن حجر في شرح الهمزية وفي المشرع عنه عليه الصلاة والسلام أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه وقال عليه الصلاة والسلام ان الله فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن أحبهم من النار وقال عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال عليه السلام المرء مع من أحب وقال صلى الله عليه وسلم من أحب قوما فهو منهم قال بشر بن الحرث رأيته عليه السلام فقال يا بشر أتدري لم رفعك الله تعالى من بين أقرانك قلت لا قال باتباعك لسنتي وخدمتك الصالحين ونصحك لاخوانك ومحبتك لاصحابي وأهل بيتي

(تنبيه) يجب حب آل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذريته وقرابته وتعظيمهم واحترامهم وتوقيرهم وإكرامهم

في الموت فقال لها يا خديجة ذا لقيت ضراتك فاقرئهن مني السلام فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكلثم أخت موسى فقالت يا رسول الله بالرفاء والبنين اهـ زرقاني على المواهب وفي الجامع الصغير عنه عليه الصلاة والسلام ان الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى اهـ مؤلف

هذا الذي بلغك منازل الابرار ولله در امامنا الشافعي رضي الله عنه ونفعنا به حيث قال ولقد أجاد في المقال

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

وكون الصلاة عليهم في الصلاة واجبة هو قول عند الامام أحمد رحمه الله ونقل عن الشافعي أيضا وبالجملة ففضائلهم لا تحصى ومزاياهم لا تستقصى كيف وقد أثنى الله ورسوله عليهم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشئ من نهايته ولله در من قال ولقد أحسن في المقال

قال لي قائل رأيتك تهوى * آل طه ودائما تجتبيهم
ان حقا عليك تستغرق العمر * مديحا فيهم وفيمن يليهم
قلت ماذا أقول والكون طرا * يستمد العطاء من ناديهم
أنالا أستطيع أمدح قوما * كان جبريل خادما لابيهم

جعلنا الله ممن قام بواجب حقهم ومعالي شرفهم ونفعنا ببركتهم وأماتنا على حبهم وحشرنا في زمرتهم بجاه جدهم واعلم ان شرط محبة أهل البيت النافعة محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الطعن في أحد منهم وتقدمت أحاديث في فضل الصحابة والتحذير من التعرض لاحد منهم بشئ فيه تنقيص أحد منهم فحبتهم ومحبة أهل البيت مقترنان لا ينتفع باحداهما دون الاخرى فاحذر أيها المشفق على دينه ان تصغي الى شئ مما تختلقه الرافضة والخوارج في حق أحد من الصحابة أو أهل البيت من الافك والتنقيص فان أهل السنة هم العارفون بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا أولئك المارقون الطاعنون في أحد منهم وقد ورد أحاديث دالة على ان أولئك الطاعنين هم شر الخليقة وكلاب أهل النار فنسأل الله تعالى أن يحفظنا مما وقعوا فيه وأن يحيينا ويميتنا على محبة الصحابة وأهل البيت وأن يحشرنا في زمرتهم وان لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة نطالب بها يوم القيامة فان ذلك مما لا يغفر سلمنا الله منه وكرمه آمين بجاه الامين (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (الايمان ببعض أوصافه صلى الله عليه وسلم بان يجزم) المكلف (بأنه صلى الله عليه وسلم كان ابيض اللون مشربا) أي مخلوطا (بالحمرة) أي فليس لونه صلى الله عليه وسلم بياضا صرفا ولا حمرة صرفة بل البياض المخلوط بالحمرة الذي هو أشرف الالوان بالنسبة لهذه الدار وأما بالنسبة لتلك الدار فأشرفها البياض المشرب بصفرة كما يكون عليه أهل الجنة كما قال جمهور المفسرين في قوله تعالى كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في عشه ولونه حينئذ بياض به صفرة حسنة ولم يكن صلى الله عليه وسلم في الدنيا كهو في الآخرة لئلا يفوته أحد الاحسنين فجمع الله له بين الاشرفين زيادة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم (تنبيه) قال أئمتنا يكفر من قال كان النبي أسود لان وصفه بغير صفته في قوة نفيه فيكون تكذيبا به ومنه يؤخذ ان كل صفة علم ثبوتها له بالتواتر كان نفيها كفرا للعلة المذكورة وقول بعضهم لا بد في الكفر من أن يصفه بصفة تشعر بنقصه كالسواد هنا لانه لون مفضول فيه نظر لان العلة ليست هي النقص بل ما ذكر فالوجه انه لا فرق اه ابن حجر رحمه الله على الشمائل (و) بان يجزم (بانه صلى الله عليه وسلم ولد في) بلد الله الحرام (مكة) المشرفة شرفها الله وشرف ساكنها وجعل تعالى لنا بها اقرارا ورزقا حسنا مع الادب التام بجاهه عليه الصلاة والسلام وسميت مكة لانها مأخوذة من المك وهو الازالة فانها تزيل الذنوب وتمحوها وهي البلدة التي لا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها وكان مولده في المكان المعروف الآن

ومنها الايمان ببعض أوصافه صلى الله عليه وسلم بان يجزم بانه صلى الله عليه وسلم كان أبيض اللون مشربا بالحمرة وبانه صلى الله عليه وسلم ولد في مكة

(قوله بل البياض المخلوط بالحمرة) الذي هو أشرف الالوان بالنسبة لهذه الدار ان قيل من عادة العرب ان تمدح النساء بالبياض المشرب بصفرة كما وقع في لامية امرئ القيس وهذا يدل على انه فاضل في هذه الدار أيضا أجيب بانه لا نزاع في انه فاضل فيها ولكن البياض المشرب بحمرة أفضل منه فيها وحكمة التفرقة بين هذه الدار وتلك الدار ان الشوب بالحمرة ينشأ عن الدم وجريانه في البدن وعروقه وهو من الفضلات التي تنشأ عن أغذية هذه الدار فناسب الشوب بالحمرة فيها وأما الشوب بالصفرة التي تورث البياض صقالة وصفاء فلا ينشأ عادة عن غذاء من أغذية هذه الدار فناسب الشوب بالصفرة في تلك الدار فظهر ان الشوب في كل من الدارين بما يناسبه

وبعث فيها وتوفي في
المدينة ودفن فيها
ويجب على الآباء أن
يعلموا أولادهم ذلك
ومنها ثبوت الكرامات
للاولياء

يسوق الليل (وبعث) بالنبوة والرسالة (فيها) أي جاءه الامين جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى بعد تمام أربعين سنة فأقام فيها بعد نزول الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فأقام فيها عشر سنين (وتوفي في المدينة) المنورة (ودفن فيها) أي فيكون عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة على الصحيح (ويجب على) كل من (الآباء) والامهات ثم الوصي ثم الحاكم (ان يعلموا أولادهم) قبل الامر بالصلاة (ذلك) أي المذكور من انه صلى الله عليه وسلم كان أبيض اللون مشربا بالحمرة وانه ولد في مكة وبعث فيها وتوفي في المدينة ودفن فيها ووجوب تعليم ما ذكر ما عدا الاول أعني كونه صلى الله عليه وسلم كان أبيض اللون مشربا بالحمرة هو ما اعتمده في متن العباب ومثله ابن السمعاني وقال الرملي في شرح العباب ينبغي أن يكون ذلك على وجه الاكملية لا الوجوب اه واعتمد ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح المنهاج ما اعتمده الاولان وزاد وجوب تعليم الاول وغيره من نحو وجوب بيان معنى النبوة والرسالة وملخص عبارته يجب تعلمه يعني الصبي ما يضطر الى معرفته من الامور الضرورية التي يكفر جاحدها ويشترك فيها العام والخاص ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث بمكة ودفن بالمدينة كذا اقتصروا عليهما وكان وجهه ان انكار أحدهما كفر لكن لا ينحصر الامر فيهما وحينئذ فلا بد أن يذكر له من أوصافه صلى الله عليه وسلم الظاهرة المتواترة ما يميزه ولو بوجه ثم ذينك أعني كونه صلى الله عليه وسلم بعث بمكة ودفن بالمدينة وأما مجرد الحكم بهما قبل تمييزه بوجه فغير مفيد فيجب بيان النبوة والرسالة وان محمدا الذي هو من قريش واسم أبيه كذا واسم أمه كذا وبعث بكذا ودفن بكذا نبي الله ورسوله الى الخلق كافة ويتعين أيضا ذكر لونه ثم أمره بها أي الصلاة ولو قضاء اه (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (ثبوت الكرامات للاولياء) فيجب اعتقاد ثبوتها بمعنى جوازها ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب اليه جمهور أهل السنة وليس في مذهب من المذاهب الاربعة قول بنفيها بعد الموت بل ظهورها حينئذ أولى لان النفس حينئذ صافية من الاكدار ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق وقال الشعراني ذكر لي بعض المشايخ ان الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكا يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه واستدلوا على الجواز بانه لا يلزم من فرض وقوعها محال وكل ما كان كذلك فهو جائز وعلى الوقوع بما جاء في الكتاب العزيز من قصة مريم قال تعالى وانبتها نباتا حسنا الآية أي أنشأها انشاء حسنا بأن سوى خلقها وجعلها تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وكفلها زكريا وكان لا يدخل عليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وقصة أصحاب الكهف وهم سبعة من أشراف الروم خافوا بعد عيسى على ايمانهم من ملكهم فخرجوا ودخلوا غارا فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلثمائة وتسع سنين نياما بلا آفة وقصة آصف بالمد وفتح الصاد وزير سليمان وكان يعرف الاسم الاعظم فقال لسليمان انظر الى السماء فنظر اليها فدعا آصف بالاسم الاعظم ان يأتي الله بعرش بلقيس فأتى به فرد سليمان طرفه فوجده بين يديه وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين الى وقتنا هذا فقد روى ان عمر بن الخطاب رأى العدو من مسافة شهر فقال يا سارية الجبل الجبل فسمع سارية صوته فانحاز بالناس الى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم الله تعالى وروى ان عبد الله الشقيق كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا أمطرت فتمطر في الحال واعلم ان الاولياء جمع ولي وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى انه لا يرتكب معصية بدون

توبة وليس المراد انه لا تقع منه معصية بالكلية اذ ليس معصوما وقولهم لا يكذب الولي أي بلسان حاله بان تظهر خلاف ما يبطن المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة وأما أصل التناول فلا مانع منه لاسيما اذا كان بقصد التقوى على العبادة وسمي وليا لان الله تولى أمره فلم يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة ولانه يتولى عبادة الله على الدوام من غير ان يتخللها عصيان وكلا المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولي عندنا وليا في نفس الامر والكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم وسبق ما يتعلق بخوارق العادة عند المعجزات (خلافا لمن نفاها) أي الكرامة (عنهم) أي الاولياء وقال بعدم جوازها كالاستاذ أبي عبد الله الحليمي من أهل السنة وجمهور المعتزلة وتمسك من نفى الكرامة بانه لو ظهرت الخوارق من الاولياء لالتبس النبي بغيره لان الخارق انما هو المعجزة وبانها لو ظهرت على أيديهم لكثرت بكثرتهم وخرجت عن كونها خارقة للعادة والفرض انها كذلك ورد الاول بانه ليس في وقوعها التباس النبي بغيره للفرق بين المعجزة والكرامة بدعوى النبوة في الاولى وعدمها في الثانية ورد الثاني بانا لا نسلم انها تخرج بكثرتها عن كونها خارقة للعادة بل غاية الامر استمرار خرق العادة وذلك لا يوجب كونه عادة وسئل بعضهم لاي شئ كثرت الكرامات في الزمان المتأخر عن الزمان المتقدم فأجاب بأن ذلك لضعف اعتقاد المتأخرين فاحتيج لتأليفهم بالكرامات ليعتقدوا في الصالحين وأما المتقدمون فاعتقادهم تابع لميزان الشرع (ومنها) أي ومن تلك الاشياء السمعية التي يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون الدعاء) الذي هو الطلب على سبيل التضرع وقيل رفع الحاجات الى رافع الدرجات (نافعا) للاحياء والاموات ان دعوت لهم ويضرهم ان دعوت عليهم وان صدر عن كافر على الراجح لحديث أنس رضي الله عنه دعوة المظلوم مستجابة ولو كافرا وأما قوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال فمعناه انه لا يستجاب لهم في خصوص الدعاء بتخفيف عذاب جهنم عنهم يوم القيامة والدليل على ان الدعاء ينفع الكتاب والسنة والاجماع فمن الكتاب قوله تعالى ادعوني أستجب لكم وقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم لا تغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل ويتلقاه الدعاء فيتعالجان الى يوم القيامة رواه الحاكم وصححه وقد دعا صلى الله عليه وسلم ربه في مواطن كثيرة كيوم بدر وأما الاجماع فاجماع السلف والخلف من أهل السنة على نفع الدعاء خلافا للمعتزلة في قولهم ان الدعاء لا ينفع ولا يكفرون بذلك لانهم لم يكذبوا القرآن كالآيتين السابقتين بل أوّلوا الدعاء بالعبادة والاجابة بالثواب والدعاء ينفع في القضاء المبرم والقضاء المعلق أما الثاني فلا استحالة في رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ولا في نزول ما علق نزوله منه على الدعاء وأما الاول فالدعاء وان لم يرفعه لكن الله تعالى ينزل لطفه بالداعي كما اذا قضى عليه قضاء مبرما بان ينزل عليه صخرة فاذا دعا الله تعالى حصل له اللطف بان تصير الصخرة متفتتة كالرمل وتنزل عليه وانقسام القضاء الى مبرم ومعلق ظاهر بحسب اللوح المحفوظ وأما بحسب العلم فجميع الاشياء مبرمة لانه ان علم الله حصول المعلق عليه حصل المعلق ولا بد وان علم الله عدم حصوله لم يحصل ولا بد لكن لا يترك الشخص الدعاء اتكالا على ذلك كما لا يترك الاكل اتكالا على ابرام الله الامر في الشبع واعلم ان للدعاء شروطا وآدابا فمن شروطه أكل الحلال وان يدعو وهو موقن بالاجابة وان لا يكون قلبه غافلا وان لا يدعو بما فيه اثم أو قطيعة رحم أو اضاعة حقوق المسلمين وان لا يدعو بمحال ولو عادة

خلافا لمن نفاها عنهم ومنها كون الدعاء نافعا

(قوله وسئل بعضهم لاي شئ كثرت الكرامات الخ) عبارة ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتاوى الحديثية وانما كانت الكرامة بعد زمن الصحابة رضي الله عنهم أكثر قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه لان أولئك كان ايمانهم قويا فلم يحتاجوا الى زيادة مقو بخلاف من بعدهم فقووا بزيادة الكرامات وقال الشهاب السهروردي وهو كالشرح لما قبله لانهم ببركة رؤيته صلى الله عليه وسلم ومشاهدته مع نزول الوحي تنورت بواطنهم وتركت نفوسهم وانصقلت مرآة قلوبهم فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة واستطلاع أنوار القدرة اه

لان الدعاء به يشبه التحكم على الله الذى قضى بدوام العادة وذلك اساءة أدب عليه تعالى ومن آدابه ان يتخير الاوقات الفاضلة كان يدعو فى السجود وعند الاذان والاقامة ومنها تقديم الوضوء والصلاة واستقبال القبلة ورفع الايدى الى جهة السماء وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب والاخلاص وافتتاحه بالحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وختمه بهما وجعل الصلاة فى وسطه أيضا وعن على كرم الله وجهه كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وآل محمد وقال ابن عطاء الله رحمه الله للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار فى السماء وان وافق أسبابه نجح وان وافق مواقيته فاز فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخضوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب وأجنحته الصدق وأسبابه الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومواقيته الاسحار ثم ان الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة ناجزة وفى ذلك الغير مصلحة ناجزة أو يكون فى المطلوب مصلحة وفى ذلك الغير أصلح منها على ان الاجابة مقيدة بالمشيئة كما يدل عليه قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فهو مقيد لاطلاق الآيتين السابقتين فالمعنى ادعونى استجب لكم ان شئت وأجيب دعوة الداعى ان شئت (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون القاتل لم يقطع على المقتول أجله) فيجب اعتقاد ان المقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله فى الوقت الذى علم الله أزلا حصول موته فيه بخلقه تعالى من غير مدخلية للقاتل فيه وانما وجب عليه القصاص نظرا للكسب فقط فالعمر واحد لا يزيد ولا ينقص وكل هالك لابد أن يستوفى أجله من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه وما ورد من أن بعض الطاعات كصلة الرحم يزيد فى العمر مؤول بان الزيادة فيه بحسب الخير والبركة وقيل غير ذلك خلافا للجمهور والمعتزلة القائلين بان القاتل قطع على المقتول أجله (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون شهيد المعركة حيا مرزوقا) فيجب اعتقاد ذلك وكيفية حياته غير معلومة لنا والموتى وان كانوا كلهم احياء لاتصال أرواحهم بأجسادهم لكن الشهداء أكمل حياة من غيرهم والانبياء أكمل حياة من الشهداء وقيل هى حياة حقيقية ثابتة للروح والجسم معا ولا يلزم من ذلك ان تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج للطعام والشراب وغيرهما من صفات الاجسام التى نشاهدها فى الدنيا بل يكون لها حكم آخر فأكلهم وشربهم للتلذذ لا للاحتياج وهو مرزوق من مأكول الجنة ومشروبها وملبوسها وغير ذلك قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والمراد بشهيد المعركة من قاتل بنية اعلاء كلمة الله تعالى فقتل وهذا يقال له شهيد الدنيا والآخرة وأما من قاتل لاجل الغنيمة أو غيرها من المقاصد الدنيوية فقتل فليس له منزلة الشهداء فى الآخرة وان جرت عليه أحكامهم فى الدنيا وهذا يقال له شهيد الدنيا فقط والميت بالطعن أو داء البطن أو نحوهما يقال له شهيد الآخرة فقط فهو كالاول فى الثواب لكنه دونه فى الحياة والرزق ولا تجرى عليه أحكام الشهداء فى الدنيا فانه يغسل ويصلى عليه فالشهيد ثلاثة أقسام شهيد الدنيا والآخرة وشهيد الدنيا فقط وشهيد الآخرة فقط والاول هو المراد هنا (والرزق عند أهل السنة ما ساقه الله للحيوان آدميا وغيره فانتفع به بالفعل سواء كان من المأكولات أو غيرها وسواء كان حلالا أو حراما أو مكروها) فمن ملك شيأ وتمكن من الانتفاع به ولم ينتفع به بالفعل فليس ذلك الشئ رزقا له وانما يكون رزقا لمن ينتفع

ومنها كون القاتل لم يقطع على المقتول أجله
ومنها كون شهيد المعركة حيا مرزوقا
والرزق عند أهل السنة ما ساقه الله للحيوان آدميا وغيره فانتفع به بالفعل سواء كان من المأكولات أو غيرها وسواء كان حلالا أو حراما أو مكروها

به بالفعل وورد فى الحديث عن ابن مسعود مرفوعا ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس
حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق على ان يطلبه
بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته يعنى ان جبريل القى فى قلبه صلى الله عليه
وسلم لن تموت نفس الخ وقال جماعة من المعتزلة الرزق كل ما ملك ويلزم على هذا ان الشخص
قد لا يستوفى رزقه وانه قد يأكل رزق غيره ويأكل غيره رزقه وتكون العبيد والاماء والدواب
ونحوها من كل ما لا يملك غير مرزوقة وهو باطل (فائدة) الارزاق نوعان ظاهرة للابدان كالاقوات
وباطنة للقلوب كالعلوم والمعارف (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف
أيضا اعتقادها (الموت) فيجب التصديق بعموم فناء الكل خلافا للدهرية فى قولهم ان هى الا أرحام
تدفع وأرض تبلع ويجب التصديق أيضا بانه على الوجه المعهود شرعا من فراغ الآجال المقدرة
خلافا للحكماء فى قولهم بانه بمجرد اختلال نظام الطبيعة وأصل وقوع الموت لا حاجة للنص عليه
لانه لا يشك فيه عاقل لكونه مشاهدا ويدل على ذلك قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقوله
تعالى كل نفس ذائقة الموت والاحاديث فيه كثيرة (ويقبض الروح) أى يخرجها من مقرها
(الملك الموكل بالموت وهو عزرائيل عليه السلام) كما تقدم وهو ملك عظيم هائل المنظر مفزع
جدا وأسه فى السماء العليا ورجلاه فى تخوم الارض السفلى أى منتهاها ووجهه مقابل للوح
المحفوظ والخلق بين عينيه وله أعوان بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه فى صورة حسنة دون
غيره وفى حديث ابن مسعود وابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال يا ملك الموت أرنى
كيف تقبض أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال اعرض فاعرض ثم نظر فاذا هو
برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك
الموت فى الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الا صورتك هذه
لكفاه فأرنى كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال اعرض فاعرض ثم التفت فاذا هو برجل شاب
أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فى ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند الموت من قرة
العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه وتقدم عند ذكر سيدنا عزرائيل شئ من ذلك
فارجع اليه ان شئت اللهم هون علينا سكرات الموت واجعل ملك الموت بنا رفيقا وبنزع روحنا
شفيقا وفى المتن افادة جوهرية الروح والا لم تقبض ومذهب أهل السنة من المتكلمين والمحدثين
والفقهاء والصوفية انها جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الاخضر وبهذا
جزم النووى كما سيأتى وذهب جماعة من الصوفية والمعتزلة انها ليست بجسم ولا عرض بل
جوهر مجرد متعلق بالبدن للتدبير غير داخل فيه ولا خارج عنه وأل فى الروح للاستغراق فهى
دالة على العموم والمراد جميع أرواح الثقلين ولو أرواح الشهداء براو بحرا وأرواح الملائكة حتى
روح نفسه على أحد القولين وقيل القابض لروحه هو الله عز وجل وأرواح البهائم والطيور
وغيرهم ولو بعوضة كما ذهب اليه أهل الحق خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا الى انه لا يقبض أرواح غير
الثقلين من الملائكة والطيور وغيرهم وللمبتدعة حيث ذهبوا الى انه لا يقبض أرواح البهائم بل
يقبضها أعوانه وقد اشار للرد على الجميع بأل الدالة على العموم ولمباشرة ملك الموت لذلك أسند اليه
التوفى كما فى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم كنسبته الى اعوانه لمعالجتهم نزعها
من العصب والعظم والعروق فى قوله تعالى توفته رسلنا وأما اسناد التوفى اليه تعالى فى قوله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فلانه الخالق لذلك حقيقة الموجد له (فائدة) مجىء الموت

ومنها الموت ويقبض الروح الملك الموكل بالموت وهو عزرائيل عليه السلام

والعبد على عمل صالح يسهل الموت وكذلك السواك كما في صحيح البخاري رحمه الله تعالى ومما يسهل الموت وجميع مابعده من الاهوال ماذكره السنوسي وغيره من صلاة ركعتين ليلة الجمعة بعد المغرب يقرأ بعد الفاتحة الزلزلة خمسة عشر مرة وروى ان سورتها تعدل نصف القرآن (فائدة أخرى) نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم يحضر عند موت المؤمن وورد في الحديث من قال اللهم صل على محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه اداء ثلاثا وثلاثين مرة فتح الله له مابين قبره وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم وعن علي مرفوعا من قال ليلة الجمعة ولو مرة اللهم صل على محمد النبي الامي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم كنت الحده بيده (ويجب عدم الخوض فيها) أي الروح أي في بيان حقيقتها العدم التوقيف (على المختار) فنمسك عن بيان حقيقتها وبيان مقرها من الجسد قال الجنيد رحمه الله تعالى الروح شئ استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجودة قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وفي ذلك اظهار العجز المرء حيث لم يعلم حقيقة نفسه التي بين جنبيه مع القطع بوجودها ولم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعه الله تعالى على جميع ما أبهمه عنه من الروح وغيرها مما يمكن علم البشر به لا على جميع معلوماته تعالى والا لزم مساواة الحادث للقديم وماخالف ذلك نحو ولا أعلم الغيب محمول على انه كان قبل أن يكشف له عن ذلك وانما وجب عدم الخوض في الروح (لانه لم يرد دليل عن الله تعالى ببيانها) وكل ماهو كذلك فيجب عدم الخوض فيه (لكن وجد لاهل مذهب) الامام (مالك) بن أنس (رحمه الله تعالى) ممن خاض في بيان حقيقة الروح (نص بانها) أي الروح (جسم) ذو صورة (كصورة الجسد) في الشكل والهيئة فقد نقل أصبغ عن ابن القاسم عن عبد الرحيم بن خالد قال الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس تسل من الجسد سلا وماذكر من الخوض في الروح هو غير المختار قال النووي وأصح ماقيل فيها على هذه الطريقة ماقاله امام الحرمين انها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الاخضر فتكون سارية في جميع البدن وقيل مقرها البطن وقيل القلب وقيل بقرب القلب والصواب ماقاله امام الحرمين وهذا في حالة الحياة وأما بعد الموت فأرواح السعداء بافنية في القبور على الصحيح وقيل عند آدم عليه السلام في سماء الدنيا لكن لادائما فلا ينافي انها تسرح حيث شاءت وأما أرواح الكفار ففي سجين في الارض السابعة السفلى محبوسة وقيل أرواح السعداء بالجابية في الشام وقيل ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت في حضرموت التي هي مدينة في اليمن وقيل لابن عباس رضي الله عنهما أين تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد فقال أين تذهب المصابيح عند فناء الادهان وهذا جواب مسكت والعجب من المبادرة به واعلم انه قد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في فناء الروح عند نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الاولى فذهبت طائفة الى الحكم بفنائها عند ذلك لظاهر قوله تعالى كل من عليها فان وذهبت طائفة أخرى الى الحكم بعدم فنائها عند ذلك وأما قبل نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الاولى فلا خلاف بين المسلمين في بقائها ولو بعد فناء الجسم وتكون منعمة ان كانت من أهل الخير ومعذبة ان كانت من أهل الشر وتسمى النفخة الاولى نفخة الفناء ولا يبقى عندها حي حياة دنيوية الامات ان لم يكن مات قبل ذلك والا غشي عليه ان كان مات قبل ذلك وكان حيا حياة برزخية كالانبياء عليهم الصلاة والسلام الا من شاء الله كالملائكة الاربعة الرؤساء والحور العين والولدان وموسى عليه الصلاة والسلام لانه صعق في الدنيا مرة فجوزي بها

ويجب عدم الخوض فيها على المختار لانه لم يرد دليل عن الله تعالى ببيانها لكن وجد لاهل مذهب مالك رحمه الله تعالى نص بانها جسم كصورة الجسد

فجميع الانبياء بعد الموت تعود اليهم أرواحهم ثم يغشى عليهم عند النفخة الاولى الا موسى لما حصل له في الدنيا ثم ينفخ اسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الثانية وتسمى نفخة البعث فيجمع الله الارواح في الصور وعند النفخة الثانية وفيه ثقب بعددها فتخرج منه الارواح الى أجسادها فلا تخطئ روح جسدها وبين النفختين أربعون عاما على الصحيح واختار الامام تقي الدين السبكي رحمه الله في كتابه المسمى بالدر النظيم من هذا الاختلاف القول ببقائها الذي عهد سابقا لانهم اتفقوا على بقائها بعد الموت لسؤالها في القبر وتنعمها أو تعذبها فيه والاصل في كل باق استمراره حتى يظهر ما يصرف عنه فالدليل على بقائها الاستصحاب فتكون من المستثنى بقوله تعالى الا من شاء الله وما قاله السبكي هو المختار عند أهل الحق ولهذا جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى كما ستراه قريبا ان شاء الله تعالى وان أردت بسط الكلام على أحوال الروح فانظر كتاب باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح للعلامة المرحوم بكرم البارى السيد عبد الهادى نجا الابيارى رحمه الله تعالى وأدام رضوانه عليه ووالى فان قيل كيف يخوضون في الروح مع ان الآية دالة على عدم الخوض فيها حيث أمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بان يقول قل الروح من أمر ربى أجيب بانه انما أمر عليه الصلاة والسلام بترك الجواب تصديقا لما في كتب اليهود من ان الامساك عن ذلك من علامات نبوته وأدلة رسالته (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون كل ماسوى الله تعالى وصفاته هالكا) فيجب اعتقاد ان كل مخلوق يعمه الفناء لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (واستثنى العلماء رحمهم الله تعالى من عمومه) أى عموم كون كل ماسوى الله وصفاته هالكا (أشياء) لا تفنى لورود الاحاديث باستثنائها وفي قوله رحمه الله تعالى واستثنى العلماء الخ اشارة الى الجواب عما يرد عليه كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اذ مقتضاه ان كل ماسواه تعالى محكوم عليه بالهلاك وحاصل الجواب ان العلماء رحمهم الله تعالى قصروا عموم ذلك على غير الامور التى وردت الاحاديث باستثنائها (منها) أى من تلك الاشياء التى استثناها العلماء من عموم كون كل ماسوى الله وصفاته هالكا (الروح) ولو بعد فناء الجسم وتكون منعمة ان كانت من أهل الخير ومعذبة ان كانت من أهل الشر (و) منها (عجب الذنب) وهو عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصعص مختص بالانسان كغرز الذنب للدابة واضافته للذنب من اضافة المماثل لمماثله فقوله عجب الذنب معناه عجب شبيه بالذنب ودليل كونه لا يبلى ماثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه خلق الخلق يوم القيامة وماثبت في صحيح مسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب وماثبت فيه أيضا ان في الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا (و) منها (أجساد الانبياء والشهداء) ومن في حكمهم (و) منها (العرش و) منها (الكرسى) سيأتى معناهما (و) منها (الجنة) وما فيها من الحور العين والولدان (و) منها (النار و) منها (نحو ذلك) أى كاللوح والقلم وقد نظم الجلال السيوطى ثمانية منها بقوله

ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون من حيز العدم
هى العرش والكرسى نار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وعلى هذا فتكون الآية من قبيل العام المخصوص والعام لفظ يستغرق الصالح له بغير حصر والتخصيص قصر العام على بعض افراده وهذا الجواب لجماعة كابن عباس وذهب محققو

ومنها كون كل ماسوى الله تعالى وصفاته هالكا واستثنى العلماء رحمهم الله تعالى من عمومه أشياء منها الروح وعجب الذنب وأجساد الانبياء والشهداء والعرش والكرسى والجنة والنار ونحو ذلك

(قوله ومن في حكمهم) أى ممن لا تفنى أجسامهم ولا تأكلها الارض واعلم ان جملة الذين لا تأكل الارض أجسامهم عشرة نظم منهم العلامة التتائى رحمه الله تعالى خمسة في بيتين وأضاف اليها العلامة الاجهورى رحمه الله تعالى خمسة في بيتين أيضا ونص الجميع

لا تأكل الارض جسما للنبى ولا
لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب
آذانه لاله مجرى الفلك
وزيد من صار صديقا كذلك من
غدا محبا لاجل الواحد الملك
ومن يموت بطعن والرباط ومن
كثير ذكر وهذا أعظم النسك

والمراد بالصديق من لا يزال يصدق ويتحرى الصدق اه مؤلف

المتأخرين الى انه لا استثناء ولا تخصيص وقالوا معنى هالك قابل للهلاك كما هو معنى فان أيضا (ومنها) أى ومن تلك الاشياء السمعية التى يجب على المكلف أيضا اعتقادها (كون كل ما جاء به النبى) الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم من كل حكم) بيان لكل ما جاء (صار) ذلك الحكم فى الاشتهار بين خواص المسلمين وعوامهم (كالامر الضرورى) الذى لا يخفى على أحد وذلك كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والخمر واباحة البيع والنكاح ونحوها وأما الحكم الذى لم يبلغ فى الاشتهار هذا الحد فلا يكفر منكره (حقا) أى ثابتا (يجب الايمان به) وهذا معطوف على ما قبله من عطف الخاص على العام لشموله ما تقدم وغيره وذلك كوجوب شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام وحرمة الزنا والخمر والربا وحل البيع والنكاح ونحو ذلك واذا ثبت كون كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم حقا يجب الايمان به (فمن نفى شيأ مما جاء به) النبى (صلى الله عليه وسلم و) الحال انه (كان) أى وجد (مجمعا عليه) اجماعا قطعيا وهو ما اتفق المعتبرون على كونه اجماعا بخلاف الاجماع السكوتى فانه ظنى لا قطعى وكان (معلوما) أى واضحا (من) أدلة (الدين بالضرورة) بحيث لا يحتاج الى استدلال فتستوى فى معرفته الخاصة والعامة ولا يكون الا مجمعا عليه (بلا عذر) هو مرتد عن دين الاسلام (فقد كفر) والعياذ بالله تعالى وذلك بأن ينفى وجوب الصلاة الخمس وصوم رمضان وحرمة الزنا وشرب الخمر واباحة البيع والنكاح مثلا كأن يقول الصلوات الخمس ونحوها مما هو واجب ليست واجبة وكان يقول الزنا ونحوه مما هو حرام ليس بحرام بل هو حلال وليحذر مما يقع من قول بعض الناس لبعض عند اللعب قتلك حلال أو نحو ذلك كقولهم حل قتلك فانهم يقولون ذلك على سبيل السخرية ولكنه يقتضى الكفر والعياذ بالله تعالى وكان يقول البيع ليس بحلال بل حرام والنكاح حرام ونحو ذلك ومثل ذلك ما لو زاد شيأ واعتقد وجوبه مما ليس بواجب بالاجماع كصلاة سادسة أو ركعة زائدة فى الصلوات الخمس وهذا باب لا ساحل له نجانا الله وجميع المسلمين منه بجاه ملاذنا آمين وقد تقدم شئ من ذلك فى مبحث الايمان والاسلام فارجع اليه ان شئت واحترز بقوله رحمه الله تعالى معلوما من الدين بالضرورة عما كان لا يعلمه الا الخواص ولو كان فيه نص كاستحقاق بنت الابن السدس مع بنت الصلب فلا يكفر من نفاه و بقوله بلا عذر المعذور كمن قرب عهده بالاسلام واذا ثبت كفر من نفى ما ذكر (فيقتل) أى يقتله الامام أو نائبه ان كان حرا بضرب عنقه بنحو سيف لا باحراق ونحوه فان قتله غير الامام عزر وان كان رقيقا جاز للسيد قتله فى الاصح لانه ملكه فله فعل ما يتعلق به من تأديب ونحوه وقتل المرتد يكون (كفرا) أى لاجل كفره لان نفيه ذلك مستلزم لتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فليس قتله حدا وكفارة لذنبه كما فى سائر الحدود فانها كفارات للذنوب وانما يقتل (ان لم يتب) أى بنفسه أو بعد استتابة الامام له فان تاب بعوده الى الاسلام بأن أقر بالشهادتين على الترتيب بأن آمن بالله أولا ثم برسوله فان عكس لم يصح كما قاله النووى رحمه الله تعالى فلا يقتل فيجب على الامام اذا لم يتب ان يستتيبه أى يطلب التوبة منه و يعرضها عليه لانه ربما كانت ردته عن شبهة فيسعى فى ازالتها بأن يقول له تب وارجع لدين الاسلام فان تاب فذاك ظاهر والا قتل ولو كان امرأة أخذا بعموم خبر البخارى رحمه الله تعالى من بدل دينه فاقتلوه فانه شامل للرجل والمرأة وأما حديث النهى عن قتل النساء الذى استند اليه أبو حنيفة رضى الله عنه فهو محمول على الحربيات أو منسوخ نسأل الله السلامة بجاه حبيبه صلى الله عليه وسلم (ومما جاء به) النبى (صلى الله عليه وسلم) وهو حق يجب الايمان به

ومنها كون كل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من كل حكم صار كالامر الضرورى حقا يجب الايمان به فمن نفى شيأ مما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم كان مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة بلا عذر فقد كفر فيقتل كفرا ان لم يتب ومما جاء به صلى الله عليه وسلم

(البرزخ) هو في اللغة الحاجز بين الشيئين وعرفا الحاجز بين الدنيا والآخرة وله زمان ومآل ومكان فزمانه من الموت الى يوم القيامة ومآله الارواح ومكانه من القبر الى الجنة لارواح السعداء أو الى النار لارواح الاشقياء (ومنه) أي مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (سؤال) الملكين اللذين هما منكر ونكير المتقدم ذكرهما في (القبر) وقد تقدم الكلام عند ذكرهما مستوفى فراجعه ان شئت (و) منه (نعيمه) أي القبر ويكون للمؤمنين لما ورد في ذلك من النصوص البالغة مبلغ التواتر وانما أضيف الى القبر لانه الغالب والا فلا يختص بالمقبور ولا يختص بمؤمني هذه الامة ولا بالمكلفين ومن نعيمه توسيعه سبعين ذراعا عرضا وكذا طولا ومنه ايضا فتح طاقة فيه من الجنة وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة وجعل قنديل بفتح القاف فيه فينور له قبره كالقمر ليلة البدر وقد ورد ان الله تعالى أوحى الى موسى تعلم الخير وعلمه الناس فاني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم وعن عمر مرفوعا من نور في مساجد الله نور الله له في قبره وكل هذا محمول على حقيقته عند العلماء (و) منه (عذابه) أي القبر انما أضيف الى القبر لانه الغالب والا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب قبر أولم يقبر ولو صلب أو غرق في بحر أو أكلته الدواب أو أحرق حتى صار رمادا أو ذرى في الريح ولا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت أجزاؤه والمعذب البدن والروح جميعا باتفاق أهل الحق وخالف محمد بن جرير الطبري وعبد الله بن كرام وطائفة فقالوا المعذب البدن فقط ويخلق الله فيه ادراكا بحيث يسمع ويعلم ويلتذ ويتألم ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ويدوم على الاولين وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين وهو من خفت جرائمهم من العصاة فانهم يعذبون بحسبها وقد يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو غير ذلك كما قاله ابن القيم وكل من كان لا يسئل في قبره لا يعذب فيه أيضا ومن عذاب القبر ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو ان تنينا منها نفخ على الارض ما أنبتت خضراء والتنين بكسر المثناة الفوقية وتشديد النون وهو أكبر الثعابين قيل وحكمة هذا العدد انه كفر بأسماء الله الحسنى وهي تسعة وتسعون ومن عذابه أيضا ضغطته وهي التقاء حافيته وورد ان الارض تضمه حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو منها أحد ولو صغيرا سواء كان صالحا أو طالحا الا الانبياء والا فاطمة بنت أسد والا من قرأ سورة الاخلاص في مرضه ولو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته لكن المؤمن المطيع يضمه كضمة الام لولدها (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (الثواب) أي الجزاء على الاعمال بالجنة في الآخرة وغيرها من أنواع النعيم وكذا في البرزخ وبعده وأنواعه مختلفة على حسب الاعمال والافضال من الواحد المتعال (و) منه (العقاب) على الذنوب والكفر في القبور وفي المحشر وبعده بأنواع مختلفة أيضا على حسب الاعمال فمنهم من يعاقب بالحيات أو بالعقارب ومنهم من يعاقب بالضرب ومنهم من يعاقب بغير ذلك ثم مآل الكفار الى النار ويخلدون فيها وأما أهل المعاصي فقد يغفر لهم فلا يدخلون النار وبعضهم يدخلها ولكن لا يخلد فيها بل لابد من خروجه منها بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم أو غيره على ما سيأتي ان شاء الله تعالى ومحل الثواب والعقاب بعد البعث للروح والجسد قطعا وكذا قبله في البرزخ على الاصح المشهور بأن يعيد الله الروح اليه فالجسد الثاني المعاد هو الجسد الاول بعينه لا مثله والا لزم ان المثاب أو المعاقب غير الجسد الذي أطاع أو عصى وهو باطل بالاجماع ولا يمنع

البرزخ ومنه سؤال القبر ونعيمه وعذابه ومنه الثواب والعقاب

من

من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو الحيتان فان القادر لا يعجزه شئ وقيل انه يتعلق بالارواح فقط (فمن) أطاع المولى سبحانه وتعالى بان (عمل حسنة) وهي ما يمدح فاعله شرعا وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة (يثاب) أي يثيبه الله تعالى (عليها) فضلا منه تعالى لا وجوبا عليه (بتضعيفها) وأقل مراتب التضعيف عشرة وقد تضاعف الى سبعين الى سبعمائة أو أكثر من غير انتهاء الى حد تقف عنده وتفاوت مراتب التضعيف بحسب ما يقترن بالحسنة من الاخلاص وحسن النية وبغير ذلك والمراد الحسنة المقبولة الاصلية المعمولة للعبد أو ما في حكمها بان عملها عنه غيره كما اذا تصدق غيرك عنك بصدقة لا المأخوذة في نظير ظلامة فخرج بالمقبولة المردودة بنحو رياء فلا ثواب فيها أصلا وبالاصلية الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف ثانيا وبالمعمولة أو ما في حكمها الحسنة التي هم بها فتكتب واحده من غير تضعيف وكذلك اذا صمم على المعصية ثم تركها فله حسنة من غير مضاعفة وبقولنا لا المأخوذة في نظير ظلامة الحسنة التي يأخذها المظلوم من ظالمه فلا تضاعف والتضعيف من خصائص هذه الامة وأما غيرها من الامم فكانت حسنتهم بحسنة واحدة (ومن) عصى مولاه بان (عمل سيئة) وهي ما يذم فاعله شرعا صغيرة كانت أو كبيرة وسميت سيئة لان فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة (يعاقب) أي يعاقبه تعالى (عليها) عدلا منه (بمثلها) ان جازاه عليها وله ان يعفو عنها ان لم تكن كفرا والاخلد في النار والمراد السيئة التي عملها العبد حقيقة أو حكما بأن طرحت عليه لظلامة الغير بعد نفاد حسناته فانه يأخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم فاذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيآت المظلوم ثم قذف بالظالم في النار واعلم ان السيئة تتفاوت أيضا بحسب الزمان والمكان وشرف الفاعل وقوة معرفته بالله وقربه فان من عصى السلطان على بساطه أعظم ممن عصاه على بعد نسأل الله السلامة (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (البعث) وهو عبارة عن احياء الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع الاجزاء الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك كالظفر (و) منه (النشر) وهو عبارة عن انتشارهم وقيامهم من قبورهم (و) منه (الحشر) وهو عبارة عن سوقهم جميعا الى الموقف وهو الموضع الذي يقفون فيه من أرض القدس المبدلة التي لم يعص الله عليها لفصل القضاء بينهم ولا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الانس والجن

فمن عمل حسنة يثاب عليها بتضعيفها ومن عمل سيئة يعاقب عليها بمثلها ومنه البعث والنشر والحشر (قوله فاذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيآت المظلوم ثم قذف بالظالم في النار) هذا اذا لم يرد الله تعالى سعادة الظالم أما اذا أراد تعالى سعادته أصلح بينه وبين المظلوم وأدخلهما الجنة قال في الاحياء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله بابي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذلي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق

له من حسناته شئ فقال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا أولاي صديق أولاي شهيد هذا قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من

أصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها اهـ اللهم أسعدنا وأصلح ذات بيننا واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا الكروب والهموم وارض عنا الخصوم بمنك وكرمك وجاه أنبيائك ورسلك لاسيما رئيسهم الأعظم صلى الله عليه وعليهم وعلى آل وصحب كل وسلم (قوله والحشر) في الفتاوى الحديثية لابن حجر رحمه الله تعالى ونفع به سئل هل يحشر أحد غير عار فأجاب بقوله نعم بعض الناس أي وهم الشهداء يحشرون في أكفانهم كما قاله البيهقي وحمل على ذلك الحديث الصحيح يبعث الميت في ثيابه التي يموت فيها وجاء عن عمرو ومعاذ رضي الله عنهما احسنوا أكفان موتاكم فان الناس يحشرون في أكفانهم وهذا منهما له حكم

والثالث بين من لايجازى كالبهائم والوحوش على ماذهب اليه المحققون وصححه النووى وذهبت طائفة الى انه لايحشر الا من يجازى وهذا ظاهر فى الكامل وأما السقط وهو الذى لم تتم له ستة أشهر فان ألقى بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه ويصير عند دخول الجنة كاهلها فى الجمال والطول وان ألقى قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الاجسام التى لاروح فيها كالحجر فيحشر ثم يصير ترابا وأول من تنشق عنه الارض نبينا صلى الله عليه وسلم فهو أول من يبعث وأول وارد الحشر كما انه أول داخل الجنة وبعده سيدنا نوح كما ورد لكن ورد ان بعده صلى الله عليه وسلم أبا بكر وحمل على انه بعد الانبياء ومراتب الناس فى الحشر متفاوتة فمنهم الراكب وهو المتقى ومنهم الماشى على رجليه وهو قليل العمل ومنهم الماشى على وجهه وهو الكافر وهذا الحشر المذكور هنا هو أحد أنواع الحشر من حيث هو وثانيها صرف الناس من الموقف الى الجنة أو النار وهذان النوعان فى الآخرة (ومنه) أى ومما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (اليوم الآخر) هو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر الى مالا يتناهى على الصحيح وقيل الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وسمى باليوم الآخر لانه آخر أيام الدنيا بمعنى انه متصل بآخر أيام الدنيا لانه ليس منها حتى يكون آخرها وسمى بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدى خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم وله نحو ثلثمائة اسم (ومنه) أى ومما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (هول الموقف) أى الهول الحاصل فى الموقف فهو من اضافة الشئ الى مكانه والمراد بهول الموقف ماينال الناس فيه من الشدائد لطول الوقوف قيل ألف سنة كما فى آية السجدة وقيل خمسين ألف سنة كما فى آية سأل ولا تنافى لان العدد لامفهوم له وهو مختلف باختلاف أحوال الناس فيطول على الكفار ويتوسط على الفساق ويخف على الطائعين حتى يكون كصلاة ركعتين وكالجام الناس بالعرق الذى هو أنتن من الجيفة حتى يبلغ آذانهم ويذهب فى الارض سبعين ذراعا والناس يكونون فيه على قدر أعمالهم ففى حديث مسلم تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار عليه الصلاة والسلام الى فيه وفسر الميل بمرود المكحلة وبالمساحة المخصوصة قال سليم بن عامر فوالله ماأدرى مايعنى بالميل مسافة الارض أو الميل الذى يكتحل به والاول أقرب وحقويه تثنية حقو وهو الكشح الذى بين الخاصرة الى الضلع الخلف وكسؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتفريطهم فيها قال تعالى وقفوهم انهم مسؤلون وكشهادة الالسنة والايدى والارجل والسمع والبصر والجلد والارض والليل والنهار والحفظة الكرام ولا ينال شئ مما ذكر الانبياء والاولياء ولا سائر الصلحاء لقوله تعالى لايحزنهم الفزع فهم آمنون من عذاب الله لكنهم يخافون ربهم خوف اجلال واعظام (ومنه) أى ومما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (شفاعة المشفع) بفتح الفاء وهو الذى تقبل شفاعته وأما بكسرها فهو الذى يقبل شفاعة غيره والشفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير من الغير للغير وشفاعة المولى عبارة عن عفوه فانه تعالى يشفع فيمن قال لا اله الا الله وأثبت الرسالة للرسول الذى أرسل اليه ولم يعمل خيرا قط فيتفضل الله تعالى عليه بعدم دخوله النار بلا شفاعة أحد ويبدل من المشفع دفعا لايهامه سيدنا (محمد صلى الله عليه وسلم) حال كونه (مقدما على غيره) أى من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فهو الذى يفتح باب الشفاعة لغيره كما قاله ابن العربى وفى الصحيحين أنا أول شافع

واول

ومنه اليوم الآخر
ومنه هول الموقف
ومنه شفاعة المشفع
محمد صلى الله عليه وسلم
مقدما على غيره

المرفوع وأخرج الدينورى عن الحسن ان أهل الزهد كالشهداء وهو فى حكم المرسل المرفوع واذا ثبت ذلك لهؤلاء فالانبياء أولى وصح حديث ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج طاعمين كاسين راكبين جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وسئل أيضا رضى الله عنه هل يحشر الطفل على صورته وهل يتزوج من الحور العين وهل الولدان من جنس الحور فأجاب بقوله الطفل يكون فى الحشر على خلقته ثم عند دخول الجنة يزاد فيها حتى يكون كالبالغ ثم يتزوج من نساء الدنيا ومن الحور وهن والولدان جنس واحد اه

وأوّل مشفع وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى واجبات ثلاثة فالاول كونه صلى الله عليه وسلم شافعا والثاني كونه مشفعا أي مقبول الشفاعة والثالث كونه مقدما على غيره (يوم القيامة في فصل القضاء) فانه (حين يقف الناس و يتمنون الانصراف ولو الى النار لشدة حرارة الشمس) وشدة الهول يلهمون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم الواسطة بين الله وخلقه فيذهبون الى أبينا آدم فيقولون له أنت أبو البشر اشفع لنا فيقول لست لها لست لها نفسي نفسي لا أسأل اليوم غيرها و يعتذر بالاكل من الشجرة فيذهبون الى نوح و يسألونه الشفاعة فيعتذر لهم وهكذا و بين كل نبي ونبي ألف سنة فلما يذهبون الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و يسألونه الشفاعة فيقول أنا لها أنا لها أمتي أمتي فيسجد تحت العرش فينادى من قبل الله تعالى يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع فيرفع رأسه الشريف (فيشفع في انصرافهم من الموقف) وحينئذ يفتح باب الشفاعة لغيره صلى الله عليه وسلم (وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة الكبرى) والعظمى (وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم) قطعا وهي أول المقام المحمود المذكور في قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أي يحمدك فيه الاولون والآخرون وآخره استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (واما غيرها) أي غير الشفاعة الكبرى المختصة به صلى الله عليه وسلم (فلا يختص) ذلك الغير (به) صلى الله عليه وسلم وذلك (لانه) قد (ورد) في الاخبار الدالة على ذلك كما أجمع اهل السنة عليه (ان ممن ارتضاه الله) تعالى من الاخيار كالانبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والعلماء العاملين والاولياء (يشفع لارباب الكبائر) على قدر مقامه عند الله تعالى (وله صلى الله عليه وسلم شفاعات أخر منها شفاعته) صلى الله عليه وسلم (في دخول جماعة الجنة بغير حساب) فانه ورد كما سيأتي انه صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب جعلنا الله منهم بمنه وكرمه فقيل هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني مع كل واحد سبعين ألفا فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده أو كما قال أي ثلاث دفعات من غير حصر (ومنها شفاعته) صلى الله عليه وسلم (في عدم دخول جماعة النار بعد استحقاقهم له) أي للدخول فيها (ومنها شفاعته) صلى الله عليه وسلم (في خروج جماعة من النار بعد ان استحقوا عدم خروجهم منها) أي من النار لكن استحقاقهم ذلك ليس بسبب الكفر أما اذا كان به فهي وان جازت عقلا لكنها ممتنعة سمعا قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء (ومنها) أي ومن شفاعاته الاخر (غير ذلك) كشفاعته في اخراج الموحدين من النار وشفاعته في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها رزقنا الله شفاعته صلى الله عليه وسلم (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (أخذ العباد الصحف) المراد منها الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا والاحاديث صريحة الظواهر في ان كل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة مع انها كانت متعددة في الدنيا كما يدل عليه حديث ما من مؤمن الا وله كل يوم صحيفة فاذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة واذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ وقد اختلف فقيل توصل صحف الايام والليالي وقيل ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة فان قيل اذا كان كل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة فلم جمعها المصنف رحمه الله تعالى أجيب بأنه جمعها في مقابلة جمع العباد فهو من مقابلة الجمع بالجمع فتقسم الآحاد على الآحاد وظواهر الآيات والاحاديث شاهدة بعمومه لجميع الامم نعم الانبياء لا يأخذون صحفا وكذا الملائكة لعصمتهم ومن يدخل الجنة بغير حساب ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه جعلنا الله منهم بمنه و جاه

يوم القيامة في فصل القضاء حين يقف الناس ويتمنون الانصراف ولو الى النار لشدة حرارة الشمس فيشفع في انصرافهم من الموقف وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة الكبرى وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وأما غيرها فلا يختص به لانه ورد ان ممن ارتضاه الله يشفع لارباب الكبائر وله صلى الله عليه وسلم شفاعات أخر منها شفاعته في دخول جماعة الجنة بغير حساب ومنها شفاعته في عدم دخول جماعة النار بعد استحقاقهم له ومنها شفاعته في خروج جماعة من النار بعد ان استحقوا عدم خروجهم منها ومنها غير ذلك ومنه أخذ العباد الصحف

حبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى من يدفع الصحف للعباد وقد ورد ان
الريح تطيرها من خزانة تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها وورد أيضا ان كل أحد يدعى
فيعطى كتابه فحصل التعارض بين الروايتين وجمع بينهما بان الريح تطيرها أولا من الخزانة فتتعلق
كل صحيفة بعنق صاحبها ثم تتناولهم الملائكة فتأخذها من أعناقهم وتعطيها لهم في أيديهم
فالمؤمن المطيع يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله من وراء ظهره وأما المؤمن الفاسق
فجزم الماوردي بانه يأخذه بيمينه قال وهو المشهور ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قائل انه يأخذه
بشماله وفي كلام بعضهم ان هناك قولا بانه يأخذه بشماله واختلف فقيل يأخذه قبل دخول
النار وقيل بعد خروجه منها وأول من يعطى كتابه بيمينه مطلقا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده
أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وأول من يأخذ بشماله أخوه الاسود بن عبد الاسد لانه أول من
بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرب يوم بدر وقد روى انه يمد يده بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده
فيأخذه بشماله من وراء ظهره وقد نص الله تعالى على ذلك في القرآن فقال تعالى فأما من أوتى
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره
فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ويقرأ كل أحد كتابه ولو أميا لكن من الآخذين من لم يقرأ
كتابه ذهولا ودهشة لاشتمال كتابه على القبائح والمؤمن يأتيه كتابه أبيض بكتابة بيضاء فيقرؤه
فيبيض وجهه فيفرح ويقول لاهل الموقف هاؤم أى خذوا اقرؤا كتابيه انى ظننت أى علمت
أنى ملاق حسابيه والكافر يأتيه كتابه أسود بخط أسود فيقرؤه فيسود وجهه فتزيد حسرته ومنه الحساب
ويقول لما يرى من سوء عاقبته ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها أى الموتة التي ماتها
كانت القاضية أى القاطعة لامره فلم يبعث بعدها اللهم اعطنا كتابنا بيميننا بجاه مولانا آمين
(ومنه) أى ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (الحساب) هو لغة العدد
واصطلاحا توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا بعد
أخذهم كتبهم ويكون للمؤمن والكافر انسا وجنا الا من استثنى منهم ففي الحديث يدخل الجنة
من أمتي سبعون ألفا ليس عليهم حساب فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني مع كل
واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني ثلاث حثيات
بيده الكريمة أو كما ورد والثلاث حثيات ثلاث دفعات من غير عدد فهؤلاء يدخلون الجنة بغير
حساب واذا كان من المؤمنين من يكون أدنى الى الرحمة فيدخل الجنة من غير حساب كان من
الكافرين من يكون أدنى الى الغضب فيدخل النار من غير حساب فطائفة تدخل الجنة بلا
حساب وطائفة تدخل النار بلا حساب وطائفة توقف للحساب فلا تنافي بين النصوص في مثل ذلك
وقد اختلف في المراد بتوقيف الله الناس على أعمالهم فقيل المراد به ان يخلق الله في قلوبهم علوما
ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب وهذا قول الفخر وقيل المراد به أن يوقفهم بين يديه
ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه
حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وهذا القول نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه قصور لان
الحساب غير قاصر على هذا المقدار وقد ورد ان الكافر ينكر فتشهد جوارحه وقيل المراد به ان
يكلمهم في شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب فيسمعهم كلامه القديم
وهذا هو الذي تشهد له الاحاديث الصحيحة ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب
الناس جميعا معا حتى ان كل أحد يرى انه المحاسب وحده وقيل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه

كيف يحاسب الله العبيد مع كثرة عددهم فقال كما يرزقهم مع كثرة عددهم وهذا جواب مسكت والعجب من المبادرة به وكيفية الحساب مختلفة فمنه اليسير والعسير والسر والجهر والتوبيخ والفضل والعدل وحكمته اظهار تفاوت المراتب فى الكمال وفضائح أهل النقص ففيه ترغيب فى الحسنات وزجر عن السيآت (ومنه) أى ومما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (الوزن) أى وزن أفعال العباد (والميزان) وهو واحد على الراجح له قبضة وعمود وكفتان كل واحدة منهما أوسع من طبقات السموات والارض وجبريل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وميكائيل أمين عليه ومحله بعد الحساب وقيل لكل أمة ميزان وقيل لكل مكلف ميزان وقيل للمؤمن موازين بعدد خيراته وأنواع حسناته ويدل على الوزن والميزان الكتاب والسنة وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر وصرح العلماء بأن خفة الميزان وثقله على كيفيته المعهودة فى الدنيا فاثقل نزل الى أسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش الى أعلى ثم نزل الى سجين وقال بعض المتأخرين عمل المؤمن اذا رجح صعد وثقلت سيآته ولا يكون الوزن فى حق الانبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب وفى وزن أعمال الكفار خلاف والاصح انها توزن وأما قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا معناه وزنا نافعا فان قيل وزن أعمال المؤمنين وجهه ظاهر اذ لهم من الحسنات ما يقابل بالسيآت وأما الكفار فليس لهم حسنات تقابل بها سيآتهم أجيب بانهم يكون منهم صلة الرحم ومواساة الناس وعتق المماليك ونحوها من الاعمال التى لا تتوقف صحتها على نية فتجعل هذه الامور ان صدرت منهم فى مقابلة سيآتهم غير الكفر أما هو فلا فائدة فى وزنه لان عذابه دائم واختلف العلماء فى الموزون فذهب جمهور المفسرين الى ان الموزون الكتب التى اشتملت على أعمال العباد بناء على ان الحسنات مميزة بكتاب والسيآت بكتاب آخر ويشهد له حديث البطاقة وهى بكسر الموحدة ورقة صغيرة وحديثها ماروى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لايارب فيقول بلى ان لك عندنا الحسنة وانه لاظلم عليك فتخرج له بطاقة كالانملة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ اه وهذا ليس لكل عبد بل لعبد أراد الله به خيرا وذهب بعضهم الى ان الموزون اعيان الاعمال فتصور الاعمال الحسنة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح فى كفة النور وهى اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتعالى وتصور الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح فى كفة الظلمة وهى الشمال المعدة للسيآت فتخف وهذا فى المؤمن وأما الكافر فتخف الحسنات وتثقل سيآته بعدل الله سبحانه وتعالى ولا يردان فى ذلك قلب الحقائق وهو ممتنع لان امتناع قلب الحقائق خاص بأقسام الحكم العقلى الثلاثة وهى الواجب والجائز والمستحيل فلا ينقلب الواجب جائزا مثلا وأما انقلاب المعنى جرما فلا يمتنع وقيل يخلق الله أجساما على عدد تلك الاعمال من غير قلب لها (ومنه) أى ومما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (حوضه صلى الله عليه وسلم الذى) يعطاه فى الآخرة وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الارض المبدلة وهى الارض البيضاء كالفضة ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم

ومنه الوزن والميزان ومنه حوضه صلى الله عليه وسلم الذى

السماء من يشرب منه لا يظمأ أبدا كما ورد في الحديث واختلف في محله فقيل قبل الصراط وهو
قول الجمهور وصححه بعضهم لان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيردون الحوض للشرب منه
وقيل بعده وصححه بعضهم لانه ينصب فيه الماء من الكوثر وهو النهر الذي في داخل الجنة
فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة ولو كان قبله لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب
فيه من الكوثر وأورد عليه ان الحوض اذا كان عند الجنة لم يحتج للشرب منه وأجيب بانهم
يحبسون هناك لاجل المظالم التي بينهم حتى يتحللوا منها وهو المسمى بموقف القصاص وقيل له صلى
الله عليه وسلم حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده وصححه القرطبي وهذا كله لا يجب
اعتقاده وانما يجب اعتقاد انه صلى الله عليه وسلم له حوض ولا يضر الجهل بكونه قبل الصراط أو
بعده ثم اعلم ان الحوض لا يختص بنبينا الا انه قد ورد ان لكل نبي حوضا ترده أمته وحوضه صلى الله
عليه وسلم (ترده الخلائق) ذكورهم واناثهم (يوم القيامة) لاجل ان يشربوا منه وأحوالهم في
الشرب مختلفة فمنهم من يشرب لدفع العطش ومنهم من يشرب للتلذذ ومنهم من يشرب لتعجيل
المسرة وأطفال المسلمين ذكورهم واناثهم حول الحوض وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور
وبايديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم الا من سخط في فقدهم فلا
يؤذن لهم أن يسقوه اللهم أوردنا حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسقنا من كأسه بيده
الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا يا ذا الجلال والاكرام آمين (وهو) أي حوضه عليه
الصلاة والسلام (غير) حوض (الكوثر الذي هو نهر في) داخل (الجنة لكن الماء يصب منه)
أي من الكوثر (فيه) أي الحوض (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب
الايمان به (الصراط) وهو لغة الطريق الواضح مأخوذ من صرطه يصرطه اذا ابتلعه لانه يبتلع
المارة وشرعا جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون حتى الكفار خلافا للحليمي
حيث ذهب الى انهم لا يمرون عليه ولعله أراد الطائفة التي ترمى في جهنم من الموقف بلا صراط
وشمل ما ذكر النبيين والصديقين ومن يدخل الجنة بغير حساب وكلهم ساكتون الا الانبياء
فيقولون اللهم سلم سلم كما في الصحيح وفي بعض الروايات انه أدق من الشعرة وأحد من السيف
وهو المشهور ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي وغيرهما كالبدر الزركشي قالوا
رحمهم الله تعالى وعلى فرض صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره بان يؤول بانه كناية عن شدة
المشقة وحينئذ فلا ينافي ما ورد من الاحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه وكون
الكلاليب فيه زاد القرافي والصحيح انه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة
يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة
من طبقات جهنم وقال بعضهم انه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره فعرض صراط كل
أحد بقدر انتشار نوره فان نور كل انسان لا يتعداه الى غيره فلا يمشي أحد في نور أحد ومن هنا
كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين وطوله ثلاثة آلاف سنة ألف صعود وألف هبوط
وألف استواء وفي كلام الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى ما يفيد عدم التعويل على ظاهر هذه
الآلاف مع ان مآله الامتداد للعلو حتى يوصل للجنة فانها عالية جدا وأفاد الشعراني رحمه الله
تعالى انه لا يوصل لها حقيقة بل يوصل لمرجها الذي فيه الدرج الموصل لها قال ويوضع لهم
هناك مائدة قال ويقوم أحدهم فيتناول مما تدلى هناك من ثمار الجنة وقد ورد به الكتاب قال
تعالى فاستبقوا الصراط والسنة قال صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم

ترده الخلائق يوم القيامة
وهو غير الكوثر الذي
هو نهر في الجنة لكن
الماء يصب منه فيه
ومنه الصراط

فاكون

فاكون أنا وأمتي أوّل من يجوز واتفقت الكلمة عليه في الجملة أي بقطع النظر عن ابقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة وصرفه عنه كما هو مذهب كثير من المعتزلة فانهم ذهبوا الى ان المراد به طريق الجنة وطريق النار وقيل المراد به الادلة الواضحة وجبريل في أوّله وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به واعلم ان مرور العباد على الصراط متفاوت في سرعة النجاة وعدمها فليسوا في المرور عليه على حد سواء فمنهم سالم من الوقوع في نار جهنم ومنهم متلف بالوقوع فيها اما على الدوام والتأبيد كالكفار والمنافقين واما الى مدة يريدها الله تعالى ثم ينجو كبعض عصاة المؤمنين ممن قضى الله عليهم بالعذاب والفريق الاوّل هم السالمون من السيآت وأهل رجحان الاعمال الصالحة ممن خصهم الله بسابقة الحسنى وهؤلاء يجوزون كطرف العين وبعدهم الذين يجوزون كالبرق الخاطف وبعدهم الذين يجوزون كالريح العاصف وبعدهم الذين يجوزون كالطير وبعدهم الذين يجوزون كالجواد السابق وبعدهم الذين يجوزون سعيا ومشيا وبعدهم الذين يجوزون حبوا وتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الاعراض عن حرمات الله تعالى فمن كان منهم أسرع اعراضا عما حرم الله كان أسرع مرورا في ذلك اليوم والحكمة في مرورهم على الصراط ظهور النجاة من النار وان يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (كون الجنة) التي هي دار الثواب التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين (والنار) التي هي دار العذاب التي أعدها الله تعالى لمن اراد تعذيبه على التأبيد وهم الكفار أو بقدر ما كتبه الله عليه ثم مآله الى الجنة وهم عصاة المؤمنين (موجودتين بالفعل) أي ان الله أوجدهما بالفعل فيما مضى ويبقيان الى ما لا نهاية له كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة واتفاق علماء الامة خلافا لمنكرهما بالمرة كالفلاسفة ولمنكر وجودهما فيما مضى وانهما انما يوجدان يوم القيامة كابي هاشم وعبد الجبار المعتزليين ويدل لنا قصة آدم وحواء عليهما السلام على ما جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه الاجماع قبل ظهور المخالف فذلك يدل على ثبوت الجنة ولا قائل بثبوتها دون النار فهي ثابتة أيضا والآيات صريحة في ذلك وقد أجمع العلماء على ان تأويلها من غير ضرورة الحاد في الدين كما قيل آدم كان رجلا في جنة أي بستان له على ربوة أي محل مرتفع فعصى ربه فانزله لبطن الوادي ولم يرد نص صريح في تعيين مكان الجنة والنار كما في شرح المقاصد والاكثرون على ان الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش وان النار تحت الارضين السبع والاسلم في هذا المقام تفويض علم ذلك الى الملك اللطيف العلام ولا يخفى ان الجنة في اللغة البستان مأخوذة من جنه اذا ستره لانها تستر داخلها لشدة التفافها واظلالها واصطلاحا دار الثواب التي أعدها لعباده المؤمنين بجميع أنواعها واختلف هل هي واحدة أو أربع أو سبع فذهب ابن عباس رضي الله عنهما الى انها سبع جنات متجاورات والمجاورة لا تنافي العلو واستدل لذلك بحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم واوسطها وأفضلها واعلاها الفردوس وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر انهار الجنة ويليها في الافضلية جنة عدن ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار الجلال وكلها متصلة بمقام الوسيلة يتنعم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم نظهر منها فهي مشرفة على أهل الجنة كما ان الشمس مشرفة على أهل الدنيا وذهب الجمهور الى انها أربع جنات واستدلوا لذلك بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه

ومنه كون الجنة والنار موجودتين بالفعل

جنتان أي جنة النعيم و جنة المأوى ثم قال ومن دونهما جنتان أي جنة عدن و جنة
الفردوس وذهب بعضهم الى انها واحدة وهذه الاسماء كلها صادقة عليها لتحقق معانيها فيها اذ
يصدق على الجميع جنة عدن أي اقامة و جنة المأوى أي مأوى المؤمنين و جنة الخلد ودار
السلام لان جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن وجنة النعيم لانها كلها مشحونة
باصنافه الى غير ذلك وان النار في الاصل اسم لبعيدة القعر كما في القاموس والمراد بها هنا دار
العذاب بجميع طبقاتها السبع التي أعلاها جهنم وهي لمن يعذب على قدر ذنبه من المؤمنين
وتصير خرابا بحر و جهنم منها وتحتها لظى وهي لليهود ثم الحطمة وهي للنصارى ثم السعير وهي
للصابئين وهم فرقة من اليهود ثم سقر وهي للمجوس ثم الجحيم وهي لعبدة الاصنام ثم الهاوية
وهي للمنافقين و باب كل من داخل الاخرى وذكر ابن العربي رحمه الله تعالى ان هذه الدار التي
في الدنيا أخرجها الله الى الناس من جهنم حتى غمست في البحر مرتين ولولا ذلك لم ينتفع بها أحد من
حرها وكفى بها ازاجرا و بعد أخذ نار الدنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى
احمرت ثم ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وحرها هواء محرق ولا جمر لها سوى بني آدم
والاحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة سلمنا الله منها بمنه وكرمه وجاه حبيبه صلى الله عليه وسلم (والاولى) أي التي هي
الجنة (دار خلود السعيد) وهو من مات على الاسلام وان تقدم منه كفر ودخل في السعيد عصاة
المؤمنين فدار خلودهم الجنة فلا يخلدون في النار ان دخلوها بل لا يدوم عذابهم فيها مدة بقائهم
لانهم يموتون بعد الدخول بلحظة ما يعلم الله مقدارها فلا يحيون حتى يخرجوا منها والمراد بموتهم
انهم يفقدون احساس ألم العذاب لا انهم يموتون موتا حقيقيا بخروج الروح و بعضهم اختار انهم
يموتون حقيقة (والثانية) اى التي هي النار (دار خلود الشقي) وهو من مات على الكفر وان عاش
طول عمره على الايمان ودخل في الشقي الكافر الجاهل والمعاند ومن بالغ في النظر فلم يصل الى الحق
وترك التقليد الواجب عليه ولا يدخل فيه اطفال المشركين بل هم في الجنة على الصحيح من أقوال
كثيرة فقيل انهم في النار وقيل على الاعراف الى غير ذلك من الاقوال وأما اطفال المؤمنين ففي الجنة
عند الجمهور ومقابله انهم في المشيئة وانكر ذلك القول وهذا في غير أولاد الانبياء واما أولاد الانبياء
ففي الجنة اجماعا ولا فرق في السعيد والشقي بين الانس والجن ويدل على ما ذكر من ان الجنة دار
خلود السعيد والنار دار خلود الشقي قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد الآية والمراد بالسموات والارض
في هذه الآية سقف النار وارضها وسقف الجنة وارضها لا سماء الدنيا وارضها لتبدلهما (فائدة)
الناس يكونون في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها ثم يدخل المؤمنون الجنة جردا مردا ابناء ثلاث
وثلاثين سنة طول كل واحد منهم ستون ذراعا وعرضه سبعة اذرع ثم لا يزيدون ولا ينقصون واما
أجسام الكفار فمختلفة المقادير حتى ورد ان ضرس الكافر في النار مثل أحد وفخذه مثل ورقان
وهما جبلان بالمدينة كما في شرح اللقاني على جوهرته (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (الحور العين) جمع حوراء والحور شدة بياض العين مع
شدة سوادها ووصفن بالعين لاتساع أعينهن وهن نساء الجنة روى ان سحابة أمطرت من العرش
فخلقت الحور من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الانهار سعتها
أربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان
ابصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين

والاولى دار خلود
السعيد والثانية
دار خلود الشقي
ومنه الحور العين

وهذا معنى قوله تعالى حور مقصورات في الخيام والصحيح ان نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (و) منه (الولدان) بكسر الواو أي الغلمان جمع وليد بمعنى مولود وسموا أولاد الكونهم على شكلهم وصورتهم فهم على صورة غلمان الدنيا وهم خدمة أهل الجنة واعلم ان الحور والولدان مخلوقون (في الجنة) أي ابتداء فليس الولدان من أولاد الدنيا وهو الصحيح من أقوال كثيرة وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ورد بان الله أخبر عنهم انهم يلحقون بآبائهم في السيادة والحلقة (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (العرش) هو جسم عظيم نوراني علوي قيل من نور وقيل من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء والاولى الامساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها والتحقيق انه ليس كرويا بل هو قبة فوق العالم ذات اعمدة أربعة تحمله الملائكة في الدنيا أربعة وفي الآخرة ثمانية لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة رؤسهم عند العرش في السماء السابعة وأقدامهم في الارض السفلى وقرونهم كقرون الوعل أي بقر الوحش ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه خمسمائة عام وقيل انه كروي محيط بجميع الاجسام وهذا خلاف التحقيق (و) منه (الكرسي) هو جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه و بينها مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والاولى ان نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها وهو غير العرش خلافا للحسن البصري رحمه الله تعالى (و) منه (القلم) هو جسم عظيم نوراني خلقه الله وأمره بكتب ما كان وما يكون الى يوم القيامة قيل هو من اليراع وهو القصب والاولى ان نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته (و) منه (اللوح) هو جسم عظيم نوراني كتب فيه القلم باذن الله ما كان وما يكون الى يوم القيامة وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من انه يقبل المحو والتغيير ونمسك عن الجزم بحقيقته وفي بعض الآثار ان لله لوحا أحد وجهيه ياقوتة حمراء والوجه الثاني زمردة خضراء كما في شرح اللقاني رحمه الله تعالى (ومنه) أي ومما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (كون ارتكاب) الشخص الذنوب (الكبائر غير الكفر) كقتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق والزنا واللواط وعقوق الوالدين وأكل الربا وترك الصلوات الخمس وغير ذلك بخلاف ما اذا كانت من المكفرات كالشرك بالله تعالى وانكار علمه تعالى بالجزئيات وانكار كل ما علم من الدين بالضرورة فان هذه يكفر مرتكبها قطعا وكون ارتكاب الكبائر غير الكفر (لا يوجب الكفر) أي لا يحكم على مرتكبها بالكفر سواء كان عالما أو جاهلا اذا لم يكن المرتكب مستحلا لما ارتكبه وهو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا مثلا أما اذا كان كذلك فيكفر باستحلاله قطعا وما ذكر من ان مرتكب الكبائر لا يكفر هو مذهب أهل السنة خلافا للخوارج فانهم يكفرون مرتكب الذنوب و جعلوا جميع الذنوب كبائر وخلافا للمعتزلة فانهم يخرجون مرتكب الكبيرة من الايمان ولم يدخلوه في الكفر الا باستحلال فجعلوه منزلة بين المنزلتين فمرتكب الكبيرة مخلد في النار عند الفريقين و يعذب عند الخوارج عذاب الكفار وعند المعتزلة عذاب الفساق (ومن يمت بعد ان ارتكب) ذنبا (منها) أي من الكبائر غير المكفرة بلا استحلال (و) الحال انه (لم يتب من ذنبه) الى الله تعالى (فامره) أي شأنه (مفوض) أي موكول (الى ربه) أي خالقه ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه مع عدم الخلود في العذاب كما سيبينه رحمه الله تعالى وهذا معنى قول صاحب الجوهرة

ومن يمت ولم يتب من ذنبه * فأمره مفوض لربه

والولدان في الجنة ومنه العرش والكرسي والقلم واللوح ومنه كون ارتكاب الكبائر غير الكفر لا يوجب الكفر ومن يمت بعد ان ارتكب منها ولم يتب من ذنبه فامره مفوض الى ربه

قال الصاوي رحمه الله تعالى على الجلالين والغالب المغفرة لان فضل الله واسع و رحمته تغلب غضبه وكل ذلك مالم يمت هديما أو غريقا أو مقتولا ظلما مثلا والا فيقوم ماذكر مقام التوبة انتهى (فلانقطع بالعفو عنه) لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة (ولا) نقطع (بالعقوبة) لانه تعالى يجوز عليه ان يغفر ماعدا الكفر (وعلى) تقدير (وقوع العقاب نقطع له بعدم الخلود في النار) هذا هو مذهب أهل الحق واستدلوا عليه بالآيات والاحاديث الدالة على ان المؤمنين يدخلون الجنة البتة كقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة ولا يصح ان يدخل الجنة ثم يدخل النار لان من دخل الجنة لا يخرج منها قال تعالى وماهم منها بمخرجين فتعين ان يكون دخوله الجنة بدون دخول النار بالمرة وهذا هو العفو التام أو بعد دخول النار بقدر ذنبه وهذا هو عدم الخلود في النار و يعلم من ذكر الكبائر ان لها مقابلا وهو الصغائر فلذا قال رحمه الله تعالى (فالذنوب) عند جمهور أهل السنة (قسمان) والذنب ماعصي الله تعالى به أو مايذم مرتكبه شرعا و يرادفه المعصية والخطيئة والسيئة والجريمة والمنهي عنه والمذموم شرعا وأبدل من قوله قسمان (صغائر وكبائر) خلافا للمرجئة حيث ذهبوا الى انها كلها صغائر ولا تضر مرتكبها مادام على الاسلام ولذلك قال شاعرهم

مت مسلما ومن الذنوب فلا تخف * حاشا المهيمن ان يرى تنكيدا

لو رام ان يصليك نار جهنم * ما كان ألهم قلبك التوحيدا

وخلافا للخوارج حيث ذهبوا الى انها كلها كبائر وان كل كبيرة كفر وخلافا لمن ذهب الى انها كبائر نظرا لعظمة من عصي بها ولكن لا يكفر مرتكبها الا بما هو كفر منها كسجود لصنم ورمي مصحف في قاذورة ونحو ذلك وليست الكبيرة منحصرة في عدد وهي كما قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى كل ذنب كبر كبرا يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ولها أمارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعقاب ومنها وصف فاعلها بالفسق ومنها اللعن كلعن الله السارق وأكبرها الشرك بالله ثم قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وماسوى هذين منها كالزنا واللواط وعقوق الوالدين والسحر والقذف والفرار يوم الزحف وأكل الربا وغير ذلك فيختلف أمره باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليه فيقال لكل واحدة منه هي من أكبر الكبائر وان جاء في موضع انها أكبر الكبائر كان المراد منه انها من أكبر الكبائر كما قاله النووي رحمه الله تعالى ومن أكبر الكبائر أيضا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قال الشيخ أبو محمد الجويني رحمه الله تعالى ان من تعمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم يكفر كفرا يخرجه عن الملة وتبعه على ذلك طائفة وهو ضعيف وكل ماخرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة وقد تعطى حكم الكبيرة لانها تنقلب كبيرة كما قاله ابن حجر في شرح الاربعين النووية وان وقع في عبارة بعضهم انها تنقلب كبيرة بالاصرار عليها وهو معاودة الذنب مع نية العود اليه عند الفعل فان عاوده من غير نية العود لم يكن اصرارا على الاصح وقال بعضهم هو تكرير الذنب سواء عزم على العود أولا وبالتهاون بها وهو الاستخفاف وعدم المبالاة بها وبالفرح والافتخار بها وصدورها من عالم يقتدى به فيها (وتجب) على المذنب (التوبة) وهي لغة مطلق الرجوع وشرعا ما استجمعت الثلاثة الاركان التي سيأتي ذكرها وتطلب التوبة (حالا) أي فورا (من الذنب ولو كان الذنب) (صغيرا على المعتمد) قال النووي رحمه الله تعالى واتفقوا على ان التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور فلا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة انتهى فان أخرها

فلانقطع بالعفو عنه ولا بالعقوبة وعلى وقوع العقاب نقطع له بعدم الخلود في النار فالذنوب قسمان صغائر وكبائر وتجب التوبة حالا من الذنب ولو صغيرا على المعتمد

فالتاخير

فالتأخير ذنب آخر غير الذنب الذى اقترفه لكنه ذنب واحد ولو تراخى لكنه يتفاوت فى الكيف
باعتبار طول الزمان وقصره ونقل السنوسى رحمه الله تعالى فى شرح الجزائرية انه يتضاعف الذنب
بتأخير كل لحظة وحكمة وجوب المبادرة بالتوبة قطع طماعية الشيطان فى استدراجه النفس
حتى يوقعها فى الهلكة نسأل الله تعالى العافية والسلامة (ولا تنقض التوبة بعوده) أى التائب
المفهوم من المقام (الى الذنب ولو فى المجلس) خلافا للمعتزلة فى قولهم بانتقاض التوبة بعوده للذنب
فيعود ذنبه الذى تاب منه بعوده له لان من شروط التوبة عندهم ان لا يعاود الذنب بعد التوبة
وعند الصوفية معاودة الذنب بعد التوبة اقبح من سبعين ذنبا بلا توبة (بل يجب لهذا الذنب
الجديد (توبة جديدة) أى غير التوبة السابقة فلا يضر الا الاصرار على المعاصى بخلاف ما اذا كان
كلما وقع فى معصية تاب منها قال تعالى ان الله يحب التوابين وهم الذين كلما اذنبوا ذنبا تابوا منه
وفى الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له (واركان التوبة ثلاثة) أحدها (الاقلاع عن
المعصية) التى باشرها فلا تصح توبة الزانى الا اذا أقلع عن الزنا ولا المكاس الا اذا أقلع عن المكس
وهكذا (و) ثانيها (الندم) على فعلها لوجه الله تعالى فلا تصح توبة من لم يندم اصلا أو ندم لغير
وجه الله تعالى كان ندم لمصيبة حصلت له وهو أعظم اركان التوبة ولذلك ورد الندم توبة (و)
ثالثها (العزم على عدم العود للمعصية) التى فعلها أبدا فلا تصح توبة من عزم على العود وكون شروط
التوبة ما ذكر ان لم تتعلق المعصية بالآدمى والا فلها شرط رابع وهو رد الظلامة الى صاحبها
أو تحصيل البراءة منه تفصيلا عندنا معاشر الشافعية واما عند المالكية فيكفى تحصيل البراءة
اجمالا وفيه فسحة فان لم يقدر على ذلك بان كان مستغرق الذمم فالمطلوب منه الاخلاص وكثرة
التضرع الى الله تعالى لعله يرضى عنه خصماءه يوم القيامة ومن شروطها أيضا حصولها قبل
الغرغرة وهى حالة النزع وقبل طلوع الشمس من مغربها فلا تقبل التوبة بعد ذلك لانه حينئذ
يغلق بابها ويسمع له دوى فتمتنع التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك اللهم وفقنا للتوبة من جميع
الذنوب وتقبلها منا آمين (واختلفوا) أى العلماء (فى قبولها) أى التوبة فقال امامنا أبو الحسن
الاشعرى رحمه الله تعالى بانها تقبل قطعا بدليل قطعى كما يدل له قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة
عن عباده والدعاء بقبولها لعدم الوثوق بشروطها وقال امام الحرمين والقاضى بانها تقبل ظنا
بدليل ظنى لكنه قريب من القطع اذ يحتمل ان معنى قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده
انه يقبلها ان شاء وهذا الخلاف فى غير توبة الكافر واما هى فمقبولة قطعا بدليل قطعى اتفاقا لقوله
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهل توبة الكافر نفس اسلامه أو لا بد مع
ذلك من الندم على الكفر فأوجبه امام الحرمين وقال غيره يكفيه ايمانه لان كفره محى بايمانه
ثم شرع رحمه الله تعالى فى المسئلة المعروفة عند القوم بالكليات الخمس أو الست وهو الموافق للمتن
حيث جعل العرض مستقلا عن النسب فمن جعل العرض راجعا للنسب عبر عنها بالكليات الخمس
ومن جعله مستقلا عن النسب عبر عنها بالكليات الست فقال (ومنه) أى ومما جاء به النبى صلى
الله عليه وسلم وهو حق يجب الايمان به (حفظ) أى صيانة (الكليات) التى هى الخمس أو الست
على ما تقدم قريبا وانما سميت بالكليات لانه يتفرع عليها أحكام كثيرة ولانها وجبت فى كل ملة
فلم تبح فى ملة من الملل (وهى) أى الكليات الواجب حفظها وصيانتها (الدين) هو ما شرعه الله
تعالى لعباده من الاحكام وحفظه يكون بصيانته عن ارتكاب مكفر وانتهاك حرمة المحرمات
ووجوب الواجبات فانتهاك حرمة المحرمات ان يفعل المحرمات غير مبال بحرمتها وانتهاك وجوب

ولا تنقض التوبة بعوده
الى الذنب ولو فى المجلس
بل يجب لهذا الذنب
توبة جديدة واركان
التوبة ثلاثة الاقلاع عن
المعصية والندم والعزم
على عدم العود للمعصية
واختلفوا فى قبولها
ومنه حفظ الكليات
وهى الدين

الواجبات ان يترك الواجبات غير مبال بوجوبها ولحفظ الدين شرع قتال الكفار والحربيين وغيرهم كالمرتدين (والنفس) أى العاقلة ولو بحسب الشان فيدخل الصغير والمجنون وتخرج البهيمة فيتصرف الشخص فيها بالوجه الشرعى كالذبح وغيره ان كانت له فان كانت لغيره فهى داخلة فى المال ولحفظ النفس شرع القصاص فى النفس والطرف لانه ربما أدى الى النفس (والمال) هو كل ما يحل تملكه شرعا وان قل ولحفظه شرع حد السرقة وحد قطع الطريق (والنسب) هو الارتباط الذى يكون بين الوالد وولده ولحفظه شرع حد الزنا (والعرض) هو بكسر العين موضع المدح والذم من الانسان وهو وصف اعتبارى تقويه الافعال الحميدة وتزرى به الافعال القبيحة ولحفظه شرع حد القذف للعفيف والتعزير لغيره فيحد من قذف عفيفا ويعزر من قذف غير عفيف (والعقل) هو نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية ولحفظه شرع حد الشرب والدية على من اذهبه بجناية (وآكد هذه الامور حفظ الدين) لان حفظ غيره وسيلة الى حفظه ثم حفظ النفس لان قتل النفس يلى الكفر ثم حفظ النسب ثم حفظ العقل ثم المال وفى مرتبته العرض ولما فرغ رحمه الله تعالى من مباحث علم العقائد الثلاثة أعنى الالهيات والنبويات والسمعيات شرع يتكلم على نبذة من علم التصوف الذى يصفى القلوب من درن الذنوب فيخليها عن الاوصاف الذميمة ويحليها بالاوصاف الحميدة فقال (ثم يجب) وجوب عمل (عليه) أى المكلف (ان يتخلى) بالخاء المعجمة أى يتنظف (عن الاوصاف الذميمة) اى المذمومة بمعنى القبيحة المقبوحة ففعيلة بمعنى مفعولة (فيجتنبها) أى يتركها (ويتحلى) بالحاء المهملة أى يتزين (بالاوصاف الحميدة) أى الحسنة الجميلة المحمودة (فيتخلق) أى يتزين ويتصف ويتحقق (بها) وانما قدم التخلى على التحلى لان الاول مقدم عرفا على الثانى اذ الانسان لا يتزين بجميل الثياب ونحوها الا بعد ازالة ما به من الاوساخ كداخل الحمام فانه يزيل ادرانه أى أوساخه ثم يلبس ثيابه (وكل منهما) أى الاوصاف الذميمة والاوصاف الحميدة (كثير) قد ذكرها علماء التصوف رحمهم الله تعالى فى كتبهم ومن أعظمهم حجة الاسلام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتبه سيما احياء علوم الدين الذى لم يؤلف مثله فى الاسلام فانه ذكر فى ربع المهلكات منه كل وصف وخلق مذموم ورد القرآن بازالته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وذكر لكل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته وسببه الذى منه يتولد والآفات التى عليه تترتب والعلامات التى بها يتعرف وطرق المعالجة التى بها منه يتخلص كل ذلك مقرون بشواهد الآيات والاخبار والآثار وذكر فى ربع المنجيات منه كل وصف وخلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لاجلها فيها يرغب مع ما وردفيها من شواهد الشرع والعقل وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا المهم منها وسأتكلم على كل منها بنبذة يسيرة خوف الاطالة الموجبة للملالة من معتمد كلام أهل هذا الشان رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم كما سترى ذلك ان شاء الله تعالى (فمن الاولى) التى هى الاوصاف الذميمة الواجب التخلى عنها واجتنابها (الكبر) هو حرام من الكبائر ومن أعظم الذنوب القلبية لانه من معصية ابليس وصغاته فانه تكبر حين أمر بالسجود لابينا آدم عليه السلام فامتنع واستقبح أمر الله له بالسجود واستعظم نفسه فقال خلقتنى من نار وخلقته من طين ومحل كونه حراما اذا كان على عباده تعالى الصالحين وائمة المسلمين وأما اذا كان

والنفس والمال والنسب والعرض والعقل وآكد هذه الامور حفظ الدين * ثم يجب عليه ان يتخلى عن الاوصاف الذميمة فيجتنبها ويتحلى بالاوصاف الحميدة فيتخلق بها وكل منهما كثير فمن الاولى الكبر

على أعداء الله فهو مطلوب شرعا حسن عقلا والمراد بالكبر عليهم احتقارهم لاجل كفرهم ومعصيتهم لا احتقار ذاتهم وقد ورد الوعيد الشديد فيه منه قوله عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وقد عمت البلوى بالكبر حتى قيل آخر مايخرج من قلب الصديقين حب الرياسة وله دواء عقلي وشرعي وعادي أما العقلي فان يعلم بان التأثير لله تعالى وانه لايملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا فلا ينبغي لعاقل ان يتكبر فانه قد استوى القوي والضعيف والغني والفقير والرفيع والوضيع في الذل الذاتي وقد قيل لسيد الكائنات ليس لك من الامر شيء وأما الشرعي فان يتذكر الوعيد الوارد فيه لكونه من صفات الرب من نازعه فيها أهلكه وغارت عليه جميع الكائنات لخروجه على سيدها فيستثقل ظاهرا او باطنا كما هو مشاهد وأما العادي فان ينظر لاصله ومآله وتقلباته فان أصله نطفة قذرة أصلها من دم وأقام مدة وسط القاذورات من دم حيض وغيره ومدة يبول ويتغوط على نفسه ثم هو الآن محشو بقاذورات لاتحصى ويباشر العذرة كذا كذا مرة بغسلها عن جسمه ومآله جيفة قذرة منتنة مدودة فمن تأمل صفات نفسه عرف مقداره فالمتواضع من عرف الحق ورأى جميع مامعه من فضل ربه ولا يحقر شيأ في مملكة سيده ويسأله دوام ماتفضل به عليه (وهو) أي الكبر (بطر الحق) أي رده على قائله وعدم قبوله منه (وغمص) بالصاد أو وغمط بالطاء (الخلق) أي احتقارهم أي استصغارهم والتهاون بهم وهذا المعنى منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم كما فسر به في حديث مسلم وهو قوله عليه الصلاة والسلام لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقالوا يارسول الله ان أحدنا يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال ان الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر بطر الحق وغمص أو وغمط الناس بالصاد أو الطاء فقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة الخ أي مع السابقين أو محمول على المستحل وقد قيل لاول متكبر وهو ابليس فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين وقوله ان الله جميل يحب الجمال أي له الجمال المطلق جمال الذات وجمال الصفات وجمال الافعال فهو تعالى متصف بصفات الجمال وهي صفات الكمال يثيب على التجمل في الهيئة بالملابس ونحوها اظهارا لنعمته تعالى ولذا يطلب تاخير نحو الزيات في آخر المسجد لئلا يتضرر به من يقرب به فقول بعض من يدعي التصوف المطلوب تنظيف القلوب بدل الثياب جهل بسنته صلى الله عليه وسلم اذ يطلب تنظيفهما معا فالتجمل في الهيئة بالملابس ونحوها ليس كبرا بل يكون مندوبا في الصلوات والجماعات ونحوها وفي حق المرأة لزوجها وفي حق العلماء لتعظيم العلم في نفوس الناس قال ابن عبد السلام رحمه العلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر لانه سبب لامتثال أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه ويكون واجبا في حق ولاة الامور وغيرهم اذا توقف عليه تنفيذ الواجب فان الهيئة المزرية لاتصلح معها مصالح العامة في العصر المتأخرة لماطبعت عليه النفوس الآن من التعظيم بالصور عكس ما كان عليه السلف الصالح من التعظيم بالدين والتقوى ويكون حراما اذا كان وسيلة لمحرم ومكروها اذا كان وسيلة لمكروه ومباحا اذا خلا عن هذه الاسباب أفاده شراح الجامع الصغير وغيرهم واعلم انه قد علم من تفسير ان الله جميل يحب الجمال بما ذكر عدم صحة تشبث المتهتكين في استدلال النظر الى وجوه نحو المرد

وهو بطر الحق وغمص الخلق

الحسان بهذا الحديث وحرمة تشدقهم به حيث يقولون قال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال عند اعتراض أحد من المنكرين عليهم وفقنا الله لمرضاته وأعاذنا من شر عقوباته آمين (ومنها) أي ومن الاوصاف الذميمة الواجب التخلي عنها واجتنابها (الحسد) هو حرام بالاجماع ودليل تحريمه الكتاب والسنة قال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وهذه الآية حسبه ذما وقبحا حيث أمر الله تعالى رسوله بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمر بالاستعاذة من شر الشيطان وقال عليه الصلاة والسلام اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال لا يجتمع في جوف عبد الايمان والحسد ومحل حرمته ان لم تكن النعمة حاملة للمحسود على الفجور والا جاز تمني زوال النعمة عنه ودواؤه التذكر للوعيد الوارد فيه مع انه اساءة أدب مع الله كأنه لا يرضى حكمه ولله در القائل حيث قال في هذا المعنى

ألا قل لمن بات لي حاسدا * اتدري على من أسأت الادب

اسأت على الله في فعله * كأنك لم ترض لي ما وهب

فكان جزاؤك ان خصني * وسد عليك طريق الطلب

ومن الحكمة الحسود لا يسود أي كثير الحسد لا تحصل له سيادة (وهو) أي الحسد (تمني زوال نعمة الغير سواء تمنى الحاسد ان تأتيه) أي النعمة (أولا) بان تمنى انتقالها عن غيره لغيره وهذا أخس الاخساء لانه باع آخرته بدنيا غيره أما اذا تمنى مثل نعمة الغير فانه غبطة وهي محمودة في الخير الا ان المحققين كما قاله في روح البيان قالوا هذا أيضا لا يجوز لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة عليه في الدنيا فلهذا السبب قال المحققون انه لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغي ان يقول اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي واذا تأمل الانسان كثيرا لم يجد أحسن مما ذكره الله تعالى في القرآن تعليما لعباده وهو قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال كما في حق ثعلبة وهذا هو المراد من قوله تعالى واسألوا الله من فضله انتهى وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه وبلغ الكل منا مناه ورضاه واعاذنا من الكبر والحسد ولا جعل علينا تباعة لاحد (ومنها) أي ومن الاوصاف الذميمة الواجب التخلي عنها واجتنابها (الغيبة) بكسر الغين المعجمة وهي حرام بالاجماع وفي الكتاب قوله تعالى ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا الآية وفي هذه الآية تنفير شديد من الغيبة لانها اشتملت على خمسة أمور وهي كونه لحما وميتا ونيا ومن آدمي واخ وقد اختلف العلماء في مرتبتها من التحريم فقال القرطبي من المالكية انها كبيرة بلا خلاف يعني في المذهب واليه ذهب كثير من الشافعية وقال بعضهم انها صغيرة والذي جزم به ابن حجر الهيتمي في شرح الشمائل ان غيبة العالم وحامل القرآن كبيرة وغيبة غيرهما صغيرة وهو المعتمد وكما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة يحرم على السامع استماعها واقرارها فيجب على كل من سمع انسانا يذكر غيبة محرمة ان ينهاه ان لم يخف ضررا ظاهرا وقد ورد ان من رد غيبة مسلم رد الله النار عن وجهه يوم القيامة فان لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس ولا يخلص الانكار بحسب الظاهر فان قال بلسانه اسكت وهو يشتهي بقلبه استمرارها فذلك نفاق كما قاله الولي الصالح الغزالي حجة الاسلام رحمه العلام (وهي) أي الغيبة (ذكرك اخاك) المسلم (في غيبته) بفتح الغين (بما يكرهه لو حضر) أي وسمع ما تقوله ولو بما فيه واذا ذكرته بما ليس فيه فقد زاد عليك اثم الكذب ومن الضلال قول بعض العامة ليس هذا

ومنها الحسد وهو تمني زوال نعمة الغير سواء تمنى الحاسد ان تأتيه أولا ومنها الغيبة وهي ذكرك أخاك في غيبته بما يكرهه لو حضر

غيبة انما هو اخبار بالواقع فربما جره ذلك للكفر لاستحلاله والعياذ بالله تعالى وليست الغيبة مختصة بالذكر بل ضابطها كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم بلفظك أو كتابتك أو اشارتك بعينك أو يدك أو رأسك أو غير ذلك سواء كان ذلك في بدنه أو دينه أو دنياه أو ولده أو والده أو حرفته أو لونه أو مركوبه أو ملبوسه أو تأليفه أو غير ذلك مما يتعلق به ومن ذلك قول المصنفين في كتبهم قال فلان كذا وهو غلط أو خطأ أو نحو ذلك فهو حرام الا ان أرادوا بيان غلطه لئلا يقلد فلا حرمة حينئذ لان ذلك نصيحة لا غيبة ومما يعين على ترك الغيبة شهود ان ضررها عائد على النفس فانه ورد انه تؤخذ حسنات المغتاب لمن اغتاب وتطرح سيآته فالعاقل من اشتغل بعيوب نفسه فان قال لا اعلم لى عيبا فهذا أعظم عيب ومما يرجى بركته الاستغفار لارباب الحقوق ومن أوراد سيدى أحمد زروق استغفر الله العظيم لى ولوالدى ولاصحاب الحقوق على وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات خمس مرات بعد كل فريضة وان ضم لها الصمدية ثلاثا ووهبها لاصحاب الحقوق كان حسنا وفقنا الله تعالى واياكم لما يحبه ويرضاه وانما يجب اجتناب هذه الثلاثة المذكورة التى هى الكبر والحسد والغيبة لقوله صلى الله عليه وسلم ان لابواب السماء حجابا يردون أعمال أهل الكبر والحسد والغيبة أى يمنعونها من الصعود الى حضرة الرب جل وعلا ولا تقبل أى أعمال أهلها لانه سبحانه وتعالى طيب فلا يقبل الا الطيب (ومنها) أى ومن الاوصاف الذميمة الواجب التخلى عنها واجتنابها (النميمة وهى نقل كلام الناس بعضهم الى بعض على وجه الافساد بينهم) كقوله فلان يقول فيك كذا لكن قال أبو حامد الغزالى حجة الاسلام رحمه الله العلام وليست النميمة مختصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو نحوها وسواء كان المنقول من الاعمال أو من الاحوال وسواء كان عيبا أو غيره قال النووى رحمه الله تعالى فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه قال وكل من حملت اليه نميمة لزمه ستة أمور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق والفاسق مردود الخبر الثانى ان ينهاه عن ذلك وينصحه الثالث ان يبغضه فانه بغيض عند الله ويجب بغض من أبغضه الله تعالى الرابع ان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الخامس ان لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا يحكى نميمة عنه فيقول فلان حكى لى كذا فيصير بذلك نماما والنميمة محرمة بالاجماع والمذاهب متفقة على انها كبيرة لحديث الصحيحين لا يدخل الجنة نمام وفى رواية لمسلم قتات بتاء ين أولاهما مشددة أى نمام من قت الحديث نمه والمراد لا يدخلها مع السابقين الا ان غفر له وكل ذلك ما لم تدع الحاجة اليها والا جازت لانها حينئذ ليست نميمة بل نصيحة كما اذا أخبرك شخص بان فلانا يريد البطش بمالك أو باهلك أو نحو ذلك لتكون على حذر فليس ذلك بحرام لما فيه من دفع المفاسد وقد يكون بعضه واجبا كما اذا تيقن وقوع ذلك لو لم يخبرك بهذا الخبر وقد يكون بعضه مستحبا كما اذا شك فى ذلك اه لقانى رحمه الله تعالى (ومنها) اى ومن الاوصاف الذميمة الواجب التخلى عنها واجتنابها (العجب وهو رؤية العبادة واستعظامها) كما يعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه فهذا حرام غير مفسد للطاعة وكذلك الرياء فهو حرام غير مفسد للطاعة خلافا لمن قال بانه يفسدها فان الذى صرح به بعض المحققين انه محبط للثواب فقط مع وقوع العمل صحيحا وانما حرم العجب لانه سوء ادب مع الله تعالى اذ لا ينبغى للعبد أن يستعظم ما يتقرب به لسيده بل يستصغره بالنسبة الى عظمة سيده لاسيما

ومنها النميمة وهى نقل كلام الناس بعضهم الى بعض على وجه الافساد بينهم ومنها العجب وهو رؤية العبادة واستعظامها

عظمته سبحانه وتعالى قال تعالى وما قدروا الله حق قدره أى ما عظموه حق عظمته
ومما يعين على دفع العجب ان الصادق المصدوق أخبر بانه يفسد العمل أى يبطل ثوابه فاذا
أرادت نفسك العجب فقل عوضك الله فى العمل خيرا ولا معنى للعجب بما لم يعلم أقبل أو لم يقبل على
انه حيث شهد ان كل شئ من الله تعالى لم يبق له شئ يعجب به (ومنها) أى ومن الاوصاف الذميمة
الواجب التخلى عنها واجتنابها (الرياء) بالمد (وهو أن يعمل القربة ليراه الناس) وهو قسمان
جلى وخفى فالاول أن يعمل الطاعة بحضرة الناس لا غير فان خلا بنفسه لا يفعل شيأ والثانى أن
يفعلها مطلقا حضر الناس أو لا لكن يفرح عند حضورهم قال الفضيل بن عياض رحمه الله
تعالى العمل لاجل الناس شرك وترك العمل لاجل الناس هو الرياء والاخلاص أن يعافيك
الله منهما فمن عزم على عبادة فتركها خوف الناس فهو مراء الا ان تركها ليفعلها فى الخلوة فهو
مستحب وأما التسميع فهو أن يعمل العمل وحده ثم يخبر به الناس لاجل تعظيمهم له أو لجلب
خير منهم قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق
وملأ كيسه حصى فيقول ما أملأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو أراد
أن يشترى به شيأ لا يعطى له شئ كذلك الذى عمل للرياء والسمعة وكل من الرياء والتسميع محبط
للثواب مع صحة العمل خلافا لما نص عليه السادة المالكية من أنه مبطل للعبادة وقول الحسن
من أعطى غيره شيأ حياء منه له فيه اجر وقول ابن سيرين من تبع جنازة حياء من أهلها له اجر
كل منهما محمول على ما اذا قصد جبر خاطر من اعطاه وأهل الجنازة لله والا فهو رياء وفى الحديث
القدسى انا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته لشريكى وقال تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن اعاذنا الله تعالى من الرياء والسمعة
ورزقنا الاخلاص بجاه أشرف الخواص (ومنها) أى ومن الاوصاف الذميمة الواجب التخلى عنها
واجتنابها (الكذب وهو الخبر الغير الموافق للواقع) وانما وجب اجتنابه لانه من صفة المنافقين
ومحل حرمة الكذب اذا كان لغير مصلحة شرعية فان كان لها جاز كالكذب للزوجة تطييبا
لنفسها بل قد يجب كالكذب لانقاذ مسلم أو لاصلاح ذات البين وفى الحديث كل الكذب يكتب
على ابن آدم الا ثلاثا الرجل يكذب فى الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة فيرضيها
والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفى الحديث أيضا الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم أو
دفع به عن دينه والحاصل ان الكذب قد يكون مباحا وقد يكون مندوبا وقد يكون واجبا وقد
يكون حراما لان الكلام وسيلة الى المقصود فكل مقصود محمود ان أمكن التوصل اليه
بالصدق فالكذب فيه حرام وان لم يمكن الا بالكذب فهو مباح ان كان المقصود مباحا ومندوب
ان كان المقصود مندوبا وواجب ان كان المقصود واجبا أفاده الخطيب الشربينى رحمه الله فى
تفسيره (ومنها) أى ومن الاوصاف الذميمة الواجب التخلى عنها واجتنابها (غير ذلك) المذكور
من الكبر والحسد الى آخر ما ذكر وذلك كالحقد والغضب والظلم وعقوق الوالدين وقطع الرحم
وجميع معاصى الاعضاء السبعة والفرح بالوقوع فى معصية وسائر المهلكات التى ذكرها حجة
الاسلام الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتبه وغيره اعاذنا الله تعالى من الخصال الذميمة
كلها وجنبنا اياها بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (ومن الثانية) أى التى هى الاوصاف
الحميدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف بها (التواضع) هو التخضع والتذلل والتخشع ولين
الجانب قال فى نسيم الرياض التواضع اظهار انه وضيع وهو أشرف الناس اه وحسبك

ومنها الرياء وهو أن يعمل القربة ليراه الناس ومنها الكذب وهو الخبر الغير الموافق للواقع ومنها غير ذلك ومن الثانية التواضع

(قوله التخضع الخ) اى للغير ظاهرا والحاصل ان معنى التواضع لغة التذلل للغير ظاهرا فقط لكن المعتبر شرعا أن يكون باطنه مطابقا لظاهره بحيث يكون فى نفسه انه أنزل رتبة ممن تواضع له فلو رأى نفسه أعلى منه وانه تنزل له عن رتبته فذلك هو الكبر ومما يعين الانسان على التواضع الشرعى أن يستحضر فى نفسه عيوبها فيجدها لا يحصى ويجد عيوب غيره خافية عليه لا يعلمها لعلمه بعيوب نفسه فعند ذلك يرى غيره خيرا منه فان ظهرت له عيوب الغير قال لنفسه لعله تاب مما ظهر لى بينه و بين ربه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وأنا قد غيب الله عنى عاقبة أمرى فما أدرى ماذا يفعل بى ولا أدرى اذا أذنبت ذنبا هل يوفقنى الله للتوبة مثله أو على انى ان نظرت لنفسى وجدت فيها استعداد القبول كل شئ لانى غير معصوم ومن كانت هذه حقيقته فلا ينبغى له أن يرى لنفسه فضلا على غيره

باشرف الخلق المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث خير بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد أعطاك ما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع قال في أشرف الوسائل واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع وهو التذلل والتخشع الا اذا دام نور تجلي الشهود في قلبه لانه حينئذ يذيب النفس ويصفيها من غش الكبر والعجب فيلين ويطيع الحق والخلق بمحو آثارها وسكون وجهها ونسيان حقها والذهول عن النظر الى قدرها ولما كان الحظ الاوفر لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تواضعا فالمتواضع من عرف الحق ورأى جميع ما معه من فضل الله ولا يحقر شيأ في مملكة سيده ويسأله دوام ما تفضل به عليه لكن يطلب شرعا اظهار الانفة على اعداء الله تعالى وقد جاء في التواضع آيات وأحاديث فمن الاولى قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ومن الثانية قوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله وقوله صلى الله عليه وسلم ما تواضع أحد لله الا رفعه الله وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقوله صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل زاهدا حتى يكون متواضعا وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد وفي الحكم والامثال تاج المروأة التواضع التواضع شبكة الشرف تواضع المرء يكرمه سمو المرء في التواضع التواضع من مصايد الشرف من تواضع وقر ومن تعاظم حقر التواضع أجل مزية وأفضل سجية لا حسب كالتواضع ثمرة التواضع المحبة وما أحسن قول بعضهم

ان التواضع من صفات المتقي * وبه التقي الى المعالي يرتقي

(وقال آخر)

تواضع لرب العرش علك ترفع * فما خاب عبد للمهيمن يخضع

(وقال آخر)

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * الى طبقات الجو وهو وضيع

(وقال آخر)

تواضع اذا ما نلت في الناس رفعة * فان رفيع القدر من يتواضع
ولا تمش في الارض الا تواضعا * فتحتك كم قوم هم منك أرفع

(ومنها) أي ومن الاوصاف الجيدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف بها (التوكل على الله) سبحانه وتعالى في كل الامور أي الاعتماد عليه تعالى وقطع النظر عن الاسباب مع تهيئها والتمكن منها ولذا قال صلى الله عليه وسلم اعقل وتوكل واعلم ان العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في الافضلية من كل من الاكتساب والتوكل فقالوا هل الافضل الاكتساب أو التوكل على ثلاثة أقوال الاول ان الاكتساب وهو مباشرة الاسباب بالاختيار كالبيع والشراء لاجل الربح ومثله تعاطي الدواء لاجل الصحة ونحو ذلك أفضل واثمار نحوه لما فيه من كف النفس عن التطلع لما في أيدي الناس ومنعها من الخضوع لهم والتذلل بين أيديهم مع حيازة منصب التوسعة على عباد الله ومواساة المحتاجين وصلة الارحام بتوفيق الله تعالى الثاني ان التوكل وهو كمال الاعتماد

ومنها التوكل على الله

عليه تعالى وقطع النظر عن الاسباب مع التمكن منها أفضل وانما رجحوه لما فيه من ترك ما يشغل
عن الله تعالى والاتصاف بالرغبة الى الله تعالى والوثوق بما عنده مع حيازة مقام السلامة من
فتنة المال والمحاسبة عليه وقد أخرج القضاعي من انقطع الى الله تعالى كفاه الله كل مؤنة
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها قال سليمان الخواص لوان رجلا
توكل على الله بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم وكيف يحتاج هو الى أحد ومولاه
هو الغنى الحميد الثالث التفصيل وهو المختار كما عرف من كتب القوم كالاحياء للغزالي والرسالة
للقشيري رحمهما الله تعالى وحاصل التفصيل انهما يختلفان باختلاف أحوال الناس فمن يصبر
عند ضيق معيشته بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من
مجاهدة النفس على ترك شهواتها ولذاتها والصبر على شدتها ومن لم يكن كذلك فالاكتساب في
حقه أرجح حذرا من التسخط وعدم الصبر بل ربما وجب الاكتساب في حقه وهذا كله انما
يتمشى على ان التوكل ينافي الكسب كما هو طريقة ابن جعفر الطبري ومن وافقه بخلافه على
طريقة الجمهور وهو ان التوكل لا ينافي الكسب فقد يكون متوكلا وهو يكتسب لان
حقيقة التوكل على هذه الطريقة الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه واعتقاد ان الامر منه واليه
ولو مع مباشرة الاسباب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم (فائدة) قال الغزالي رحمه الله تعالى
أخذ الزاد في السفر بنية عون مسلم أفضل والافضل تركه لمنفرد قوى القلب يشغله الزاد عن
عبادة الله وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح يحملون الزاد بنيات الخير
لا لميل قلوبهم الى الزاد عن الله تعالى والمعتبر القصد فكم حامل زاد وقلبه مع الله وكم تارك زاد
وقلبه مع الزاد والدخول في البوادي بلا زاد توكلا بدعة لم تنقل عن أحد من السلف لانه مخاطرة
بالروح وقد قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة (ومنها) أي ومن الاوصاف الحميدة الواجب
التخلق والتزين والاتصاف بها (الشكر على نعم الله) سبحانه وتعالى التي لا يحصيها عد ولا يحدها
حد وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر أو غيره ويقال هو الثناء على المنعم
بانعامه ويكون بالقلب واللسان والاركان قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم أي توفيقا ونعما وفي
عيون المجالس للحدادي معنى الآية لئن شكرتم نعمتي عليكم بالتوحيد والرزق وصحة الجسم
لازيدنكم سائر النعم ولئن كفرتم نعمائي ان عذابي لشديد في الآخرة أو لئن شكرتم نعيم الدنيا
لازيدنكم نعيم العقبى أو لئن شكرتم التصديق لازيدنكم التوفيق أو لئن شكرتم المعرفة
لازيدنكم المغفرة أو لئن شكرتم البداية لازيدنكم النهاية أو لئن شكرتم نعمة الطاعة انها مني
لازيدنكم من طاعتي وخدمتي وقال اعملوا آل داود شكرا وقال ان أشكر لي ولوالديك وقال
كلوا من رزق ربكم واشكروا له وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على
وجه الخضوع ويحتمل أن حقيقته الثناء على المحسن بذكر احسانه فشكر العبد ثناؤه على الله
بذكر احسانه اليه وشكر الحق للعبد ثناؤه عليه بذكر طاعته والشكر من حيث هو ثلاثة أقسام
لساني وهو اعترافه بالنعمة وبدني وهو اتصافه بالوفاء والخدمة وقلبي وهو اعتكافه على بساط
الشهود بادامة حفظ الحرمة وحقيقته لا تحصل عند الامكان الا بالثلاثة قيل الشاكر من يشكر
على الموجود والشكور من يشكر على المفقود وقال أبو القاسم الشكر ان لا يستعان بنعمة من نعم
الله على معصيته ولما بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة فقيل له في ذلك فقال لا شكره
فيها كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط له الملك جناحه وحمله الى السماء الرابعة أو السادسة أو الجنة فلما

ومنها الشكر على نعم الله

عزم على هذا الشكر سخر له الملك يحمله الى مقام شريف كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا فهو مقيم به وقيل مر بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله فقال سمعته تعالى يقول وقودها الناس والحجارة فبكيت خوفا فدعا الله أن يجيره منها فاوحى اليه انى قد أجرته فاعلمه ثم مر عليه فوجده كذلك فتعجب فانطقه الله فقال كنت أبكى حزنا وخوفا والآن أبكى شكرا وسرورا فيجب على العبد الشكر على جميع النعم الظاهرة والباطنة قال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وذلك بان يصرف مامن الله به عليه من كل قواه فيما خلق لاجله ويعترف بانه عبد مقصر عاجز عن القيام بحق الربوبية وانه لو بلغ من معرفة قدر نعم الله عليه وصرف عمره فى شكرها ما بلغ واجتهد ما اجتهد وشمر فى الطاعات أى تشمير ما وفى بشكر اذن الله له فى طاعته أو اقداره عليها وجعله لها أهلا جعلنا الله من الشاكرين الحامدين (ومنها) أى ومن الاوصاف الجيدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف بها (الصبر) وهو حبس النفس وقهرها على كريه تتحمله أولذيذ تفارقه وهو قسمان صبر على ماهو كسب للعبد وصبر على ماليس له كسب والاول قسمان أحدهما الصبر على اداء ما أوجب الله سبحانه وتعالى أوندب اليه وثانيهما الصبر عما حرم الله تعالى أوكرهه والثانى على مقاساة مايتصل بالعبد مما ابتلاه الله سبحانه وتعالى به بحكمه وعدله كمرض وسقم وموت نحو ولد وفقد مال وتسلط اشرار بان يترك الشكوى لمخلوق ويكل الامر لعلام الغيوب قال ذوالنون الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البليات بنزول الآلام والاسقام واظهار الغنى مع حلول الفقر به فى جميع الحالات وقال ابن عطاء هو الفناء فى البلوى بلا اظهار شكوى وقيل هو القيام مع البلاء بحسن الصحبة كالاقامة مع العافية واعلم ان الصبر هو الايمان كله ومدار قطب الاسلام باسره لانه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الايمان قال الصبر وقد ذكر فى الكتاب العزيز نيفا وسبعين مرة ويطلق معناه على الشكر وعكسه مثل أن يصاب فيصبر ويرى ان هذه المصيبة نعمة من الله تعالى باطنة فيشكر عليها ويصبر فقد اجتمع له فى ذلك الصبر والشكر (ومنها) أى ومن الاوصاف الجيدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف بها (الزهد) هو فى اللغة خلاف الرغبة يقال زهد فى الشئ وعنه أى لم يرغب فيه وحقيقته انصراف الرغبة عن الشئ الى ماهو خير منه وشرط المرغوب عنه أن يكون أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك الحجر والتراب والحشرات لا يسمى زاهدا لانها ليست فى مظنة الرغبة وتارك الدراهم والدنانير يسمى زاهدا وشرط المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى يغلب الرغبة فيه فمن باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ومن باع الآخرة بالدنيا فهو زاهد فى الآخرة والعادة جارية بتخصيص اسم الزهد بالدنيا وقد وردفيه أحاديث كثيرة شهيرة منها مارواه البيهقى رحمه الله تعالى فى شعب الايمان عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مازهد عبد فى الدنيا الا أنبت الله الحكمة فى قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيب الدنيا وداءها ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام ومنها مارواه الامام أحمد رحمه الله تعالى قال قال صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فى الدنيا تطيل الهم والحزن وماقصر عبد فى طاعة الله الا ابتلاه الله بالهم ومنها قول النبى صلى الله عليه وسلم من أراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا وقوله عليه السلام اذا رأيتم الرجل قد أوتى زهدا فى الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وللعلماء

ومنها الصبر ومنها الزهد

مقالات كثيرة فى الزهد (ومنها) أى ومن الاوصاف الحميدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف
بها (الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) المعروف ما عرفه الشرع وهو الواجب والمندوب
والمنكر ما أنكره الشرع وهو الحرام والمكروه فيندب الامر بالمندوب والنهى عن المكروه
ويجب الامر بالواجب والنهى عن الحرام وجوبا كفائيا فاذا قام به البعض سقط الطلب عن
الباقين وهو فورى اجماعا ولا يختص وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمن لا يرتكب
مثله بل من رأى منكرا وهو يرتكب مثله فعليه أن ينهى عنه ولهذا قال امام الحرمين يجب على
متعاطى الكاس أن ينكر على الجلاس وقال الغزالى يجب على من زنى بامرأة أمرها بستر وجهها
عنه والدليل على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة والاجماع أما
الكتاب فكقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأما السنة فكحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
أضعف الايمان أى أقل ثمراته لدلالته على عدم انتظامه والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها فمراتب
الانكار ثلاث أقواها أن يغيره بيده ويليها التغيير بالقول وأضعفها الانكار بالقلب بان يكرهه
بقلبه ولا يرضى به وأما الاجماع فلان المسلمين فى الصدر الاول وبعده كانوا يتواصون بذلك
ويوبخون تاركه مع الاقتدار عليه ولا يشكل على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لان المعنى اذا فعلتم
ما كلفتم به ومنه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يضركم فعل غيركم للمعصية فصارت الاية
دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن مسعود رضى الله عنه ان من أكبر

ومنها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنها

الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وفى الحديث من قيل له اتق الله
فغضب وقف يوم القيامة فلم يبق ملك الا مر به وقال له أنت الذى قيل لك اتق الله فغضبت يعنى
يوبخونه واعلم ان لوجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر شروطا أحدها أن يكون المتولى
لذلك عالما بما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له الامر ولا النهى فليس للعوام أمر ولا
نهى فيما يجهلونه وأما الذى استوى فى معرفته العام والخاص ففيه للعالم وغيره الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وثانيها أن يأمن أن يؤدى انكاره الى منكر أكبر منه كان ينهى عن شرب
الخمر فيؤدى نهيه عنه الى قتل النفس أو نحوه فعدم هذين الشرطين يوجب التحريم وثالثها أن
يغلب على ظنه ان أمره بالمعروف مؤثر فى تحصيله وان نهيه عن المنكر مزيل له وعدم هذا الشرط
يسقط الوجوب ويبقى الجواز اذا قطع بعدم الافادة والندب اذا شك فيها قاله القرافى وغيره وقال
السعد والآمدى بالوجوب فيما لو ظن عدم الافادة أو شك فيها بخلاف ما اذا قطع بعدم الافادة
ولفظ السعد ومن الشروط تجويز التأثير بان لا يعلم قطعا عدم التأثير لئلا يكون عبثا واشتغالا
بما لا يعنى اه ونحوه قول الآمدى من شروط الوجوب ان لا ييأس من اجابته اه وقال
أكثر العلماء كالشافعية لا يشترط هذا الشرط لان الذى عليه الامر والنهى لا القبول كما قال
تعالى ما على الرسول الا البلاغ وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ولذلك قال النووى
قال العلماء ولا يسقط عن المكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكونه لا يفيد فى ظنه بل
يجب عليه فعله اه ملخصا من شرح اللقانى رحمه الله تعالى على جوهرته ومن حاشية الشنوانى
على شرح عبد السلام (ومنها) أى ومن الاوصاف الحميدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف

الاخلاص ومنها غير ذلك وبالجملة يطلب من كل مكلف أن يكون متصفا بما كان عليها السادة الاخيار من السلف الصالح من فعل المأمورات واجتناب المنهيات تابعا لهم

بها (الاخلاص) وهو قصد الله بالعبادة وحده وهو سبب للخلاص من أهوال يوم القيامة وهو واجب عيني على كل مكلف في جميع الطاعات قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وما ابتغي به وجهه وفي حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة فارقها والله عنه راض وعن ثوبان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء وفي رواية قتماء وهي بمعنى ظلماء ومما يعين على الاخلاص استحضار ان ماسوى الله لا شئ بيده وان كل شئ بيد الله تعالى والصادق في اخلاصه لا يحب اطلاع الناس على حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على سيئ عمله ولا يبالي بخروج قدره من قلوب الخلق ورؤي بعضهم في المنام بعد الموت يقول الجنة أرضها الايمان وشجرها الاعمال وثمرها الاخلاص (ومنها) أي ومن الاوصاف الحميدة الواجب التخلق والتزين والاتصاف بها (غير ذلك) المذكور من التواضع والتوكل والشكر الى آخر ما ذكر وذلك كالمراقبة لله تعالى والرضا عن الله تعالى وحسن الظن بالله وبخلق الله وتعظيم شعائر الله والثقة بالرزق والندم على المعاصي وبغض الشيطان وبغض الدنيا وبغض أهل المعاصي من حيث المعصية ومحبة الله ومحبة كلامه ورسوله والصحابة والآل والصالحين والعلماء والاولياء واكثار الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وسائر المنجيات المذكورة في الكتب المطولات كالاحياء والرسالة ونحوهما جعلنا الله ممن تخلى عن الاوصاف الذميمة وتحلى بالاوصاف الحميدة بمنه وكرمه آمين (وبالجملة) أي وأقول قولا متلبسا بجملة الكلام وحاصله انه (يطلب من كل مكلف أن يكون متصفا بما) أي بالاخلاق التي (كان عليها السادة الاخيار) حال كونهم (من السلف) أي الفريق (الصالح) وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهذا أندر من الكبريت الاحمر ويطلق الصالح على النبي كما يطلق على الولي الا ان الصلاح في الانبياء أكمل منه في الاولياء والمراد باخيار السلف الصالح الانبياء والصحابة والتابعون وتابعوهم وما كان عليه السادة المذكورون بينه رحمه الله تعالى بقوله (من فعل المأمورات) التي أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعلها (واجتناب المنهيات) التي أمر الله ورسوله باجتنابها وتركها قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والحاصل انه يجب على المكلف جميع ما أمر الله به أمرا جازما سواء كان على الاعيان أو على الكفاية ويندب له فعل ما أمر الله به أمرا غير جازم وهو المندوب واجتناب ما نهى الله عنه نهيا جازما ويندب له اجتناب ما نهى الله عنه نهيا غير جازم وهو المكروه فيزن جميع أقواله وأفعاله واعتقاداته بميزان الشريعة وعليه بحفظ الحواس وضبط الانفاس ويطلب أيضا من المكلف أن يكون (تابعا لهم) أي للسادة الاخيار من السلف الصالح الانبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم خصوصا الائمة الاربعة المجتهدين الذين هم الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم ونفعنا بهم وقد انعقد الاجماع على امتناع الخروج عن مذاهبهم رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين فيجب على كل من لم يكن فيه أهلية الاجتهاد المطلق وقد فقد من القرن الرابع ولا يوجد الآن ولو كان مجتهد فتوى أو مذهب تقليد واحد من الائمة الاربعة المذكورين في الاحكام الفرعية وترك ذلك خرق لكل ما أجمع عليه أهل السنة قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد استدل بهذه الآية على

حرمة خرق الاجماع جماعات منهم امامنا الشافعي رضي الله عنه وهذا البحث مشهور في كتب الاصول وغيرها يحتاج الى بسط الكلام ولولا خوف الاطالة لاوردت جملا منه وأما التقليد في العقائد الدينية فقد علمته في صدر هذه الرسالة و بالجملة فيطلب من كل مكلف أن يكون تابعا لمن ذكر من السلف الصالح خصوصا الائمة الاربعة في الفروع والامام أبي الحسن الاشعري في الاصول أي العقائد الدينية والامام الجنيد ونحوه في التصوف (في اعتقاداته وأفعاله وأقواله) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وهذا كناية عن شدة التمسك بها وانما طلب من المكلف أن يتصف بالاخلاق التي اتصف بها الاخيار من السلف الصالح (لان كل خير) حاصل (في اتباع من سلف) من الانبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم (و) لان (كل شر) حاصل (في ابتداع من خلف) أي من تأخر من الخلف السيئ الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات واعلم أن البدعة تعتريها الاحكام الخمسة فتارة تكون واجبة كضبط المصاحف والشرائع اذا خيف عليها الضياع وتارة تكون محرمة كالمكوس وسائر المحدثات المنافية للقواعد الشرعية وتارة تكون مندوبة كصلاة التراويح جماعة ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة هي وتارة تكون مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتارة تكون مباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار ان أول شئ أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل وانما كانت مباحة لان لين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة (جعلنا الله) أي اللهم اجعلنا (ممن اتصف) أي تخلق وتزين (باخلاق السادة الاخيار) من فعل المأمورات واجتناب المنهيات فان قيل ان مقام طلب الدعاء مقام ذلة وخضوع فلا يناسبه الاتيان بضمير العظمة فكان الاولى أن يقول جعلني الله بدل قوله جعلنا الله أجيب بانه أتى بضمير العظمة اظهارا لتعظيم الله له تحدثا بالنعمة لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها الحديث التحدث بالنعمة شكر وهذا لا ينافي ذله لمولاه وتواضعه في ذاته فكون خطاب رب العالمين بالدعاء من عبده مقام التضرع ظاهرا و باطنا بالذلة لا بالعظمة مالم يأمر الرب جل وعلا باظهار العظمة والا كان المقام مقام العظمة بالله امتثالا لامره تعالى وقال الملوي رحمه الله تعالى لا منافاة بين مقام الذلة والعظمة لاختلاف اعتباريهما فان الشخص اذا نظر لنفسه احتقرها بالنسبة لعظمة الله تعالى واذا نظر لتعظيم الله اياه بتأهيله للعلم عظمها الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم والعالم أشبه الناس بالجماعة ولما قاله الشبرخيتي نقلا عن نص شراح الرسالة القيراوانية من أنه يجوز للانسان تعظيم نفسه اذا بلغ درجة التأليف واعلم أن المراد من الحديث المذكور وليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيما لكونه جعله محلا للعلم وموصوفا به ولم يسترذله بحيث حظره عليه ومنعه منه كما ورد في الحديث اذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم أو الادب أو ما هذا معناه وليس المراد بتعاظمه احتقار غيره و بهذا كله علم أن ما يقال من أن اظهار العظمة فيه تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم يرده أن التزكية المنهي عنها ما كانت لرياء وسمعة ونحو فخر لا ما كانت لنحو اشهار نفسه ليعلم مقامه في العلم مثلا ليقصد لذلك وما نحن فيه من هذا الثاني ويحكى عن بعض العلماء المقتدى به انه لما دخل بعض البلدان فأخذته دهشة الغربة فلم يجد له صاحبا ولم يعرف أين يستقر ولم يعرفه أحد فخطر بباله ما قاله العلماء في توجيه كون النبي مأخوذا من النبأ من أنه مخبر للناس بانه نبي ليحترم فنادى أيها الناس أنا الشيخ فلان الذي تسمعون به فاقبل عليه الناس وقاموا بحقه

في اعتقاداته وافعاله وأقواله لان كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف جعلنا الله ممن اتصف باخلاق السادة الاخيار

أحسن القيام ويحتمل أنه أتى بضمير المتكلم ومعه غيره طلبا لان يجيب الله سبحانه وتعالى دعاءه فقصد نفسه وغيره من اخوانه المسلمين طلبا لان يستجيب الله تعالى دعاءه وهو أولى لاجل التعميم المطلوب فى الدعاء الذى هو الحيلة فى استجابته لحديث اذا دعوتم فعمموا فقمن أن يستجاب لكم وحديث اذا دعوتم الله فاجمعوا فاعل فمن تجمعون من تنالوا بركته وتحقير النفسه عن أن يستقل بالطلب فشارك اخوانه فيه لكن الطلب منهم حكمى وتقديرى لا تحقيقى لانه لم يتحقق منهم هذا الطلب فاحفظ ذلك وادع لى فانه نفيس والله ولى التوفيق (و) جعلنا الله تعالى (ممن تابعهم فى) اعتقاداته وأقواله وأفعاله من كل (ما يرضى) المولى سبحانه وتعالى (الكريم) أى المنعم بكل مطلوب محبوب مأخوذ من الكرم وهو اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى على وجه ينبغى لا لغرض ولا لعلة واعلم أنه يطلب من العباد التخلق باخلاقه تعالى أى فيما يمكن التخلق به كالكرم هنا حكى اليافعى رحمه الله تعالى فى روض الرياحين ان شخصا أنشد ليحيى بن خالد هذين البيتين فاعطاه بكل حرف من الحروف مائة درهم وهما

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى من والد بعد والد

(الغفار) أى ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها فى الدنيا وترك المؤاخذة بها فى العقبى حالة كونى سائلا ذلك (بفضله) أى باعطائه الذى هو عن اختيار كامل (و) سائلا ذلك (بامتنانه) أى اعطائه وانعامه الوافر من غير سؤال وحساب فهو يطلق على ما ذكر ويطلق أيضا على تعداد النعم بان يقول المنعم لمن أنعم عليه فعلت معك كذا وكذا وهو من الله تعالى حسن ليذكر عباده نعمه عليهم فيطيعوه ومن غيره تعالى الا من نبى أو والد وان علا ولو من قبل الام أو شيخ حرام مذموم لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (و) سائلا ذلك (بجوده) أى كرمه (و) سائلا ذلك (باحسانه) أى انعامه وهذه الالفاظ الاربعة متقاربة المعنى وانما لم يقتصر على احدها لان مقام الالتجاء والثناء مقام اطناب (و) متوسلا (بجاه) أى قدر ومنزلة (سيدنا محمد) الذى ما خاب من توسل به ولا انقطع من تمسك بسببه القائل توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم (المختار) على جميع الخلق (و) بجاه (الانبياء والصحب والآل الاطهار) أى المطهرين من الادناس والارجاس واعلم أن التوسل به صلى الله عليه وسلم كما صنع المؤلف رحمه الله تعالى مطلوب لانه سيرة السلف الصالح من الانبياء وغيرهم كما فى الاحاديث الصحيحة كحديث الحاكم فى توسل آدم عليه الصلاة والسلام به صلى الله عليه وسلم وحديث النسائى والترمذى فى الضرير الذى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وطلب منه ان يدعو الله له ليعافيه فامره ان يحسن الوضوء ويتوسل به صلى الله عليه وسلم ففعل فقام وقد أبصر وكالتوسل به صلى الله عليه وسلم التوسل بغيره من الانبياء وكذا الاولياء وسائر عباد الله الصالحين الذين منهم أصحاب النبى الابرار وآله الاطهار كما صنع المصنف أيضا وفاقا للسبكى وابن جماعة وابن علان رحمهم الله تعالى وغيرهم من العلماء الاعلام المعول عليهم فى الدين لان عمر توسل بالعباس رضى الله عنهما فى الاستسقاء ولم ينكر عليه أحد ولانه ورد أنه يجوز التوسل بالاعمال الصالحة كما فى حديث الغار المذكور فى صحيح البخارى فى الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التى سدت الغار عنهم فالتوسل بالذوات الفاضلة مثل ذوات الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذا الاولياء وسائر عباد الله الصالحين أحق وأولى لما فيهم

(قوله فاعطاه بكل حرف من الحروف مائة درهم) ومن هذا القبيل بل أعلى ما حكاه فى الاحياء من أن معن بن زائدة كان عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل الامير البستان اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فمالى الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعا بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر وهى مائة ألف درهم فأخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على ان أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار اهـ

عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام صلاة وسلاما ننال بهما الوفاة على الايمان والاسلام * خاتمة * نسأل الله تعالى حسنها بجمع معانى هذه العقائد التى تقدم ذكرها قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه ۞ (قوله فانظر رسالة شيخنا وشيخ مشايخنا الخ) وقد ألفت رسالتين فى ذلك فانظرهما ان شئت اهـ مؤلف (قوله فاندفع مازعمه جمع من امتناع الدعاء له صلى الله عليه وسلم الخ) سئل شيخنا أطال الله بقاءه بما نصه ماقولكم دام فضلكم ياعلماء مكة المشرفة فى قراءة الفاتحة لارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم وفيما ذكر من منع قراءة الفاتحة لارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى تفسير روح البيان تحت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وما الفرق بين قراءة الفاتحة للنبى صلى الله عليه وسلم وما اعتيد فى الدعاء بعد القراءة بنحو اللهم اجعل مثل ثواب ذلك مقدما الى حضرته أو زيادة فى شرفه وهل بين الروح والحضرة وغيرهما فرق و بين الفاتحة وغيرها من القرآن بالنسبة للقراءة لروح النبى صلى الله عليه وسلم فرق وهل فى كتب الشافعية صريح فى سنية قراءة الفاتحة لروح النبى صلى الله عليه وسلم بينوا لنا بأوضح العبارات جوابا كافيا جزاكم عنا وعن جميع المسلمين خيرا آمين فأجاب أطال الله بقاءه بما نصه اعلم رحمك الله تعالى ان قول الناس الفاتحة الى روح النبى صلى الله عليه وسلم وقولهم الفاتحة فى صحائف النبى أو لحضرة النبى أو زيادة فى شرف النبى صلى الله عليه وسلم المراد منها واحد وهو اقرؤا الفاتحة واهدوا ثوابها لروح النبى صلى الله عليه وسلم أو فى صحائف النبى أو لحضره النبى صلى الله عليه وسلم أو زيادة فى شرفه فهو بمنزلة قولهم عقب القراءة اللهم اجعل مثل ثواب ذلك مقدما الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم أو زيادة فى شرفه واذا علمت ذلك فاعلم ان الذى حققه ابن حجر فى التحفة والرملى فى النهاية وغيرهما ان ذلك عليه حسن مندوب اليه وعبارة التحفة وما اعتيد فى الدعاء بعدها أى القراءة من اجعل ثواب ذلك أو مثله مقدما الى حضرته صلى الله عليه وسلم أو زيادة فى شرفه جائز كما قاله جماعات من المتأخرين بل حسن مندوب اليه خلافا لمن وهم فيه لانه صلى الله عليه وسلم أذن لنا بأمره بنحو سؤال الوسيلة له فى كل دعاء له بما فيه زيادة تعظيمه وليس فى الدعاء بالزيادة فى الشرف ما يوهم النقص خلافا لمن وهم فيه كما بينته فى الفتاوى وفى حديث أبى المشهور كم أجعل لك من صلاتى أى دعائى أصل عظيم فى الدعاء له عقيب القراءة وغيرها اهـ بحذف وقوله كما بينته فى الفتاوى المذكورة سئل شيخ الاسلام زكريا الانصارى عن واعظ قال لا يجوز لقارئ القرآن أو الحديث أن يهدى ثواب ذلك فى صحائف النبى صلى الله عليه وسلم وبه أفتى المتقدمون والمتأخرون فأجاب بقوله ان هذا الواعظ قليل المعرفة يستحق التعزير البليغ بحسب ما يراه الحاكم من نحو حبس أو ضرب و يثاب عليه زاجره و يأثم مساعده

من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين من رب العالمين فيقضى الله تعالى بهم حوائج المؤمنين على رغم أنف المنكرين وان أردت بسط الكلام فى هذا المقام فانظر رسالة شيخنا وشيخ مشايخنا المسماة بالدرر السنية فى الرد على الوهابية ترفيها العجب العجاب (عليه) أى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وعليهم) أى الانبياء والصحب والآل الاطهار (أفضل الصلاة والسلام صلاة وسلاما ننال) أى نحصل من الله تعالى (بهما) أى بسبب بركتها (الوفاة) أى الموت (على الايمان والاسلام) فان ذلك هو المقصود الاعظم من هذه الدار والسبب الانجح للفوز بالنعيم المقيم فى دار القرار ولما أنهى رحمه الله تعالى الكلام على ما يجب على المكلف معرفته مما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز وما يجب للرسل وما يستحيل وما يجوز و بين السمعيات ذكر ما يتضمن ذلك متمما الفائدة ببيان فضل الكلمة المشرفة التى هى كلمة التوحيد مترجما له بخاتمة رجاء أن يمن ذو الجلال والاكرام بحسن الختام فنسأله سبحانه أن ينظمنا مع من ختم له بخاتمة السعادة فى سلك وأن يتفضل علينا بحسن الختام الذى يحق أن يقال فيه ختامه مسك فقال (خاتمة) تطلق لغة على آخر كل شئ واصطلاحا ألفاظ مخصوصة دالة على معان مخصوصة (نسأل الله تعالى حسنها) أى الخاتمة لان بحسنها يحصل المقصود (بجمع) أى يستلزم (معانى هذه العقائد) الايمانية (التى تقدم ذكرها) المنقسمة الى ثلاثة أقسام وهى كما تقدم الالهيات وهى المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالاله والنبويات وهى المسائل التى يبحث فيها عما يتعلق بالانبياء والسمعيات وهى المسائل التى لا تتلقى أحكامها الا من السمع (قولنا) أى معنى قولنا (لا اله الا الله) سيدنا (محمد رسول الله صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه) أى عنده والقصد بذلك الدعاء له صلى الله عليه وسلم فسؤال الزيادة لا يشعر بسبق نقص لان الكامل يقبل زيادة الترقى فى غايات الكمال فاندفع مازعمه جمع من امتناع الدعاء له صلى الله عليه وسلم عقب نحو ختم القرآن باللهم اجعل ثواب ذلك زيادة فى شرفه صلى الله

وبيان ذلك ان الجملة الاولى نفت الالوهية عن غيره تعالى واثبتتها له اذ معنى الالوهية استغناء الاله عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه فمعنى لا اله الا الله لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه الا الله تعالى فالاستغناء يستلزم ثلاثة وعشرين عقيدة على ذلك وها أنا أذكر ذلك مفصلا فاما ما ادعاه من أنه لا يجوز اهداء القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم فالحق خلافه والعجب منه كيف ساغ له دعوى اجماع المسلمين وافتاء المتقدمين والمتأخرين على عدم الجواز وهل هذا الا مجازفة في دين الله فان جوازه كما قرره الشافعي ذائع في الاعصار والامصار من غير انكار الى آخر ما قال ثم قال ابن حجر بعده وهو في غاية التحقيق والانصاف شكر الله سعيه اهـ وفي فتاوى الكردي من عمل عملا فقال بعده اللهم أوصل ثواب هذه العبادات للنبي صلى الله عليه وسلم صح ذلك بل يندب على المعتمد وان كان يضاعف له صلى الله عليه وسلم أجر كل من عمل خيرا من أمته من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن غير احتياج الى افتتاح الاعمال بنية جعل ثوابها له عليه الصلاة والسلام اهـ وفي الكردي أيضا قرأ شيأ من القرآن ثم أهدى ثوابه الى روح النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى روح فلان وفلان أما (١٣٧) النبي صلى الله عليه وسلم فالثواب حاصل له مطلقا بل هو مضاعف تضعيفا تستحيل الاحاطة به لانه يثاب على أعمال أصحابه بالتضعيف وأما غيره ممن دعا له القارئ بوصول ثواب القراءة أو جعله له أو كان بحضرته أو نواه بها فالنفع للكل لا محالة بل احضار المستأجر له في القلب سبب لشمول الرحمة اذا نزلت على قلب القارئ وأما ثواب نفس القراءة ففي حصوله له خلاف والذي اعتمده ابن حجر وم ر حصوله أي الثواب له ان دعا للميت عقب القراءة أو جعل له ثوابها أو كان بحضرته وكذا ان كان غائبا ونواه بالقراءة وهو مذهب الائمة الثلاثة اهـ وفي

(١٨ - ارشاد المهتدى) فتاوى الخليلي الشافعي سئل عن قراءة الفاتحة بعد الدعاء هل هي سنة أم لا وكثير من اذا ختم الدعاء يقول عقبه الفاتحة للنبي صلى الله عليه وسلم أو لفلان الغائب هل يستحب أم لا أفتى العلامة الشمس الرملي بأن قراءة الفاتحة عقب الصلاة لها أصل في السنة والمعنى فيه ظاهر لكثرة فضائلها وقراءتها في الاحوال المذكورة لا بأس بها بل هي مستحبة والله أعلم وبقول شيخ الاسلام كما قرره الشافعي وأقره عليه ابن حجر تعلم ان ما نقله في روح البيان عن الشافعي من أنه لا يجوز قراءة الفاتحة لروح النبي صلى الله عليه وسلم ثم لارواح الانبياء لان ذلك شائع في العصاة فيلزم مساواة أرواح العصاة لارواح الانبياء فيه نظر ظاهر وتعليله المذكور باطل اذ القراءة بنية جعل ثوابها للعصاة غيرها بالنسبة للانبياء اذ هي بالنسبة للاولين بمعنى تخفيف العذاب عنهم وبالنسبة للآخرين بمعنى زيادة الترقي في المقامات فلا تلزم المساواة نعم نقل النووي في شرح مسلم عن الشافعي انه قال لا يصل ثواب القراءة للميت ونقل عن الاصحاب انه يصل وكتب البجيرمي على قوله لا يصل بانه ضعيف وعلى قوله يصل بانه معتمد وبعضهم حمل ما قاله الشافعي على ما اذا كانت القراءة لا بحضرة الميت ولا بنيته اما اذا كانت بحضرته أو بنيته فانها تصل

عليه وسلم على أن جميع اعمال أمته يتضاعف له نظيرها لانه السبب فيها أضعافا مضاعفة لا تحصى فيها زيادة في شرفه وان لم يسئل له ذلك فسؤاله تحصيل حاصل ولا يخفى ان فضلا وشرفا يجوز ترادفهما فالجمع للاطناب ويحتمل الفرق بان الاول لطلب زيادة العلوم والمعارف الباطنة والثاني لطلب زيادة الاخلاق الكريمة الظاهرة وفرق بعضهم بان الاول ضد النقص والثاني علو المجد أفاده العلامتان الشهاب احمد بن حجر والجمال محمد الرملي رحمهما الله تعالى في شرحيهما على المنهاج واعلم انما قدرت المضاف الذي هو لفظ معنى لانه قد نص العلماء رحمهم الله تعالى على انه لابد من فهم معناهما ولو اجمالا والا لم ينتفع الناطق بهما وقال بعضهم الاوسع للذاكر ان يلاحظ أخذهما من القرآن ليثاب عليهما مطلقا سواء فهم معناهما أم لا فيأخذ الاولى من قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله والثانية من قوله تعالى محمد رسول الله (وبيان ذلك) أي بيان كون قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله يجمع معاني العقائد المتقدم ذكرها (أن الجملة الاولى) التي هي قولنا لا اله الا الله (نفت الالوهية عن غيره تعالى واثبتتها له) تعالى (اذ معنى الالوهية) بطريق اللزوم لا بطريق الحقيقة ما ذكره رحمه الله تعالى بقوله (استغناء الاله عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه) وأما معنى الالوهية بطريق الحقيقة فهي العبادة بحق (فمعنى لا اله الا الله) بطريق اللزوم ما ذكره رحمه الله تعالى بقوله (لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه الا الله تعالى) واما معناه على طريق الحقيقة فهو لا معبود بحق في الواقع الا الله فعلم مما تقرر ان تفسيره رحمه الله تعالى تبعا للشيخ العلامة السنوسي في الصغرى تفسير باللزوم لا بالحقيقة كما علمت وانما اختاره لان استلزامه للعقائد المتقدمة أظهر من استلزام المعنى الحقيقي فاذا علمت ذلك فأقول لك (الاستغناء) أي استغناؤه تعالى فال عوض المضاف اليه (يستلزم ثلاثة وعشرين عقيدة) وبيان ذلك أنه يستلزم وجوب وجوده تعالى وقدمه وبقائه ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه

بنفسه وتنزهه عن النقائص ويدخل في ذلك السمع والبصر والكلام ولوازمها وهي كونه سميعا وبصيرا ومتكلما بناء على القول بالاحوال اذ لو لم تجب له هذه الصفات لكان غير مستغن عن كل ما سواه بل محتاجا الى المحدث أو المحل أو من يدفع عنه النقائص فهذه احدى عشرة عقيدة من الواجبات واذا وجبت هذه الصفات استحالت أضدادها فهذه احدى عشر عقيدة من المستحيلات ويستلزم أيضا نفي وجوب فعل شئ من الممكنات أو تركه والا لزم افتقاره الى فعل ذلك الشئ أو تركه ليتكمل به فهذه عقيدة الجائز فجملة ما استلزمه الاستغناء ثلاثة وعشرون عقيدة كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى (و) أقول لك (الافتقار) أي افتقار كل ما عداه اليه جل وعز (يستلزم ثماني عشرة عقيدة) وبيان ذلك انه يستلزم الحياة والقدرة والارادة والعلم ولوازمها وهي كونه حيا وقادرا ومريدا وعالما بناء على القول بالاحوال ويستلزم أيضا الوحدانية فهذه تسعة من الواجبات ومتى وجبت هذه استحالت اضدادها فهذه تسعة من المستحيلات فجملة ما استلزمه الافتقار ثماني عشرة عقيدة كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى فاذا ضممت هذه الثلاثة والعشرين السابقة كان المجموع واحدا وأربعين الواجب له تعالى منها عشرون والمستحيل عليه منها كذلك والجائز عليه منها واحد فقد اشتملت الجملة الاولى التي هي قولنا لا اله الا الله على أقسام الحكم العقلي الثلاثة الراجعة لمولانا جل وعز (و) ان (الجملة الثانية) التي هي قولنا محمد رسول الله (فيها الاقرار برسالته) أي بثبوت رسالته صلى الله عليه وسلم (ويلزم منه تصديقه) صلى الله عليه وسلم (في كل ما جاء به) من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك قال الباجوري رحمه الله تعالى على السنوسية فعند التحقيق يدخل في قولنا محمد رسول الله الايمان بجميع الالهيات أي ما يتعلق بالاله وجميع النبويات أي ما يتعلق بالانبياء وجميع السمعيات اه وبيان ذلك انه يلزم من لزوم تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به الايمان بالله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبر به كما في حديث جبريل المشهور والايمان به تعالى لا يكون الا بمعرفة العقائد المتقدمة ويلزم منه أيضا وجوب صدق الرسل وأمانتهم وفطانتهم وتبليغهم لما أمروا بتبليغه للخلق ويلزم منه أيضا استحالة الكذب والخيانة والبلادة والكتمان عليهم ويلزم منه أيضا جواز الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية وهذه جملة الاقسام الثلاثة المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ويلزم منه أيضا وجوب الايمان بجميع السمعيات المتقدم ذكرها المندرج فيها وجوب التخلي عن الاوصاف الذميمة والتحلي بالاوصاف الحميدة فقد بان لك تضمن الجملتين لجميع العقائد المتقدمة الشاملة للاقسام الثلاثة أعني الالهيات والنبويات والسمعيات ولعلهما لهذا المعنى مع اختصارهما جعلهما الشارع ترجمة عما في القلب من الايمان ولم يقبل من أحد الايمان الا بهما مع القدرة عليهما اللهم اجعل قلبنا منعما بشكرك ولساننا رطبا بذكرك ليكون آخر كلامنا عند فراق الدنيا قول لا اله الا الله محمد رسول الله واذا اجتمعت العقائد الخمسون في قول لا اله الا الله محمد رسول الله (فينبغي للعاقل ان يكثر من ذكر هذه الكلمة الطيبة) التي هي لا اله الا الله محمد رسول الله وأقل الاكثار عند الفقهاء ثلاثمائة كل يوم وليلة وعند الصوفية اثنا عشر ألفا ولكن الاولى ان لا ينحصر في عدد بل يكون ذاكرا بلسانه وقلبه كل يوم وليلة من غير حصر والافضل للذاكر المؤمن المد الا أن يأمره شيخه بطريقة فيتبعها وقد ورد ان من قال لا اله الا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف من الكبائر قالوا يا رسول الله فان لم يكن له شئ من الكبائر قال يغفر لاهله ولجيرانه رواه البخاري وأما الكافر فالافضل في حقه ترك المد لينتقل الى الايمان

والافتقار يستلزم ثماني عشرة عقيدة والجملة الثانية فيها الاقرار برسالته ويلزم منه تصديقه في كل ما جاء به فينبغي للعاقل أن يكثر من ذكر هذه الكلمة الطيبة

كما ذكره في فتح المعين وبذلك كله تعلم أيضا انه لا فرق بين الفاتحة وغيرها من القرآن وتعلم أنه لا فرق بين الروح والحضرة في المعنى المراد هنا وان كان أصل معنى الحضرة اللغوي غير الروح لانه بمعنى المكان فقولهم لروح النبي أو لحضرة النبي بمنزلة واحدة بل صرحوا بانك اذا قلت سلام على حضرتك العالية بمعنى سلام عليك ويزيدون لفظ الحضرة للتعظيم وتعلم ايضا ان في كتب الشافعية التصريح بسنية القراءة لروح النبي صلى الله عليه وسلم وقول السائل وفي الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم حقق ابن حجر في فتاويه جواز سؤال الرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم واستدل باحاديث أصحها في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وباقراره صلى الله عليه وسلم للاعرابي

فوراوا اختلف في المراد بالمد المذكور فقال بعض المشايخ ان يطول ألف لا بقدر سبع ألفات وذلك أربع عشرة حركة لان كل ألف حركتان وان يطول ألف لفظ الجلالة بقدر ثلاث ألفات وذلك ست حركات لان كل ألف حركتان كما علمت وقال بعضهم المراد المد الطبيعي وهو خلاف المنقول عن مشايخ الطريق العارفين وينبغي للذاكر مع ذلك أن يكون (مستحضرا) أي ملاحظا (لما احتوت) أي اشتملت (عليه من عقائد الايمان) وهي الواجبات والمستحيلات والجائزات في حق الله وحق أنبيائه ولو اجمالا بأن يستحضر ان معناها لا مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرا اليه كل ما عداه الا الله تعالى ولكن هذا الاستحضار ليس بشرط بل أدب من آداب الذكر المقررة في محلها ولذا قال ابن عطاء الله السكندري في حكمه لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه فان غفلتك مع وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود حضور بل ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز اه نعم يشترط ان لا يقصد به غيره والا فلا ثواب له فما يقع الآن من قوله سبحان الله بقصد التعجب فلا ثواب فيه وقوله رحمه الله تعالى تبعا للسنوسي رحمه الله تعالى (حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه وروحه) غاية في الكثرة السابقة وهي كناية عن شدة التمكن بحيث اذا تركه جرى على لسانه وقلبه بغير اختياره ويحتمل أن المراد بذلك الاختلاط والسريان الباطني لانه اذا أكثر من ذكرها اختلطت بلحمه ودمه وسرت في ذلك اذ الاكثار من اجراء الشئ على اللسان يستلزم حضوره في الجنان الذي هو رئيس الاعضاء ويدل لذلك ما حكي عن بعضهم من تهليل دمه حين قطعت رأسه وعن بعضهم من تهليل لسانه حالة نومه وقد كان بعضهم يقول الله دائما فتواجد فأصاب رأسه حجر فشجه وسال دمه على الارض فكتب الله الله فهو امتزاج سريان كسريان الماء في العود الاخضر لا امتزاج مماسة كامتزاج جسم بآخر فاندفع ما يقال ان الامتزاج من خواص الاجسام كامتزاج الماء بالعسل (فانه يرى) أي يشاهد (لها من الاسرار) أي المعارف والاوصاف الحميدة التي يحلي الله بها باطنه كالزهد والتوكل (و) الحياء ويرى لها من (العجائب) أي الكرامات التي يكرمه الله بها كوضع البركة في ماله حتى يكثر القليل ويكفي الكثير وكتيسير دراهم ودنانير وغير ذلك مما تدعو اليه الحاجة لكن لا ينبغي للشخص ان يقصد ذلك بشئ من طاعته والا دخل عليه الشرك الخفي فيجب على المريد ان يصفي باطنه من ذلك حين ذكر كلمة التوحيد فلا يقصد بذكره الا رضا مولاه وكشف الحجاب عن عين قلبه وقوله رحمه الله تعالى تبعا للسنوسي (ان شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر) اشارة الى ان حصول ما ذكر بارادته تعالى فهو المعطي المانع فقد يوجد اكثار الذكر ويتخلف عنه ذلك وحينئذ فالمطلوب من العبد انما هو القيام بالعبادة ويسلم الامور له تعالى متكلا على قسمته في أرزاق الارواح كما يتكل عليه في أرزاق الاشباح (وبالله) تعالى لا بغيره (التوفيق) الذي هو خلق الطاعة في العبد ولما كان التوفيق عزيزا ندر ذكره في القرآن بلفظه ومعناه الا في موضع واحد وهو قوله تعالى حكاية عن قول سيدنا شعيب عليه السلام لقومه وما توفيقي الا بالله عليه توكلت أي اعتمدت واليه أنيب أي أرجع وأما قوله تعالى ان يريدا أي العدلان من أقارب الزوج والزوجة اصلاحا أي اخلاصا في الصلح بينهما يوفق الله بينهما أي يبارك الله في وساطتهما حتى تحصل الالفة بين الزوجين وقوله يحلفون بالله أي المنافقون ان أردنا أي ما قصدنا بالمحاكمة الى غيرك يارسول الله الا احسانا أي صلحا وتوفيقا أي تأليفا بين الخصمين ولم نرد مخالفتك فليسا من التوفيق المصطلح عليه في المعنى وانما المراد بالتوفيق

مستحضرا لما احتوت عليه من عقائد الايمان حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه وروحه فانه يرى لها من الاسرار والعجائب ان شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر وبالله التوفيق

القائل اللهم ارحمني وارحم محمدا وانما أنكر قوله ولا ترحم معنا أحدا بقوله لقد حجرت واسعا اه كلام المجيب أطال الله تعالى بقاءه وان أردت بسط الكلام في هذا المقام فانظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى وقوله كلام المجيب هو شيخه العلامة السيد أبو بكر ابن محمد شطا لانه المراد عند الاطلاق كما نبه عليه في الهامش المتقدم

فيهما الالفة والمحبة (لـ) سلوك (أحسن طريق) أى للطريق الاحسن الذى هو الدين الحق فاضافته من اضافة الصفة للموصوف وانما قصر التوفيق على كونه لله تعالى لانه (لارب) أى لاخالق ولامعبود (غيره) موجود (ولامعين) على طاعة الله وطاعة رسوله (سواه) أى غيره تعالى (وهو حسبنا) أى كافينا فحسب بمعنى كاف فهو بمعنى اسم الفاعل وقيل ان حسب اسم فعل بمعنى يكفى فالمعنى على الاول بحسب التقدير الاصلى هو كافينا وعلى الثانى يكفيناهو قال تعالى أليس الله بكاف عبده وهو استفهام تقرير ومعناه حمل المخاطب على الاقرار بما يعرف وان لم يكن واليا للهمزة أى أقر يا مخاطب بما تعرف وهو ان الله كاف عبده كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك أى أقر يا محمد بما تعرف وهو انا شرحنا لك صدرك وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه فالحاصل ان من اكتفى بالله كفاه وأعطاه سؤله ومناه وكشف همه وأزال غمه كيف لا ومن التجأ الى ملك من الملوك حفظه وسلك به أحسن السلوك فالاولى بذلك من يحتسب رب العالمين ويكتفى به عن الخلائق أجمعين (ونعم الوكيل) أى ونعم الموكول اليه الامر فوكيل فعيل بمعنى مفعول لان عباده وكلوا أمورهم اليه واعتمدوا فى حوائجهم عليه وقيل معناه القائم على خلقه بما يصلحهم فوكل أمور عباده الى نفسه وقام بها فرزقهم وقضى حوائجهم ومنحهم كل خير ودفع عنهم كل ضير فوكيل على هذا فعيل بمعنى فاعل والاول هو المشهور والمخصوص بالمدح محذوف تقديره الله لانه لابد فى هذا التركيب من فاعل ومخصوص وهو مبتدأ خبره الجملة قبله (ونعم المولى) هو فانه لايضيع من تولاه (ونعم النصير) أى الناصر هو فلا يغلب من ينصره فمن كان فى حماية هذا المولى وفى حفظه وكفايته كان آمنا من الآفات مصونا عن المخالفات وهذا مقتبس من قوله تعالى وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير والاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه نثرا أو نظما شيأ من القرآن أو من الحديث لا على انه منه فمن الاول قوله

اذا قمت لله فى أمره * ولم ترع خلا وملكا مجيزا
أثبت عليه ثوابا جزيلا * وينصرك الله نصرا عزيزا

ومن الثانى قوله

لاتعادالناس فى أوطانهم * قلما يرعى غريب الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذى وهو جائز عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى اذا لم يخل بتعظيم مااقتبس منه بخلاف ما اذا أخل بتعظيمه بان كان فيه استهجان كما فى قوله

وردفه يهتز من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملونا

فانه غير جائز ولما كان لايتم شئ الا بالله ومعونته وحسن توفيقه ناسب أن يأتى بقوله رحمه الله تعالى (ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) فان فيها الاستسلام والاعتراف بالعجز وافراد الملك لله واظهار الفقر والفاقة والتبرى من الحول والقوة واسنادهما اليه وترك الاعتماد على غيره وهى خبر معناه الدعاء لان قائلها يطلب من الله تعالى الحول والقوة والاعانة على مايريد فمعنى لاحول ولاقوة الا بالله لاتحول عن المعصية ولاتقوى على الطاعة الا بالله وروى البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاحول ولاقوة الا بالله فقال صلى الله عليه وسلم تدرى ماتفسيرها قلت لا قال لاحول عن معصية الله الا بعصمة الله

لاحسن طريق لارب غيره ولامعين سواه وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

ولا

ولاقوة على طاعة الله الا بعون الله ثم ضرب بيده على منكبي وقال هكذا أخبرني جبريل عليه
السلام ومعنى العلى الاعلى أى البالغ فى العلو اذلا رتبة الا وهى منحطة عن رتبته أو الذى علا عن
ان تدرك الخلق ذاته أو تتصور صفاته بالكنه والحقيقة فهو المرتفع ومعنى العظيم الاعظم فى ذاته
على كل من سواه فليس لعظمته بداية ولا لكنه جلاله نهاية واعلم انه جاء فى فضائل لاحول ولاقوة
الا بالله العلى العظيم شئ كثير فمن ذلك ما أخرجه الطبرانى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من قول لاحول ولاقوة الا بالله العلى
العظيم فانها كنز من كنوز الجنة وفيها شفاء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم وفى رواية اكثروا
من ذكر لاحول ولاقوة الا بالله فانها تدفع عن قائلها تسعا وتسعين بابا من الضر أدناها الهم ومن
ذلك ما أخرجه الطبرانى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابطأ عليه رزقه فليكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وفى رواية
البخارى ومسلم انها كنز من كنوز الجنة ومن ذلك ما رواه ابن أبى الدنيا بسنده الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من قال فى كل يوم لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم مائة مرة لم يصبه فقر أبدا
ومن ذلك ما روى ان عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه الصلاة
والسلام ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبروا كثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله العلى
العظيم ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها
وفى القشيرى على الاربعين النووية ومن الادعية المستجابة انه اذا حل بالشخص أمر ضيق يطبق
أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج
واليك المشتكى وبك المستعان ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وهى فائدة عظيمة اه
وبالجملة فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم لها تأثير عظيم فى طرد الشياطين والجن وفى جلب
الرزق والغنى والشفاء وتحصيل القوة ودفع العجز وغير ذلك اه شيخنا أطال الله بقاءه فى شرح
الاذكياء (نسأل الله) أى نطلب منه فالسؤال بمعنى الطلب وفى النون ما سبق فى قوله جعلنا الله
ممن اتصف بأخلاق السادة الاخيار (من فضله ان يجعلنا) أى يصيرنا (ووالدينا) بصيغة الجمع
(ومشايخنا) كلهم وهو بالياء لا بالهمزة (واخواننا) أى فى الدين من جميع المسلمين والمسلمات
(وأحبتنا) جمع حبيب بمعنى محب أى من يحب المؤلف فيشمل من يأتى بعده كأمثالنا لا بمعنى
محبوب كما نقل عن السنوسى رحمه الله تعالى ولهذا أتى بعده بقوله (وأحبابنا) جمع حب بكسر الحاء
وهو المحبوب وقدم نفسه لانه يندب تقديم النفس على الغير فى الدعاء سواء كان بحضرة المدعو له
أم لا أو كان فى تأليف أم لا لان الايثار فى القرب مكروه والدعاء من أفضل القرب ولقول الله
حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وقوله
حكاية عن موسى عليه السلام رب اغفر لى ولاخى ولقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن
تعول ولانه صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا بدأ بنفسه فان قلت اذا أريد بضمير يجعلنا هنا
المتكلم ومعه غيره يكون المراد جميع المسلمين الشامل للذين ذكرهم الوالدين والمشايخ والاخوان
والمحبين والمحبوبين وغيرهم فما فائدة ذكر هؤلاء بعد أجيب بان ذكرهم بعد من عطف الخاص
على العام الذى نكتته الاهتمام بشأنهم ليحصل الاطناب الذى هو الالحاح أى الاكثار
المطلوب فى الدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين فى الدعاء وليحصل لكل منهم

نسأل الله من فضله ان يجعلنا ووالدينا ومشايخنا واخواننا وأحبتنا وأحبابنا

عند الموت ناطقين بكلمتي الشهادة عالمين بمعناهما ليكون آخر كلامنا وكلامهم ذلك فنفوز بالمقصود وهذا آخر ما يسره الله تعالى ﷺ (قوله لانه وقت ظهور الشياطين للمحتضر في صفة أهله الخ) في الفتاوى الحديثية لابن حجر رحمه الله تعالى سئل هل الشياطين يأتون المحتضر على صفة أبويه في زي يهود ونصارى حتى يعرضوا عليه كل ملة ليضلوه وهل يحضر جبريل عليه السلام المؤمن عند موته فأجاب بقوله قال السيوطي رحمه الله تعالى لم يرد ذلك بل ما يقرب منه وهو حديث أبي نعيم احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع وان الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع وفي مرسل جيد الاسناد وأقرب ما يكون عدو الله من الانسان ساعة طلوع روحه وأخرج الطبراني عن ميمونة بنت سعد قالت قلت يا رسول الله أينام الجنب قال ما أحب ان ينام الجنب حتى يتوضأ اني أخاف ان يتوفى فلا يحضره جبريل فدل هذا الحديث بمفهومه على ان جبريل عليه الصلاة والسلام يحضر الموتى وعلى ان الجنابة مانعة لحضوره دون الحدث الاصغر وفي حديث ضعيف جدا ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته هذا آخر وطأتي في الارض ولو صح لم يعارض نزوله بعد لان المنفي نزوله بالوحي فقد صحت الاحاديث انه ينزل ليلة القدر وعلى انه ينزل على عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم به كما اقتضاه ظاهر خبر مسلم اهـ (قوله فارتج على) بهمزة القطع والبناء للمجهول أي فلم أقدر على القراءة كأني منعت منها قال في المختار والمصباح ارتجت الباب أغلقته اغلاقا وثيقا ومنه قيل ارتج على القارئ بالبناء للمجهول مخففا اذا لم يقدر على القراءة كأنه منع منها وأطبق عليه كما يرتج الباب اهـ

دعوة ثانية في مقابلة حقهم عليه اذ كل من أولئك له عليه حق خصوصا الوالدين والمشايخ كما لا يخفى فترتفع درجاتهم (عند الموت) أي عند نزع الروح (ناطقين) أي متلفظين (بكلمتي الشهادة) هما لا اله الا الله محمد رسول الله (عالمين بمعناهما) اي معتقدين مدلولهما وهو وما اشتملتا عليه من العقائد المتعلقة بالله تعالى ورسله وانما أتى بذلك للاشارة الى ان مجرد النطق بهما لا ينفع أصلا فلا ينجو الناطق بهما من الخلود في النار الا اذا فهم معناهما وانما خص رحمه الله تعالى الموت بذلك مع ما قدمه من طلب اكثارها لانه وقت ظهور الشياطين للمحتضر في صفة أهله وأصدقائه فيقول كل منهم مات من قبلك ووجد المقبول عند الله دين كذا فمن أراد الله موته على الاسلام ثبته عليه وأرسل له جبريل فيمسح وجهه فيتبسم حينئذ ويقول له يا فلان أما تعرفني أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الجليلة فما شيء أحب اليه من ذلك أماتنا الله تعالى على الملة الحنيفية بجاه أشرف البرية أفاده السحيمي رحمه الله تعالى على الهدهدي و (ل) أجل أن (يكون آخر كلامنا وكلامهم) أي الوالدين والمشايخ والاخوان والمحبين والمحبوبين (ذلك) المذكور وهو كلمتا الشهادة واذا كان آخر كلامنا ذلك (فنفوز) أي فنظفر (بالمقصود) أي المطلوب الذي ينال به العز الابدي والنعيم السرمدي وهو دخول الجنة من غير سابقة عذاب فقد روي عن سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم انه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله حرمه الله على النار وروي عنه انه قال من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة أي مع السابقين جعلنا الله ممن يكون آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنه وكرمه (لطيفة) ذكر الامام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه الاعلام بجواز الترخيص في القيام بسنده الى الامام أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن أحمد القطان قال سمعت أبا عبد الله محمد بن مسلم بن وارة الرازي يقول حضرت مع أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي عند أبي زرعة الرازي وهو في النزع فقلت لابي حاتم تعال حتى نلقنه الشهادة فقال أبو حاتم اني لاستحي من أبي زرعة ان ألقنه الشهادة ولكن تعال حتى نتذاكر الحديث فلعله اذا سمعه يقول فبدأت فقلت حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا عبد الحميد بن جعفر فارتج على الحديث حتى كأني ما سمعته ولا قرأته فبدأ أبو حاتم فقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم النبيل عن عبد الحميد بن جعفر فارتج عليه كأنه ما سمعه ولا قرأه فبدأ أبو زرعة رضي الله عنه فقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم النبيل عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله وخرجت روحه مع الهاء قبل أن يقول دخل الجنة وذلك في سنة اثنين وستين ومائتين رزقنا الله هذا المقام بجاه سيد الانام (وهذا آخر ما يسره) أي سهله (الله تعالى) واسم الاشارة يعود للكلام الاخير وهو الجملة الاخيرة ويحتمل عوده للخاتمة ويصح ان يجعل الآخر بمعنى الغاية والنهاية وحينئذ فاسم الاشارة لجميع ما ذكر في هذا المتن والمعنى هذا الذي ذكرته غاية ونهاية

الذي ماخاب من توكل عليه بفضله للفقير اليه محمد على بن عبد القادر الخطيب غفر لهما ولجميع المسلمين ❊ (قوله فان قلت الخ)
في فتاوى ابن حجر الهيتمي الحديثية مانصه سئل رضي الله عنه عن مسئلة وقع فيها جوابان مختلفان صورتها هل يجوز الدعاء
للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب و بعدم دخولهم النار أم لا فاجاب الاول فقال لا يجوز فقد ذكر الامام ابن عبد السلام
والامام القرافي من الائمة المالكية انه لا يجوز لانا نقطع بخبر الله و بخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ان منهم من يدخل النار وأما
الدعاء بالمغفرة في قوله تعالى حكاية عن نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ونحو ذلك فانه ورد
بصيغة الفعل في سياق الدعاء وذلك لا يقتضي العموم لان الافعال نكرات و يجوز قصد معهود خاص وهو أهل زمانه مثلا اهـ
وأجاب الثاني فقال يجوز لامور أحدها ان الائمة رضي الله عنهم ذكروا انه يسن للخطيب ان يدعو للمؤمنين والمؤمنات الامر الثاني
ان الامام المستغفري روى في دعواته عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا مامن دعاء أحب الى الله من قول العبد اللهم اغفر لامة
محمد رحمة عامة كذا في العجالة وغير ذلك من الادعية التي يحيط علمكم بها الامر الثالث ان الشيخ شرف الدين البرماوي
سئل هل يجوز الدعاء بمغفرة جميع الذنوب و بعدم الوقوف للحساب فأجاب بانه يجوز ان يسأل الله عز و جل مغفرة جميع ذنوبه كلها فان الله تعالى له ان يرضي من له حق من الناس فيتخلص الداعي من جميع حقوق الله وحقوق الناس وأما الدعاء بعدم الوقوف بين يدي الله للحساب فطلب محال لا يجوز ان يدعو به بل يسأل الله تعالى ان يلطف به في ذلك الموقف فما الراجح عندكم من ذينك الجوابين فأجاب بقوله رحمه الله تعالى ان الدعاء بعدم دخول أحد من المؤمنين النار حرام بل كفر لما فيه من تكذيب
النصوص الدالة على ان بعض العصاة من المؤمنين لا بد من دخوله النار وأما الدعاء بالمغفرة لجميعهم فان أراد به مغفرة مستلزمة
لعدم دخول أحد منهم النار فحكمه مامر وان أراد مغفرة تخفف عن بعضهم وزره وتمحو عن بعض آخرين منهم أو أطلق ذلك فلا
منع منه أما في مسئلة الارادة فواضح وأما في مسئلة الاطلاق فلان اطلاق المغفرة لا يستلزم المحو عن الجميع بالكلية لانها تستعمل
في هذا المعنى وفي التخفيف بل لو قال اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم وأراد بذلك التخفيف عنهم لم يحرم بخلاف مالو أطلق
في هذه الصورة فانه يحرم عليه لان اللفظ ظاهر في العموم بل صريح فيه فالحاصل انه متى قال اللهم اغفر للمسلمين ذنوبهم وأطلق
أو أراد المحو للبعض والتخفيف للبعض جاز وان أراد عدم دخول أحد منهم النار لم يجز وان قال اللهم اغفر لجميع المسلمين جميع
ذنوبهم وأطلق أو أراد عدم دخول أحد منهم حرم وان أراد ما يشمل التخفيف جاز والفرق بين الصورتين واضح مما قررته وقد
امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيتعين
حينئذ حمل كلام ابن عبد السلام وتلميذه القرافي على ماقررته من التفصيل وبذلك علم ان اطلاق المجيب الاول الحرمة والثاني

ونهاية ما يسره ولو يسر غيره لوجد وقد يرشحه قوله بعد من تصنيف هذه الرسالة لانه بيان لما
(الذي ماخاب) أي ماحصلت له خيبة وهي عدم الفوز بالمطلوب يقال خاب يخيب خيبة اذا لم
ينل ما طلب وفي المثل الهيبة خيبة أي الهيبة من الناس سبب في الخيبة (من توكل عليه) تعالى في
أموره تحصيلا لما ينفع أو دفعا لما يضر حال كون التيسير حاصلا (بفضله) أي عطائه واحسانه
(للفقير) أي شديد الاحتياج (اليه) تعالى أو دائمه و يبدل منه (محمد على بن عبد القادر) زاهد
(الخطيب) بجامع بلد قدس (غفر) أي الله تعالى (لهما) أي اللهم اغفر ذنوبهما أي امحها عنهما
من صحف الملائكة و يلزم من ذلك أنه لا يؤاخذهما بها أو معناه لا تؤاخذهما بها وان كانت
موجودة في كتب الملائكة والاول أصح و يشهد له ان الحسنات يذهبن السيآت ثم لا يخفى ان
ضمير لهما يعود على المصنف وعلى والده وفي طلب المغفرة لوالده اعتراض بأن في ذلك اعترافا بذنب
والده ولا يليق ذلك وأجيب بان ذنوب والده لم تكن حقيقة له بل سرت منه له أو على فرض وقوعها
منه أو ان المغفرة لا تستلزم الذنب حقيقة قال الله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وان
هذا الاعتراف لا يؤاخذ به ولا يعد سوء أدب لظاهر قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي (ولجميع
المسلمين) هو من اضافة المؤكد بالكسر للمؤكد بالفتح (فان قلت) انه قد ورد ان كل طائفة من
العصاة كالزناة مثلا لا بد من نفوذ الوعيد في بعض منها ولو واحدا قلت أجيب بأن قوله جميع
المسلمين أي ماعدا البعض الذي يتحقق فيه الوعيد وأجاب الشيخ الامير رحمه الله تعالى بان الوعيد
يتحقق في عصاة الكفار لانهم مخاطبون بفروع الشريعة على الصحيح فيعذبون عذابا زائدا على
عذاب الكفر بدليل قوله تعالى ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الآية وان الغفران
لجميع المسلمين لا يستلزم ان كل واحد يغفر له جميع الذنوب فيتحقق الوعيد موزعا بان يغفر لهم من
جهة الزنا لا من جهة الغيبة مثلا فان قلت المسلمين جمع مسلم وصف للمذكر فلا يشمل المؤنث وهذا

غير مناسب لان المقام مقام دعاء والمناسب فيه التعميم فالجواب ان المراد بالمسلم من اتصف بالاسلام ذكرا كان أو أنثى أو هو من باب تغليب المذكر على المؤنث للشرف (انه) بفتح الهمزة على تقدير اللام وبكسرها استئنافا لكن فيه معنى التعليل لما تضمنه قبله من الدعاء فكأنه قال اللهم اغفرهما ولجميع المسلمين وانما دعوت بذلك لانه (قريب) أى قربا معنويا لا حسيا لاستحالته عليه تعالى (مجيب) لمن دعاه ولا يخفى ما فى هذين الوصفين من التلميح لقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ثم بين آخر ما يسره الله تعالى بقوله (من تصنيف هذه الرسالة) المسماة بكفاية المبتدى (المؤلفة فى بلده) أى الله تعالى (الحرام) أى المحترم الذى لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه يعنى به مكة المشرفة جعل الله تعالى لنا بها قرارا مع الادب التام ورزقنا رزقا حسنا بجاهه عليه الصلاة والسلام وكان تمام هذا التأليف بعون الرب اللطيف مؤرخا (عام احدى وسبعين) بتقديم السين ثم الباء على العين (ومائتين بعد الالف من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام) من مكة المشرفة المعظمة الى المدينة المنورة المفخمة واعلم انه أول ما استعمل التاريخ بهجرة نبينا صلى الله عليه وسلم فى زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال شيخنا وشيخ مشايخنا رحمه الله تعالى فى تاريخه الجداول المسمى بتاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية كان استعمال الصحابة رضى الله عنهم التاريخ فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الصحيح قال العلامة ابن الاثير فى تاريخه المسمى بالكامل وسبب ذلك ان أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه كتب الى عمر رضى الله عنه انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للشورى فقال بعضهم أرخ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل بمهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر نؤرخ بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم فرق الله بها بين الحق والباطل قاله الشعبى وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك أى كتاب فيه ان محله شعبان فقال أى شعبان أشعبان هو آت أم شعبان الذى نحن فيه ثم قال ضعوا للناس شيئا يعرفونه واختلفوا من أى وقت يكون البدء ثم اتفقوا على وضع التاريخ وأنه يكون من الهجرة ثم قالوا من أى الشهور فقالوا من المحرم لانه منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه مع ان الهجرة كانت فى ربيع فتسامحوا فى شهرين والغوهما ليكون البدء من المحرم فكأنهم جعلوا الهجرة من المحرم والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قال رحمه الله تعالى شهودا للتقصير واعترافا به حيث لم يبرئ كتابه من الخطأ أو الزلل (وأرجو) أى آمل فهو مأخوذ من الرجاء بالمد الذى هو لغة الامل وأما بالقصر فهو الناحية ومنه قوله تعالى والملك على ارجائها جمع رجا بالقصر فتقول اللهم حقق رجاءنا بالمد ولا تقل رجانا بالقصر كما يقع فى أدعية الجهلة وعرفا تعلق القلب بمرغوب فيه مع الاخذ فى الاسباب والا فهو طمع مذموم قال ابن الجوزى مثل الراجى مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا وما زرع أو ولدا وما نكح وقال عبد الله بن المبارك

ما بال دينك ترضى ان تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

وفى الحديث القدسى ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى واعلم ان الخوف والرجاء حالتان لا بد لكل شخص منهما ولا يخلو منهما أحد فينبغى له أن يجعلهما كجناحى الطائر مستويين بين صحة قال العلامة ابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى فى شرح الهمزية عند أئمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء

انه قريب مجيب من تصنيف هذه الرسالة المؤلفة فى بلده الحرام عام احدى وسبعين ومائتين بعد الالف من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام وأرجو

...سمها غير صحيح واستدلاله بخبر المستغفرى غير صحيح أيضا لان الرحمة العامة لا تستلزم مغفرة جميع الذنوب بالمعنى السابق فقد ورد عن ابن مسعود رضى الله عنهما ان لله رحمة على أهل النار فيها الا انه يقدر ان يعذبهم باشد مما هم فيه وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ففى ارساله صلى الله عليه وسلم رحمة حتى على أعدائه من حيث عدم معاجلتهم بالعقوبة والله سبحانه وتعالى أعلم

لئلا

من اطلع عليها أن يلتمس له عذرا فيما وقع منه من الهفوات ان الحسنات يذهبن السيآت ونسأل الله تعالى

لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله و يردهما انهما اذا استويا امنت غلبة أحدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منه المحذور الذى فى مقابله أما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى أى يظن أنه يغفر له ويرحمه (فائدة) كان الشبلى رحمه الله تعالى يقول انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قرب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة وكذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج وجهه مشرق مضىء وطلب رجائه رحمه الله تعالى (ممن اطلع) أى من الشخص الذى اطلع بتأمل ونظر بفكر سليم من طلبة العلم أو أهل العلم (عليها) أى الرسالة (ان يلتمس) أى يطلب (له) أى للمصنف رحمه الله تعالى اذا رأى بالمطالعة والتأمل فيها خطأ أو زللا أو افسادلفظ أو حكم (عذرا) حسنا (فيما) فى الشئ الذى (وقع) أى حصل (منه) متعلق بوقع وقوله رحمه الله تعالى (من الهفوات) بيان لما وهى جمع هفوة بمعنى زلة وهى تكون بنحو ما تقدم من نحو الخطأ (تنبيه) اعلام واتعاظ جعلنا الله ممن يقبل النصيحة و يستيقظ بها غاية الايقاظ اعلم انه ينبغى للمستبرئ لدينه فى ورعه ويقينه الراجى دوام السلامة فى الدنيا والقيامة ان يثبت فى قوله وفعله و يسلم كل مقام لاهله متخليا عن رذيلة البغى والاعتساف متحليا بحلى العدل والانصاف فمن نظر بعين الانصاف عذر ومن أبصر بباصرة الاعتساف هذر ومن أحسن من قال ولقد أجاد فى المقال

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

فاياك يا أخى وتتبع الزلات فان المرء كله عيوب وعورات ولم يسلم أحد من الوصمة الا جميع الانبياء ذوى العصمة فحذار من الانتقاد قبل التحقيق والانكار قبل التدقيق اذ ليس ذلك من شأن أولى العقل السليم فاذا رأيت من سارع لذلك فاشهد على عقله بالخبال الوخيم اذ لا يصدر ذلك غالبا الا من حمق جلى أوداء من طلب شهرة أو محمدة أو مال أو حقد أو حسد أو نحو ذلك خفى فكن يا أخى ممن قال الله تعالى فيهم وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ولا تكن ممن هم عن عن عقاب الله معرضون ولا ممن قال تعالى فيهم وهم عن الآخرة غافلون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وفقنا الله لما يحبه و يرضاه بجاه حبيبه ومصطفاه آمين ثم أتى رحمه الله تعالى بما هو كالتعليل لما قبله طالبا من كل من اطلع على هذه الرسالة ان يستر الزلات فى مقابلة الحسنات فقال (ان الحسنات يذهبن السيآت) وهذا مقتبس من قوله تعالى وأقم الصلاة طرفى النهار و زلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين أى أقم الصلاة فى طرفى النهار الغداة والعشى والمراد بالصلاة فى ذلك الصبح وهو راجع للغداة والظهر والعصر وهما راجعان للعشى والزلف جمع زلفة وهى الطائفة من الليل والمراد بالصلاة فى ذلك المغرب والعشاء والحسنات جمع حسنة وهى الاعمال الصالحة كالصلوات الخمس والسيآت جمع سيئة وهى الذنوب الصغائر ذلك ذكرى للذاكرين عظة للمتقين نزلت هذه الآية فى رجل قبل أجنبية وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال أصليت معنا فقال نعم فقرأ عليه الآية فقال ألى هذا خاصة فقال لجميع أمتى كلهم رواه الشيخان انظر تفسير الخطيب الشربينى وغيره ثم ابتهل رحمه الله تعالى الى مولاه سائلا فى تصنيفه الاخلاص الذى هو سبب للنجاة والخلاص فقال (ونسأل الله تعالى

من انعامه) أي احسانه (ان يجعل هذه الرسالة خالصة) أي من الامور التي تعوقها عن القبول كالرياء والسمعة وحب الشهرة والمحمدة وحينئذ يصدق بمراتب الاخلاص الثلاث المرتبة الاولى ان تعبد الله لتتيسر لك الدنيا لكونك تعلم ان من أطاع الله يسر له أمرها وهي أدنى المراتب والثانية ان تعبده طلبا للثواب وهربا من العقاب وهي أوسطها والثالثة ان تعبده لذاته لا لطمع في جنته ولا لهرب من ناره وهي أعلاها لانها مرتبة الصديقين وطلب رحمه الله تعالى خلوصه مما ذكر من الامور التي تعوقها عن القبول (لوجهه الكريم) أي لذاته المتفضل المحسن فالمراد من الوجه الذات على مذهب الخلف وهو التأويل التفصيلي ببيان المعنى المراد كما تقدم (و) نسأل الله تعالى من انعامه (ان ينفع بها) أي ان يوصل الثواب بسببها أي الرسالة لان النفع ايصال الخير للغير (النفع العميم) في الآخرة للمصنف رحمه الله تعالى بسبب التأليف ولجميع المسلمين بأن يلهمهم الاعتناء به بعضهم بالاشتغال به كتابة وقراءة وتفهم وتعلم وتعليم وشرح وبعضهم بغير ذلك كالاعانة عليه بوقف أو هبة أو نقل الى البلاد أو غير ذلك ونفعهم يستتبع نفعه أيضا لانه سبب فيه وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة فان قلت هل يتصور النفع بالتأليف عمن مات قبل المؤمن قلت نعم يشتغل به أحد من ذريته فتعود بركته على أبيه أو يتعلم حكما منه فيكون كذلك أو يعلم منه ان الميت تنفعه الصدقة والدعاء فيفعل ذلك فاغتنم هذا فانه منيف والله ولي التوفيق (و) نسأل الله تعالى من انعامه (أن يرزقنا بها) أي أي بسببها (هداية) دلالة موصلة (الى سبيل) أي طريق (الحق) المراد به الله تعالى لان الحق اسم من أسمائه تعالى وفي الكلام حذف مضاف أي الى سبيل دين الحق ويحتمل ان المراد به الاحكام الحقة وحينئذ فلا حاجة لتقدير المضاف (و) يرزقنا بها (توفيقا) لفعل الطاعات واجتناب المنهيات لننال بذلك المقامات العالية والدرجات السامية (و) نسأل الله تعالى من انعامه ان (يجعلنا بها) أي يصيرنا بسببها (في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم) تنعم بالدرجات العلية ونتلذذ باللذائذ المرضية وذلك مسبب عن العمل فلا ينافي ان أصل دخول الجنة بفضل الله تعالى كما ورد في الحديث القدسي ادخلوا الجنة بفضلي واقتسموها بأعمالكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ومن هذا يعلم ان معنى قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ادخلوا الجنة بفضلي واقتسموها بما كنتم تعملون وبعضهم قال المنفي في الحديث السببية الموجبة للاستحقاق فلا ينافي ان العمل سبب ظاهري عادي وهو المراد في الآية الشريفة والله أعلم وبين من الذين أنعم الله عليهم (من النبيين والصديقين) جمع صديق بكسر الصاد وتشديد الدال وهو المبالغ في الصدق كابي بكر الصديق رضي الله عنه (والشهداء) القتلى في سبيل الله وما جرى مجراهم من سائر الشهداء (والصالحين) جمع صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد بحسب الامكان والمراد بالصالحين غير من ذكر لان الاصناف الثلاثة السابقون صالحون أيضا فخص الصنف الرابع بغيرهم من بقية الصالحين وقد سلك في ذكر الاربعة طريق التدلي فان منزلة كل صنف أدنى من منزلة الصنف الذي قبله وقوله (وحسن أولئك) في معنى التعجب كما قاله البيضاوي (رفيقا) منصوب على التمييز أو الحال ولم يجمع مع ان المعنى وحسن أولئك الاصناف الاربعة المذكورون رفقاء لان رفيقا فعيل يستوي فيه الواحد والجمع على حد والملائكة بعد ذلك ظهير أو لان المعنى وحسن كل واحد من أولئك رفيقا ومعنى الرفيق الصاحب سمي رفيقا لانه

من انعامه ان يجعل هذه الرسالة خالصة لوجهه الكريم وان ينفع بها النفع العميم وأن يرزقنا بها هداية الى سبيل الحق وتوفيقا ويجعلنا بها في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

وصلى الله وسلم على
سيدنا محمد عبده ورسوله

يرتفق به في صحبته واعلم ان هذا مقتبس من قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية وسبب نزولها ان بعض الصحابة قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزلت والمراد بكونهم معهم من ذكر انهم يترددون اليهم لزيارتهم والحضور معهم للتأنس بهم وغير ذلك مع ان مقر كل منهم الدرجات التي أعدها الله له وليس المراد انهم يكونون معهم في درجة واحدة لانه يقتضي استواء الفاضل والمفضول في الدرجة وليس كذلك بل يكون كل في درجته لكن يتمكن من رؤية غيره والتردد اليه ويرزق الله كلا من أهل الجنة الرضا بما أعده الله له ويذهب عنه اعتقاد انه مفضول لتنتفي عنه الحسرة في الجنة كما قاله ابن عطية وحاصل المعنى ان من أطاع الله تعالى كان رفيقا لمن ذكر وليس ذلك بسفر ولا مشقة بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل في درجته لا يصعد هذا لهذا ولا ينزل هذا لهذا قال تعالى اخوانا على سرر متقابلين فاذا تمنى الشخص مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ومحادثته حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال واعلم ان اثبات الصلاة والسلام في صدر الكتب والرسائل حدث في زمن ولاية بني هاشم ومضى العمل على استحبابه ومن العلماء من يختم بهما أيضا كالمصنف رحمه الله تعالى فانه ابتدأ رسالته بالصلاة والسلام وختمها بهما فقال (وصلى الله وسلم) وانما ابتدأ وختم بهما رجاء لقبول ما بينهما فان الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولان لا يردان وقد ورد في الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد ويقاس على الدعاء نحو التأليف وكذلك صنع رحمه الله تعالى في الحمد لتكون رسالته مكتنفة بين حمدين وصلاتين فتكون اجدر بالقبول لان الله أكرم من أن يقبل الحمدين والصلاتين ويرد ما بينهما وأرجى لدوام النفع به وانما أتى بهما ماضيين اشارة الى تحققهما كما قالوه في قوله تعالى أتى أمر الله أي يأتي فالاتيان بالجملة الماضوية فيه تحقق حصول المسؤل أي أسألك يا الله ان تصلي وتسلم عليه فهي جملة خبرية لفظا انشائية معنى فمعناها الطلب لكن لا يحتاج الى استحضار نية الطلب لكثرة استعمال اللفظ فيه في العرف كثرة تامة حتى صار كالمنقول من الخبر للطلب فان قلت ما الحكمة في ان الله تعالى أمرنا أن نصلي عليه ونحن نقول اللهم صل على سيدنا محمد فنسأل الله أن يصلي عليه ولم نصل عليه بأنفسنا قلت لانه صلى الله عليه وسلم طاهر لا عيب فيه ولا نقص ونحن فينا العيب والنقص فكيف يصلي من فيه المعائب والنقائص على الطاهر الكامل فنسأل الله أن يصلي عليه لتكون الصلاة عليه من رب غافر على نبي طاهر صلى الله عليه وسلم واعلم انه اذا أورد الانسان الصلاة والسلام في آخر عمله لا ينبغي أن يريد بهما الاعلام باتمامه بل ينبغي له أن لا يقصد الا تحصيل فضيلتهما والا وقع في الكراهة وكذا كما مر قولهم والله أعلم عند التمام فينبغي ان لا يقصدوا بذلك الاعلام بالانتهاء بل ينبغي ان يقصدوا به تفويض العلم اليه تعالى والمصنف رحمه الله تعالى قصد تحصيل الفضل بالصلاة والسلام (على سيدنا) ونبينا وشفيعنا ومولانا (محمد) هذا الاسم أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم وأشهرها بين العالمين ولذا خصت به الكلمة المشرفة (عبده ورسوله) انما قدم الوصف بالعبودية على الوصف بالرسالة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم ولكن قولوا عبد الله ورسوله ومعنى العبودية هنا التذلل والخضوع وأما العبادة فمعناها غاية التذلل والخضوع فالعبادة أبلغ من العبودية ولكنها وصف شريف جليل ولذلك وصف بها في أسنى المقامات كمقام الاسراء ومقام انزال الكتاب وغير ذلك ومما يعزى للقاضي عياض رحمه الله تعالى

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخول تحت قولك يا عبادى * وان صيرت أحمد لى نبيا

وفى جمعه بين العبد والسيد من المحسنات البديعة جناس الطباق وهو الجمع بين ضدين فى الكلام ولما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم حبيب الله لحديث ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وكان ظواهر الاحاديث تدل على ان المحبة أتم من الخلة لان سياق الفضائل التى أوتيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يدل على ان كل ما ذكر له أتم فضلا من كل ما ذكر لغيره وقد اختص بالمحبة كما اشتهر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة فدل على ان المحبة أفضل لان صاحبها أفضل وصفه المصنف رحمه الله تعالى بها فقال (حبيب رب العالمين) أى محبوب رب العالمين فيكون فعيل بمعنى اسم المفعول أو محب رب العالمين فيكون بمعنى اسم الفاعل ولا مانع من ارادتهما معا بناء على جواز استعمال المشترك فى معنييه ومعنى محبة الله لعبده اصطفاؤه واجتباؤه واتحافه بالاسرار الالهية والتجليات الربانية لان الميل الذى يكون بين المحب والمحبوب مستحيل عليه تعالى ومعنى محبة العبد لربه امتثاله لامره واجتنابه لنهيه ولذلك قال بعضهم

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

(وعلى آبائه واخوانه) المشاركين له صلى الله عليه وسلم فى النبوة والرسالة فلذا بينهم بقوله (من الانبياء والمرسلين) ومع ثبوت مشاركتهم له صلى الله عليه وسلم فى النبوة والرسالة فهم نواب عنه فى تبليغ الاحكام لمن تقدمه من الامم لانه صلى الله عليه وسلم مرسل اليهم أيضا لكن بواسطة كما قال السبكى ومن تبعه وهو الحق واستدلوا على ذلك بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية وقد مر بحث ذلك فى السمعيات فانظره ان شئت (وعلى آله) المراد بهم هنا كل مؤمن ولو عاصيا لان المقام للدعاء والمطلوب فيه التعميم لخبر اذا دعوتم فعمموا والعاصى أحوج الى الدعاء من غيره (و) على (صحبه) صلى الله عليه وسلم (و) على (أزواجه) أى نسائه الطاهرات من الذنوب والآثام المطهرات اللاتى اختارهن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وخيرة خلقه ورضيهن أزواجا له فى الدنيا والآخرة حتى استحققن ان يصلى عليهن معه صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فى شأنهن ما أنزل من اتيانهن أجورهن مرتين وكونهن لسن كأحد من النساء (أمهات المؤمنين) فى الاحترام والتعظيم وحرمة التزوج لا فى جواز الخلوة بهن وتحريم بناتهن وجواز النظر اليهن بغير شهوة وعدم نقض الوضوء كما مر (أجمعين) توكيد لكل من الانبياء والمرسلين والآل والصحب والازواج (صلاة وسلاما) هما اسما مصدر لصلى وسلم منصوبان على المفعولية المطلقة مبينان لنوع عاملهما وهو الصلاة والسلام الدائمان (دائمين) استشكل بان الصلاة والسلام لفظان ينقضيان بمجرد النطق بهما فكيف يوصفان بالدوام وأجيب بان المراد دائمين من حيث ثوابهما وهذا متضمن للدعاء بقبول صلاة المصلى وسلامه وباستمرار ايمانه وموته على الايمان والحق ان الصلاة والسلام هنا مطلوبان من الله تعالى والدوام وصف لهما حقيقة (بلا انفصام) أى بلا انقطاع والقصد بذلك التأبيد لا التأقيت لان العرب تأتى بنظير ذلك ويريدون الاستدامة على الشئ والبقاء عليه دائما وأبدا (نفوز بهما) أى نظفر بسبب بركة الصلاة والسلام (بحسن الختام) بان يتوفانا الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه على الايمان والاسلام فنحوز بذلك المطلوب ونتنعم فى دار النعيم بالنظر الى وجه علام الغيوب مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وفى كلامه رحمه

حبيب رب العالمين وعلى آبائه واخوانه من الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين اجمعين صلاة وسلاما دائمين بلا انفصام نفوز بهما بحسن الختام

الله تعالى كما لا يخفى من المحسنات البديعية براعة المقطع المسماة بحسن الختام وهى الاتيان فى أواخر الكلام نظما أونثرا بما يدل على التمام كقوله ابن حجة رحمه الله فى بديعيته التى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم حسن ابتدائى به ارجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى رزقنا الله حسن الختام بمنه وكرمه وجاهه عليه الصلاة والسلام وختم رحمه الله تعالى رسالته بقوله (والحمد لله رب) أى خالق (العالمين) المخلوقات طلبا لاجابة دعائه لانه اذا ختم الدعاء كان علامة على اجابته كما علمت مما مر واقتداء باهل الجنة فانهم يأتون بذلك فى آخر دعائهم كما أخبر بذلك المولى سبحانه وتعالى بقوله وهو أصدق القائلين وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وحاصل معنى الآية كما قال السحيمى رحمه الله تعالى ان طلب المؤمنين فى الجنة لما يشتهون من الطعام ان يقولوا سبحانك اللهم فتعرف خدمهم ما يشتهونه من الطعام فيأتونهم فى الوقت بما يشتهونه على موائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة فى كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا وتحيتهم فيها سلام أى يعظم بعضهم بعضا بالسلام وآخر دعواهم أى اذا فرغوا مما يشتهونه قالوا ان الحمد لله رب العالمين ولما كان آمين كالختم الذى يختم به الكتاب أتى رحمه الله به فقال (آمين) قال الجمل والصاوى رحمهما الله تعالى على الجلالين وهو أى آمين من خصوصيات هذه الامة لم يعط لأحد قبلهم الا ما كان من موسى وهارون لما ورد فى الحديث ان الله أعطى امتى ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم السلام وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين الا ما كان من موسى وهارون ومعناه ان موسى دعا على فرعون وأمن هارون فقال الله تعالى عندما ذكر دعاء موسى قد أجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هارون فسماه داعيا وقال على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم بها دعاء عباده وفسره بان الخاتم كما يمنع عن المختوم الاطلاع عليه والتصرف فيه يمنع آمين عن دعاء العبد الخيبة وفى الخبر ان آمين كالطابع الذى يطبع به على الكتاب قال الهروى قال أبو بكر معناه انه طابع الله مع عباده لانه يدفع الآفات والبلايا فكان كخاتم الكتاب الذى يصونه ويمنع من افساده واظهار ما فيه وهذا بمعنى ما قبله الا أنا زدناه توضيحا وفى حديث آخر آمين درجة فى الجنة قال أبو بكر انه حرف يكتسب به لقائله درجة فى الجنة وقال وهب بن منبه آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال آمين اه وهو اسم فعل بمعنى استجب يا الله اللهم استجب دعاءنا واختم بالصالحات أعمالنا وانصرنا على الحساد والاعداء وأعذنا من شرور أنفسنا واتباع الاهواء وامنحنا سعادة الدارين وجنبنا الشيطان الرجيم ذا المين واسلك بنا طرق السعادة وارزقنا الحسنى وزيادة وارحم اللهم امرأ نظر بعين الانصاف اليه ووقف على هفوة فاسبل الغطاء عليه وأصلح الذى رآه من غلط مستحضرا من ذا الذى ما ساء قط وسحب عليه ذيل العفو والاغضا وغض عنه عين النقص حيث أبصره بعين الرضا وتمثل بقول القائل رحمه العادل وهو راض على غير رامق بعين السخط الى

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ودعا لى ان ظفر بمساله من العيوب سالمه بالقبول والرضا وحسن الخاتمه و بالغ لى ان رأى زلة فى المعذرة وطلب لى التوفيق والعفو والمغفرة فالعذر عند خيار الناس مقبول والعفو من شيم السادات مأمول هذا ولم يكن قط فى خلدى ان أتعرض لذلك لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه

والحمد لله رب العالمين
آمين

(قوله فى خلدى) بفتحتين معناه البال والقلب قال فى المختار الخلد بفتحتين البال يقال وقع ذلك فى خلدى أى فى قلبى اه

المسالك فعسى الله ان يؤهلنى لكل كمال و يجعلنى من أهل المعرفة والكمال و ينفعنى بالعلماء الابطال ويدرجنى فى سلكهم انه القدير المتعال آمين بجاه الا آمين هذا وقد انتهيت من جمع ما أوردته ونهاية ما أردته بعد ظهر يوم الخميس لثلاث ليال بقين من محرم الحرام افتتاح العام السادس بعد الثلثمائة و الالف من هجرته عليه الصلاة والسلام جعله الله وسيلة أتقرب به اليه فى الشدائد وافزع اليه يوم لا ينفع ولد ولا والد وافوز بسببه من غوائل الردا وانتظم به فى سلك من احل عليه رضوانه تعالى فلا يسخط عليه من بعده ابدا سائلا منه سبحانه بدائع الطافه وتتابع نعمه واتحافه وقبول هذا المؤلف وانجاح ثواب هذا المصنف مستعيذا برب السموات والارض من جاهل يتحامل أو حاسد يعرف الحق ويتجاهل ضارعا اليه جل شأنه وعز سلطانه بجاه ملاذنا ان لا يخيب سعينا فهو الجواد الذى لا يخيب من أمله ولا يخذل من قطع عما سواه وأمله وان يخلصنا من محن الدنيا وفتن الدين و يجعلنا من حزبه المفلحين وان يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمحبين ولمن دعا لنا ولمن له حق علينا وللمسلمين وان يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم وسببا للنظر الى وجهه المصون فى دار النعيم انه منعم كريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله أولا وآخرا ما تعاقب الليل والنهار والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المختار وعلى آبائه واخوانه من الانبياء والمرسلين الابرار وآله السادة الاطهار واصحابه الاخيار ما وحد موحد الكريم الغفار ففاز بنيل المرام وظفر بحسن الختام

الاول نكرة والثانى معرفة وهما مختلفان معنى فيمتنعان الايطاء كما حققه علماء العروض والقوافى ومنهم الدمنهورى رحمه الله تعالى فى حاشيته الكبرى على الكافى ونص عبارته وأما تكرير كلمة الروى لفظا فقط أو معنى فقط كالعلم مع الصفة والمعرف مع المنكر فليس بايطاء بل فيه من المحسنات البديعية الجناس التام تمم الله تعالى بفضله لنا المرام وكفانا المهمات وأجزل لنا الحسنات وكلنا بكماله وأسبل علينا ذيل ستره وافضاله ومن علينا بحسن الختام بجاهه عليه الصلاة والسلام هذا وقد انتهيت من تحرير هذه الهوامش بعون المتعال مع تكدر البال نسأله سبحانه وتعالى ان يحول حالنا باحسن حال وينعم علينا بانعم بال ظهر يوم الثلاثاء لثمان أو سبع بقين من شهر ربيع الثانى عام ألف وثلثمائة وتسعة من هجرة من اوتى السبع المثانى صلى الله وسلم عليه وعلى آبائه واخوانه من الانبياء والمرسلين وآل وصحب كل وسائر عباد الله الصالحين صلاة وسلاما نحوز بهما الرضا والقبول و بلوغ القصد والمأمول ونحظى بهما بالسعادة الدائمة وحسن الخاتمة

﴿يقول راجي غفران المساوي محمد الزهري الغمراوي﴾

أما بعد حمد الله دائم الوجود المنزه عن احاطة العقول لارتفاع شأنه عن ان تحده الحدود من أنطق ذرات الوجود بوحدانيته وأخرس فصيح الالسن كبرياء عظمته والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من دل على الله بحاله وقاله وآله وأصحابه وكل من نال شرف اتباعه في أمره وحاله فقد تم بحمده تعالى طبع ارشاد المهتدي الى شرح كفاية المبتدي للعلامه الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ عبد الحميد حفظه الملك المجيد ابن العلامه الهمام محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب رحمه الله وأسكنه أعلى مكان رحيب وهو كتاب حوى ما تفرق في ضخام المجلدات ونال من سلاسة القول ودنو المعاني أزهى الغايات ابان عما يجب على المكلف استحضاره وازاح عن وجوه مسائل الفن براقع الخفاء فوضحت أقماره فلا غرو ان كان من مستحدثات التآليف التي لم يسبق لها مثيل ومن مبتكرات العصر التي خلت من شوب قال وقيل خصوصا وقد تحلت طرره ووشيت غرره بالمتن الذي هو من مؤلفات والده رحمه الله وببعض حواش للشارح تنير مسالكه وتبين مغزاه فجاء في بابه آيه وبلغ من الحسن كل غايه وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي ذي العجز والتقصير وذلك في شهر رمضان سنة ١٣٠٩ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

آمين

فهرست ارشاد المهتدى الى شرح كفاية المبتدى

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)